

الموريسكيون الأندلسيون

المجلس
الأعلى
للثقافة



المشروع القومي للترجمة

تأليف : مرثيديس غارثيا أرينال
ترجمة وتقديم : جمال عبدالرحمن

458

LOS MORISCOS

M. GARCÍA ARENAL



يعد هذا الكتاب مدخلاً لدراسة تاريخ مسلمي الأندلس بعد سقوط
غرناطة: فهو يعرض عدداً من الوثائق المهمة التي تتناول مختلف
جوانب القضية: اتفاقية تعليم غرناطة، وقرارات حظر اللغة العربية،
وزي وعادات المسلمين في إسبانيا، وعدة قضايا نظرتها محاكم
التفتيش ضد من يمارسون شعائر الإسلام، ورسالة مفتى وهران التي
يجيز فيها ممارسة شعائر الإسلام سراً وإخفاء ذلك في العلن، ونموذج
للكتابات التي خلفها مسلمو الأندلس التي تختلط فيها المعلومات
الصحيحة بالخاطئة، وقرار طرد المسلمين من إسبانيا، هذا بالإضافة
إلى وثائق تتحدث عن وضع المسلمين في البلاد التي هاجروا إليها.
والكتاب يضع أمام الباحث العربي عدة وثائق تمكنه من التصدي
بموضوعية لقضية بالغة الأهمية هي قضية الأندلس.

المشروع القومي للترجمة

الموريسكيون الأندلسيون

تأليف : مرثيديس غارثيا أرينال

ترجمة : جمال عبد الرحمن



٢٠٠٣

المشروع القومي للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٥٨
- الموريسكيون الأندلسيون
- مرثيديس غارثيا أرينال
- جمال عبد الرحمن
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة كاملة لكتاب :

Los Moriscos

Autora : Mercedes García Arenal

Editorial : Siglo XXI

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

7	مقدمة المترجم
13	تقديم ميغيل أنخيل بونيس
27	مقدمة المؤلفة
29	تطورات القضية الموريسكية
31	اتفاقية تسليم غرناطة
39	موريسكيو غرناطة
41	القصيدة التي أرسلها مسلمو الأندلس إلى السلطان العثماني طلباً لنجته ..
49	رسالة من فقهاء المغرب إلى إخوانهم من العرب المنتصرين
53	مذكرة السيد فرانثيسكو نونييث مولاي
63	نبوءة موريسكية
69	حرب البشرات
73	موريسكيو قشتالة
79	معركة بدر وحنين
97	شعائر الموريسكيين الدينية
	الاتهام والحكم فى قضية نظرتها محكمة التفتيش ضد الموريسكى
105	فرانثيسكو دى اسبينوسا
113	تنصير موريسكيي فالنسيا
115	تعليم موريسكيي فالنسيا العقيدة الكاثوليكية

- 137 قضية السيد/سانشو دى كاربونا
- 155 رأى أسقف سيغوربي فى الموريسكيين
- قضية نظرتها محكمة التفتيش ضد السيد/ كوسمى بن عامر وهو
- 167 موريسكى من فالنسيا
- 201 شكوك حول الموريسكيين
- 207 قرار محكمة تفتيش أراغون بحظر حمل الموريسكيين الأسلحة النارية..
- 211 أوضاع ومعاملات وأزباء وماكولات الموريسكيين طبقاً لما يرويه مؤلف أراغونى .
- رسالة السيد مانويل بونثى دى ايون إلى صاحب الجلالة بتاريخ ٢٨
- 217 أغسطس عام ١٦٠٩
- مذكرة حول طرد الموريسكيين أرسلها إلى البلاط الملكى الأب
- 225 سوبرينو فى سبتمبر ١٦٠٩
- 229 قرار طرد موريسكىي فالنسيا
- 233 رسالة ماركيز كاراثينا إلى صاحب الجلالة بتاريخ ٣ أكتوبر ١٦٠٩ ..
- نسخة من الرسالة الأصلية التى وجهتها بلدية مدينة مرسية إلى
- 235 جلالة الملك بتاريخ ١٧ أكتوبر عام ١٦٠٩
- 237 رسالة من موريسكى غرناطى أرسلها من الجزائر إلى مواطن من تروخيو..
- رسائل من كونت سالاثار إلى الملك يعرب فيها عن قلقه إزاء أعداد
- 239 الموريسكيين التى تعود إلى مواطنها بعد أن تم طردهم منها
- نسخة من الرسالة الأصلية التى بعث بها ككونت سالاثار إلى
- 241 سيادته (سكرتير الملك)
- موجز ومقتطفات من القضية التى نظرتها محكمة التفتيش
- 243 ضد ديفغودياث

مقدمة المترجم

نتحدث كثيرا عن الأندلس ونصوره كحلم جميل استيقظت أمتنا منه على واقع مؤلم ، لكن هذا الحديث لا يفيد شيئا ، فهو مجرد سرد عاطفى لواقعة هنا أو حدث هناك.

نتحدث كثيرا عن فضل العرب على العجم ، ونقول عن مخترعات الغرب إننا أصحاب الفضل فى وجودها ، إذ لولا علمائنا ما كان بإمكان أوروبا تحقيق التقدم العلمى الذى حققته ، نقول ذلك لكننا لا نشغل أنفسنا بإثبات هذه المعلومة.

ذات مرة كنت أطلع بعض الوثائق فى مكتبة مدريد الوطنية ووجدت بين يدى تقريراً كتبه مفكر إسباني أوفدته بلاده فى مهمة إلى بعض الدول العربية لعله يعثر فيها على مخطوطات مفيدة أو كتب نادرة تتعلق بتاريخ إسبانيا . عاد الرجل بعد أن أنجز مهمته ، وجاء فى التقرير الذى قدمه إلى حكومته: " لاحظت أمرين فى العرب: أولا حرصهم الشديد على اقتناء الكتب ، ثانيا: إن أحدا منهم لا يقرأ الكتب التى أجهده نفسه فى اقتنائها".

لعل هذا ما يفسر أننا نتحدث عن تاريخنا المجيد فى الأندلس أو حقوقنا السلبية فى مكان ما من العالم دون أن نقدم دليلا على ما نقول.

إن على من يريد التصدى لقضية ما أن يتسلح بالوثائق أولا ، ثم يقوم باستخلاص النتائج بعد ذلك. الوثائق: هنا بالضبط تكمن أهمية الكتاب الذى بين يدينا .

لا نظن أن هناك مبالغة إذا قلنا إن هذا الكتاب -بما يتضمنه من وثائق- يشكل الخطوة الأولى التى يجب أن يخطوها من يريد دراسة تاريخ الأندلس بعد سقوط غرناطة. هذا هو الدرس الأول الذى يقدمه لنا الكتاب ، فهو يعرض الاتفاقية التى وقعها أبو عبد الله الصغير و فيرناندو الكاثوليكي لتسليم غرناطة (إن اتفاقية تسليم غرناطة ،

بصيغتها التي يعرضها الكتاب، تشير إلى القوى الفاعلة الموجودة في ذلك الحين ، وتوضح - بما لا يدع مجالاً للشك - أن المفاوض المسلم كان مفاوضاً ناجحاً ولم يفرط أبداً في حقوق المسلمين الإسبان ، بل ولم يفته كذلك أن يدافع عن حقوق رعايا الدولة الإسلامية من اليهود . ربما يمكن أن نستخلص من التجربة الأندلسية هنا أن مستقبل أمة ما لا تضمنه مجرد اتفاقيات موقعة ، بل تماسك الأمة واستمرارها في امتلاك أسباب القوة.) كما يعرض الكتاب نماذج للقضايا التي نظرتها محاكم التفتيش (مما يساعدنا على إدراك أبعاد ملحمة صمود شعب الأندلس المسلم في وجه المحاولات الرامية إلى طمس هويته، ويبين أن عناصر المقاومة كانت تشمل الفقراء والأغنياء، والرجال والنساء) . كما يعرض مواقف المجتمع الإسباني من القضية ، وكيف أن بعض القادة كانوا يرون إمكانية التعايش بين أفراد المجتمع على الرغم من اختلاف الأديان (رأينا وثيقة تبين الدفاع المستमित عن المسلمين الذي أبداه بعض النبلاء الإسبان ، لدرجة أن يتطوع أحدهم بتشيد مسجد تقام فيه الصلاة) ، وكيف أن تركيا ومصر لم تكونا بعيدتين عن مجريات الأحداث (القصيدة التي أرسلها المورييسكيون إلى السلطان بايزيد الثاني تشير إلى تدخل مصر المملوكية لصالحهم). يبين الكتاب أيضاً الدرس العظيم الذي قدمه مفتي وهران: إن الفتوى التي أرسلها إلى أبناء الأندلس - وهي بعيدة كل البعد عن الجمود- يجب أن تدرس بعناية. تلك الفتوى الشهيرة أحدثت تاريخاً ، ويستحق صاحبها أن يسجل اسمه بين رجال الدين المتميزين. لقد أدت - ببساطة - إلى استمرار الإسلام في إسبانيا ما يربو على قرن من الزمان.

النتيجة الثانية التي نخلص إليها من قراءة الكتاب ربما تتمثل في إدراك أن جوانب قضية الأندلس متعددة ولا ينبغي تبسيطها. يخطئ المسلمون والمسيحيون على السواء إن هم ظنوا أن تاريخ الأندلس كان مجرد فترة صراعات انتهت لصالح أحد الفريقين ، وأن كل المسلمين كانوا يريدون الرحيل وأن كل المسيحيين كانوا سعداء بترحيل المورييسكيين. إن الوثائق التي يعرضها الكتاب تبين أن بعض المطرودين قد وجدوا راحتهم في البلاد التي نزحوا إليها ، أما البعض الآخر فقد صدم حين وقعت عيناه على واقع مر ، حين أدرك اليون الشاسع بين الإسلام بتعاليمه السمحة وبين بعض المسلمين الذين راحوا يفسرون الدين على غير أساس من علم ضروري لفهم

الدين فهماً صحيحاً. إذن فقد عاد بعض المسلمين إلى إسبانيا بعد طردهم منها ، وهذا معناه إما ضعف الوازع الدينى وإما أن المعاملة التى لقوها لم تكن مشجعة على الحياة فى بلد المهجر. يبقى أن نحدد نسبة هذا الفريق. تبين الوثائق كذلك أن بعضاً من عامة الشعب فى إسبانيا كانوا يتسترون على المسلمين العائدين.

الحديث عن سقوط دولة الإسلام فى الأندلس وما أعقب ذلك من عمليات تنصير إجبارى للمسلمين وكفاح المسلمين من أجل الحفاظ على دينهم ، ثم نزوح المسلمين إلى دول إسلامية وغير إسلامية..... هو مجرد معلومات ناقصة يجب علينا أن نكملها بمعلومات أخرى تضع الأمور فى نصابها الصحيح. الكتاب إذن يوضح أن قضية الموريسكيين أكثر تعقيداً مما يظن أحدنا ، إنها ليست مجرد قضية شعب طرد من أرضه بعد أن أجبر على اعتناق دين لا يؤمن به. لقد تجرأ البعض واتهم الموريسكيين بالتفريط ! ولو فرط هؤلاء فى دينهم ما تعين عليهم أن يتحملوا الأهوال التى مروا بها.

الكتاب يوضح أيضاً أن نسبة غير قليلة من الوثائق الرئيسية للقضية الموريسكية مكتوبة باللغة العربية ، وهذا يلقي باللوم على الباحث العربى إن هو تخلف عن البحث فى هذه الوثائق والمشاركة الفعالة فى تحليل ما حدث فى الأندلس واستخلاص العبر.

إحدى الوثائق التى يعرضها الكتاب تبين إلى أى مدى تأثر المسلمون فى الأندلس بالمسيحيين ، لدرجة أن بإمكاننا أن نتحدث عن وجود مؤثرات غير إسلامية فى إسلام الموريسكيين. الحديث عن نبوءات تشير إلى مستقبل الأندلس يقودنا إلى الحديث عن نبوءات مشابهة زعم القوط وجودها وقالوا إنها تتوقع قدوم المسلمين إلى شبه الجزيرة. ونضيف هنا أن الرسالة التى يقول صاحبها إنه الشيخ أحمد وإنه خادم الروضة الشريفة وإنه رأى النبى (صلى الله عليه وسلم) فى المنام وإنه كلفه بإبلاغ رسالة إلى الناس..... هذه الرسالة وضعها المسلمون فى إسبانيا بعد سقوط الأندلس ، وما هى إلا تقليد لرسالة زعم المسيحيون فى أوروبا خلال العصور الوسطى أنها هبطت عليهم من السماء (١) .

بعد هذا الاستعراض للوثائق التى يقدمها الكتاب أكاد أجزم بأنه يلخص كل أبعاد القضية الموريسكية ، وإن كنت -إحقاقاً للحق- أشير إلى جانبين هامين من

جوانب القضية لا يتعرض لهما الكتاب ولم يتم تناولهما إلا مؤخراً: الموضوع الأول يتعلق بمسألة الوجود الإسلامى فى أمريكا الجنوبية بعد نزوح عدد من الموريسكيين إليها. إن العثور على مخطوطات ذات موضوعات إسلامية ، وتوافر معلومات عن عدة قضايا نظرتها محاكم التفتيش فى أمريكا الجنوبية، بالإضافة إلى تعاقب الأوامر الملكية بحظر سفر المسلمين إلى العالم الجديد... كل ذلك يؤكد أن الإسلام كان موجوداً فى أمريكا الجنوبية منذ لحظة اكتشافها. ولنا أن نشير إلى أن الأبحاث التى تنشر حالياً تعضد ما نقول^(٢) . أما الموضوع الثانى فهو خاص بالجدل بين المسلمين والمسيحيين من عامة الشعب ، وكان الجدل يدور أحياناً داخل السجن بين المسلمين والبروتستانت (لم يكن مسموحاً حينذاك إلا المذهب الكاثوليكي) . وقد خلف الموريسكيون عدة مخطوطات تعالج هذا الموضوع ، وبرز منهم كثيرون فى هذا المجال. (٣) .

يبقى أن نتعرف على مؤلفة الكتاب. لقد اكتفت بجمع الوثائق وكتابة بضعة سطور عن كل وثيقة ، وكان بوسعها أن تكتب الكثير ، فهى أستاذة بالمجلس الأعلى للبحث العلمى بإسبانيا وواحدة من أبرز المتخصصين فى موضوع الموريسكيين^(٤) الذى يدخل فى نطاق اهتمامها بتاريخ الإسلام الأندلسى والعلاقة بين المغرب وإسبانيا ، وقد حاضرت فى هذه الموضوعات بجامعة مدريد المركزية وأشرفت على العديد من رسائل الدكتوراه.

لا أستطيع أن أنهى التقديم لهذا الكتاب دون توجيه شكر خاص إلى الباحثة مريثيديس غارثيا أرينال التى أشرف بالتعاون معها منذ سنوات ، فبمجرد أن عرضتُ فكرة ترجمة الكتاب إلى العربية أبدت حماساً شديداً ، وقدمت لى كل أنواع المساعدة ، وتابعت عملية الترجمة أولاً بأول ، وكنت أعود إليها لى تشرح لى فقرة غامضة أو تعبيراً لم يعد مستعملاً فى اللغة الإسبانية الحديثة .

الهوامش

(١) لدينا صورة من المخطوطة التي خلفها الموريسكيون وتحديثها فيها عن رؤيا الشيخ أحمد المزعومة ، ونرى أن المخطوطة تعود إلى عام ١٥٩٧ ، وقدما بحثا عن هذا الموضوع بعنوان "رسالة موريسكية إلى العالم: قراءة في مخطوطتين بالمكتبة الوطنية بمدريد" ، في المؤتمر العاشر للدراسات الموريسكية (تونس) انظر أعمال المؤتمر العاشر ، زغوان ، تونس ، ٢٠٠٣ ، ص ٥٣ - ٦١

(٢) في السنوات الأخيرة عثر على مخطوطات موريسكية في عدة أماكن بأمريكا الجنوبية : على سبيل المثال: مختصر الأوامر والنواهي في السنة النبوية ، لعيسى بن جابر مفتى سيفوبيا ، الذي عثر عليه في المكسيك. راجع كذلك ترجمة د. عبد الجليل التميمي لكتاب لوى كارداياك " الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون: المجابهة الجدلية (١٤٩٢ - ١٦٤٠) " ، والكتاب يتضمن ملحقا عن الموريسكيين في أمريكا الجنوبية. انظر أيضا:

د. جمال عبد الرحمن: "الثقافة العربية الإسلامية في أداب أمريكا الجنوبية"، كتاب تكريم الدكتور سوليداد كراسكو دي أورغويتي ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ١٩٩٩ ، الجزء الثاني ، ص. ٣١ - ٥٧

Garcia Arenal: "Moriscos e indios. Para un estudio comparado de medios de conquista y evangelización.", *Chronica Nova*, Num. 2, 1992, Universidad de Granada.

(٣) راجع كتاب لوى كارداياك المذكور. انظر على سبيل المثال أيضا أشعار خوان ألونسو أراغونيس (المخطوطة ٩٠٦٧ بالمكتبة الوطنية بمدريد والتي أشار إليها د. رضا مامي ، أعمال المؤتمر الخامس للدراسات الموريسكية ، المجلد الأول، ص. ٤٦٧ - ٤٧٥) .

(٤) نذكر من دراسات المؤلفة : *Los procesos del Tribunal de Inquisicion y moriscos.* : Cuenca, Madrid, Siglo XXI, 1978.

Moros y judios en Navarra en la Baja Edad Media, Madrid, Hisperion, 1984.

Los españoles y el Magreb en los siglos XV a XVIII, Madrid, Mapfre, 1992.

Entre el Islam y Occidente, vida de Samuel Pallache, judio de Fez, Madrid, Siglo XXI, 1999.

تقديم

مغيل أنخيل بوئيس

(المجلس الأعلى للبحث العلمى - مدريد)

استخدم الموريسكيون على مدى القرون الماضية - خاصة فى العقود الأخيرة - كمادة لدراسة الخواص السياسية والاجتماعية والثقافية لإسبانيا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر بالإضافة إلى كتابة تاريخ حياتهم ومأساتهم. إن دراسة أوضاع هذه الأقلية تمكنا من تحديد خواص مجتمع ما من وجهة نظر المختلفين معه، من وجهة نظر من هم أقل أو من وجهة نظر المهتمين. إن وجود مجموعة من البشر مختلفة بسبب الدين والعادات اليومية - بين مجتمع يقول بوضوح إنه يتميز بخواصه الثقافية والعقائدية - يمثل فرصة للمؤرخين ولعلماء اللغة والباحثين فى مجال الدين أو فى عالم الفكر، هذا التواجد يجعل من الممكن وضع حد بين ما هو أصلى وما هو غريب، بين ما نراه يتمشى مع القاعدة - أى ما هو شرعى - وما هو غير شرعى. بغض النظر عن مصير الموريسكيون التعيس ، وبغض النظر عن اختفائهم كموضوع بحث بعد نفيهم الإيجبارى فإننا مدينون لهم بوجود نقاش بناء ومثمر حول الواقع التاريخى لإسبانيا فى الفترة التى كان فيها ذلك الواقع يتخذ شكله النهائى الذى اتصفنا به ، والذى وصفنا الآخرون به. إن عدم وجود مشكلة واحدة لأولئك الموريسكيين - بل عدد من المشاكل يماثل عدد الممالك والمناطق والأقاليم التى استقروا فيها أو رحلوا إليها - يمكن اعتباره ضربة قاصمة موجهة إلى من يقولون بوجود مملكة إسبانية واحدة مترابطة شديدة التماسك. وحتى وقت قريب - بل وفى دراسات معاصرة - كان المنصرون قسراً يستخدمون كدابة لمطالبات ومراجعات تتعلق بمجموعة ما ، وليست لها علاقة بالقضية الموريسكية.

ورغم أن " القضية الموريسكية " تقدم فى كتب التاريخ الإشباني الحديث على أنها مشكلة هامشية ، إلا أن الكتابات التاريخية حول هذا الموضوع تميزت بوجود عدة

اتجاهات وبالذراع عن مواقف سياسية ، وتحديد الشخصية الوطنية لإسبانيا ، بل وتقديم مبررات دينية واجتماعية وسياسية. إن هذه المجموعة البشرية كانت -إلى حدٍ ما- أداة استخدمت في تأملات خاصة بهذا العصر ، ولا علاقة لها بالقرنين الخامس عشر والسادس عشر. إن الموريسكيين - كآثر أخير من الأندلس الزائل - كانوا كرماء مع الباحثين الذين اقتربوا منهم ، كما تدل على ذلك كمية الأبحاث الكبيرة التى نُشرت فى الوقت الحاضر. إن ما يربو على قرن من الزمان من التعايش مع الموريسكيين قد أدى إلى وجود كم هائل من الأبحاث المنشورة والمخطوطة كتب معظمها " مسيحيون قدامى " باللغات الأوروبية ، وتوجد هذه الأبحاث فى المكتبات والأرشيفات، وللأسف فإن المدجنين لم يحظوا بهذا القدر من الاهتمام، وهذا يرجع إلى قلة الوثائق المتعلقة بهم ، وإلى صعوبات لغوية أو إلى قلة جاذبية الموضوع : فتاريخ المدجنين ليست فيه مفاجآت، ولا ينتهى تلك النهاية المثيرة. نستطيع أن نؤكد - دون مبالغة - أن القائمة الطويلة من الأبحاث عن الموريسكيين قد حولتهم إلى مخلوقات ليس لها وجه : فنحن نعرف كيف كانت ملابسهم ، وما هى الحرف التى كانوا يمارسونها ، ومحتوى أوانى طبخهم ، ولهجاتهم العربية والأيبيرية ، وبعضاً من أسمائهم. إن الظلم الذى تعرض له الموريسكيون تصوّره كمية ضخمة من الأبحاث، هذه الأبحاث تحول معها المسيحيون القدامى - عدا أصحاب السلطة الرسمية - إلى شخصيات مجهولة مقارنة بالموريسكيين الذين نعرف عنهم أدق التفاصيل. هذا لا يعنى أن ضحايا الأمس قد تحولوا إلى جُناة اليوم ؛ بل يؤكد أن جاذبية الأقلية المضطهدة قد حركت فضول الباحثين.

يمكن تناول القضية الموريسكية من عدة جوانب ، بعضها قديم والآخر حديث، مثل تاريخ الأقاليم ، والتاريخ المحلى الذى يستند إلى تحليل آليات السلطة ، وكيفية اتخاذ القرار فى العهد القديم، ويمكن أن يفيد ذلك فى إعداد كتاب عن العادات أو قصة رعب أو عن مراجعة المفاهيم المسيحية الإسلامية أو عن وصفات لكيفية إعداد أكالات . إننا إزاء مجموعة من الناس تشكل جزءاً من المجتمع الإشباني خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ولسنا إزاء مجموعة سياسية أو عدو عسكري ، أو مجموعة تشكل تهديداً مباشراً لحكم عائلة أوسترياس. إن عظمة الموريسكيين - فى إطار أهميتهم المحدودة - تكمن أيضاً فى أنه من الممكن اعتبارهم جزءاً مرفوضاً من المجتمع الذين كانوا يعيشون فيه ، على أنهم مجموعة بشرية تدافع عن

الإمبراطورية المعادية للإمبراطورية الإسبانية فى البحر المتوسط ، فى كونهم خصما محتملا فى حالة زحف الإسلام إلى أوربا ، فى أنهم عامل يقوض الأسس الاقتصادية وأسس تقسيم السُّلطة فى شبه الجزيرة. لهذا كله نؤكد أهميتهم فى إطار تاريخ إسبانيا .

الموريسكيون أقلية ليس لها تاريخ قومى بعد اختفاء السُّلطة الإسلامية فى شبه الجزيرة ، ذلك لأن تلك الأقلية عاشت بين وطن استوعبها ، و على مدى عقود قليلة فقط كانت لهذه المجموعة مميزات خاصة وجدت فى جبال البشترات ، ولم توجد فى حى البيازين الغرناطى . خلال تلك السنوات التى اختفى فيها ضغط الأغلبية ، لعدم جدوى تلك الضغوط، كان تاريخ الموريسكيين عبارة عن تاريخ مجتمع ريفى يسير وفق فصول السنة الزراعية أكثر مما يسير وفق أفكار الثورة أو وفق التعاليم الدينية ، ولم يكن للصفة الدينية دور واضح إلا خلال ثورة عام ١٥٧٠ . فيما عدا هذا الفاصل الزمنى الذى برزت فيه زعامات للأقلية الموريسكية فى أماكن محددة ، كانت الأقلية بلا قيادة، وكانت لها خواص إقليمية محددة، وهذا ما يجعل من الممكن إجراء دراسة اجتماعية ونفسية عنهم. هذه الدراسة لا يجب أن تستند فقط إلى تاريخ السلطات المسيحية والسياسية باعتبارها المرجع الوحيد؛ لأن ذلك سيؤدى إلى وجود أحكام جزئية ناقصة.

إن واقع الموريسكيين لابد أن يدرس عبر تحليل وثائقهم. إن إعادة طبع كتاب هدفه الوحيد " إعطاء كل من يهتم بالقضية الموريسكية - أو يحاول إعداد دراسة حول جانب منها - قاعدة بيانات ووثائق تتيح له الإلمام بالجوانب الرئيسية للمشكلة وتساعد على البدء فى العمل " ، إعادة طبع كتاب هذا هدفه ليست عملاً هزلياً ، إنما هو عمل لا غنى عنه حتى لا نتجاهل المصادر الحقيقية للبحث. إن إعداد طبعة حديثة لنصوص رمزية تتضمن وثائق هو شكل من أشكال تدعيم الدراسات الموريسكية. وكتاب مرثيديس غارثيا أرينال الذى نُشر عام ١٩٧٤ هو واحد من الكتب التى أُنذركها بشوق، وأشعر نحوها بالامتنان ، فقد بدأنا - نحن الباحثين الشبان - من خلال صفحاته دراسة الأقلية الموريسكية : إذ بين لنا الكتاب تعدد جوانب المشكلة التى كنا نلظنها مشكلة سهلة حدثت فى إسبانيا أيام حكم أسرة أوسترياس. عادةً تأتى الوثائق والمراجع لكى تدعم بحثاً ، وتحتل المرتبة الثانية بالنسبة للأشخاص الذين لم يعتابوا

إعداد موضوع استناداً إلى الوثائق. ومع ذلك ففي هذا النوع من الكتب تظهر موهبة الباحث. إن تلخيص تاريخ قرن كامل استناداً إلى ثمانية وعشرين وثيقة دليل على دراية الباحثة بالمشكلة التي تتعرض لها ، وبالفعل نحن أمام واحدة من أكثر الباحثين تخصصاً في هذا الموضوع. والخطة التي وضعتها الباحثة منطقية جداً، فهذا ما تتطلبه الوثائق المعروضة ، وهذا ما قام به بعد ذلك كل من أنطونيو دومينغو أورتيث ، وبيرنارد فينثينث (*) في كتابهما " تاريخ الموريسكيين. حياة ومأساة أقلية". إن دراسات الباحثين المذكورين في هذه الفقرة - بالإضافة إلى باحثين آخرين في هذا العقد - قد حددت الاتجاهات الحالية في دراسة القضية الموريسكية. وفي الوقت الذي كانت تهمل فيه المهارات الشخصية ظهرت أبحاث كتبها الجيل الجديد ، تعلمنا منها وعوضنا بها نقصنا. قد يبدو هذا الوصف مبالغاً فيه؛ لأنني أتحدث عن الكتاب الذي يكتفى بعرض وثائق ، ولا أذكر مؤلفات الباحثة في هذا المجال، لكن هذه المبالغة لها ما يبررها بالنظر إلى الصفحات التالية .

رغم أن فهرس الكتاب والمقدمة الموجزة التي تسبقه لا يشيران إلى تصنيف للوثائق حسب الموضوعات إلا أن الوثائق يمكن تقسيمها جغرافياً أو زمنياً. الفصل الأول هو بداية المشكلة الموريسكية ومحلها هو الأراضي التي كانت المشكلة فيها بسيطة. إن المجتمع الاستعماري الذي استقر في غرناطة - وفق رأي خوليو كارو باروخا - كان يحول بين الوفاء بمعاهدة تمت وفق مفاهيم عصور أخرى. كان المجتمع الموريسكي يشعر بضغط جماعة مسيطرة ، وكان يبحث لنفسه عن مخرج. إن استمرار عقائد وعادات الموريسكيين كان في نظر السلطات السياسية والدينية أمراً محالاً ؛ ولهذا فقد أدانت تلك السلطات الحياة الموريسكية بما فيها من ممارسة للشعائر الإسلامية سرّاً ، وبما فيها من نبوءات وأساطير ، واتصال سياسي بسلطة إسلامية كانت مرشحة لتكون قوة أوربية ومتوسطة. إن ثورات الموريسكيين وحروبهم واتصالهم بالعثمانيين والمغاربة كان امتداداً للحياة تحت حكم بنى نصر.

المشكلة الثانية حول الموريسكيين والتي يجب مناقشتها - وهي مشكلة لم تحل بعد كلياً - هي صفتهم كمسلمين. هذا الموضوع - مثله كمثله القمع الذي تعرضوا له - قد

(*) توجد ترجمة عربية للكتاب قام بها د. عبد العال صالح (تقديم وتنقيح محمد محي الدين الأصغر) ونشرت في دار الإشراف (قطر) عام ١٩٨٩ (المترجم) .

نوقش استناداً إلى وثائق محكمة التفتيش ، وإلى النصوص الالخميدية القليلة المحفوظة حالياً. إن نوع المصادر المستعملة - خاصة ملفات محكمة التفتيش- قد جعل بعض الباحثين يبدون قلقهم إزاء " تسميم المصادر" التى تدرس المجتمع الموريسكى وعلاقته بالمسيحيين. ويكمن أساس المشكلة فى تقدير نجاح سياسة استيعاب الموريسكيين ، والتفرقة بين " الاستيعاب" و " التنصير" ، وتعريف الموريسكيين وفقاً لخصائصهم الثقافية التى تميزوا بها خلال السنوات التى سبقت عملية الطرد من إسبانيا. إن توزيع الموريسكيين بين الأقاليم المختلفة ، واختلاف تطوهرم وفقاً للأقاليم ووفقاً لمستوى تفكير السلطات المحلية إلخ ؛ كل ذلك يجعل عملية تحديد المشكلة مسألة معقدة تماماً كمسألة تحديد عدد الذين طردوا ومصيرهم فى المنفى، وبشكل الموريسكيون لغزاً مرة أخرى؛ لأنهم ليسوا مجموعة ذات صفات متشابهة ، بل هم مجموعات مختلفة : اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً ودينياً وجغرافياً وحرفياً وعسكرياً وعنصرياً وسياسياً.

هذه الاختلافات لا يتصف بها الموريسكيون فقط ، بل تتصف بها كذلك المجتمعات التى عاشوا فيها ، والتى شكلوا جزءاً منها. ويمكن النظر إلى القضية الموريسكية على أنها مشكلة إسبانية بحتة كامتداد فى العصر الحديث لأوضاع العصور الوسطى ، ويمكن النظر إلى الموريسكيين على أنهم أكبر خطر هدد قيام الدولة الإسبانية وحكم أسرة أوسترياس ، وعلى أنهم أحد عناصر الصراعات الدينية فى أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وعلى أنهم نموذج لصراع الحضارات والصدام بين المسيحية والإسلام. كل تصور من التصورات السابقة يمثل رؤية صحيحة ومفيدة ، هذا ما تؤكده الأبحاث الرائعة الموجودة لدينا حالياً. المهم ألا نعمم النتائج استناداً إلى وثائق جزئية.

النقطة الثالثة التى تتعرض لها وثائق مرثيديس غارثيا أرينال هى موريسكيو فالنسيا، وهؤلاء يشكلون مجموعة لها خواص مميزة ترجع إلى المعاهدات التى وقعت فى العصور الوسطى، وإذا كانت مشكلة مسلمى غرناطة قد نشأت عام ١٤٩٢ فإن مشكلة أهل فالنسيا يعود أصلها إلى الفترة التى كانت فيها هذه الأراضى تابعة لتاج أراغون. إن دراسة الأقليات فى قطلونيا وأراغون وفالنسيا وفى بعض مناطق قشتالة

يتيح لنا التعرف على تاريخ النصارى المقيمين في بلاد المسلمين وتاريخ المسلمين المقيمين في بلاد النصارى؛ ويتيح لنا بذلك التعرف على الملامح الأندلسية التي انتقلت إلى الممالك المسيحية ، كما يتيح لنا معرفة نُظُم الإنتاج في العهد القديم والتعرف على خواص أقلية تعيش وسط أغلبية ترتبط بها .

فالنسبى هو المكان الذى يمكن أن نتعرف فيه بشكل أوضح على صروف الدهر وتقلباته مع الأقلية المسلمة ، وعلى الجهود الذى بذلته الكنيسة من أجل تنصير المسلمين هناك، وذلك بفضل وجود مدرسة بدأها خوان ريغلا. إن مراجعة الكتابات التاريخية عن فالنسيا وقطالونيا وأراغون ربما تمكنا من الحديث عن تدخل العناية الإلهية ، وعن النقاش حول اندماج الأقلية فى ثقافة الأغلبية، وعن دراسة طبقة النبلاء ، وعن الخواص الاقتصادية للنظام القديم ، وعن الهوية الثقافية للأقلية المسلمة ، وعن دراسة لغة وعادات الموريسكيين.

تشكل كل من غرناطة وفالنسيا أساس القضية الموريسكية ؛ فهما المملكتان اللتان عاش فيهما عدد كبير من الموريسكيين ، ومن ثم استطاع الموريسكيون فى كل منهما الحفاظ على عاداتهم ولغتهم ، وهذا قد سمح بصياغة نظريات مختلفة ، بل ومتناقضة. هذا الجدول وهذه المواقف - التى كانت تبدو متناقضة - قد أدت إلى وجود تأملات حول الثقافة والمجتمع والاقتصاد خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، هذه التأملات تجاوزت حدود الأقلية الموريسكية لتشمل المجتمع بأسره، وقد دفع هذا التشبث بالرأى والدفاع عن مواقف مسبقة حول الواقع التاريخى ؛ أدى ذلك إلى تأملات كان من شأنها تغيير الأسس التى بنيت عليها الكتابات التاريخية الإسبانية. إن الموريسكيين يشكلون أقلية ومجموعة بشرية مهمة ؛ لكن دراستهم أدت إلى قيام ثورة فى الجدول العلمى حول الدراسات الإنسانية. إن ظهور دراسات تحمل كل منهما عنوان " الوضع الحالى للقضية " ، وظهور قوائم مراجع ووثائق فى هذا المجال معناه أننا بحاجة إلى ملء فراغ واضح فى الوعى المعاصر. هذه الأهمية لم يشعر بها أحد للأسف ، إذ ركز بعضهم اهتمامه على الموضوع الأصغر دون أن يدرك أن كثيراً من الباحثين حول الموضوع - مؤلفة الكتاب على سبيل المثال - قد فتحو مجالات جديدة فى قضايا أكثر اتساعاً. لقد استحوذ الموريسكيون فى القرون الأخيرة على اهتمام

كثير من الشخصيات التي اهتمت برسم الخطوط العريضة لتطور العلوم التاريخية والسياسية فى إسبانيا ؛ وعليه فإن التعرض لهذا الموضوع يشكل اقتراحاً من ماضينا .

يتضح ذلك تماماً عندما نتحدث عن الوثائق التي جمعتها المؤلفة - والتي تتحدث عن المشاكل التي تحدث يومياً بين جماعتين، ثم الحل النهائي الذي فرضته الأغلبية على الأقلية - وهذا يتيح لنا أن نسجل وقائع الفشل أو عدم التفاهم أو عدم وجود اتجاهات واضحة أو التبريرات السياسية والدينية لقرار لم يُبرر بعد، ويتيح لنا دراسة التغيرات الاقتصادية والديموغرافية التي حدثت فى بعض الأقاليم الإسبانية فى القرن السابع عشر. ما ذكرناه سابقاً يتعلق بمأساة الأقلية ومأساة الأغلبية على السواء ؛ لكنه أدى أيضاً إلى أن يقوم المستعربون والمستشرقون وعلماء اللغة والمؤرخون الأوروبيون والمغاربة وعلماء الدين الإسلامى وعلماء الاقتصاد - أن يقوم كل هؤلاء بتوسيع مجال الدراسة. وكما أن بعض الكتابات التاريخية المتعلقة بالموريسكيين تعرضت للفشل فإن الاتجاهات الجديدة أيضاً تضمنت - أحياناً - تصورات جزئية للمشكلة ، لكن هذا كله لا ينفى التقدم الذى منحه الموريسكيون لمجالات الدراسة.

الموضوع الأخير الذى نتعرض له الوثائق هو المنفى ومصير الموريسكيين عندما أُجبرهم قرار الطرد على الحياة فى بلاد الإسلام. يتحول الموريسكيون مرة أخرى إلى أداة لدراسة تاريخ الأمم الأخرى ، وإلى دراسة عالم البحر المتوسط فى العصر الحديث. إن تعريف ما حدث فى هذا البحر المشترك على أنه صراع حضارات يروق للبعض ؛ إذ يبدو أنه بعد معركة ليبانتو ، ونهاية توسعات الإمبراطوريات ظل المجال خالياً . إن الموريسكيين يمثلون إحدى القضايا التي جعلنا نؤكد أن القول السابق لا يتفق تماماً مع الحقيقة. إن تغيير المسارات التجارية والطرق الجديدة التي كانت تسلكها القوات العسكرية لا تعنى نهاية عصر أو نهاية حياة منطقة جغرافية. إن الموريسكيين يمثلون دليلاً على عدم صواب هذا الحكم.

عاد الموريسكيون إلى احتلال موقع الريادة ، ففى السنوات الأخيرة أعادت دار النشر هذه طبع عدة كتب قديمة صدرت حول القضية الموريسكية. إن كتب باسكوال برونات وفلورينثيو خانيير وغيرهما قد تجاوزتها الأبحاث الحديثة ، وإن كنا لا يجب أن نغفل آراء المؤلفين السابقين أو المعلومات التي وردت فى كتبهم، أما كتاب مرثيديس

غارثيا أرينال فهو كتاب يبين لنا أهمية الأحداث من خلال الوثائق ، وهنا تكمن عظمتة. إن كثيراً من المخطوطات التي نقلتها المؤلفة في كتابها لا تزال إلى اليوم تخرج إلى النور كإسهامات جديدة في مقالات وأبحاث تُلقى في المؤتمرات ، وهذا هو وضع " القصيدة الموريسكية التي أرسلت إلى السلطان العثماني " على سبيل المثال ، وهذا دليل على أن بعض الكتابات لا تزال بعيدة عن إدراك ما نُشر حول الموريسكيين . إن القضية الموريسكية - شأنها في ذلك شأن قضايا أخرى - ربما تسمح ببناء قصور في الهواء ، لكن هذه القصور يهدمها الواقع ، وتحضها الوثائق. وإذا كانت الوثائق معبرة عن الموضوع الذي سندرسه ؛ فإننا نكون بذلك أمام أداة بحث لا غنى عنها. هذه الوثائق يمكن أن تكون نواة لأبحاث أخرى. إن تلخيص تاريخ الموريسكيين كله في عشرين وثيقة يمكن اعتباره مخاطرة ، إذا وضعنا في الاعتبار مئات الدراسات المنشورة حول الموضوع. وعلى العكس من ذلك فإذا قرأنا الوثائق المعروضة قراءة متأنية فإن بإمكاننا أن نتبين وجود تيارات مختلفة في ذلك العصر هي التي أدت إلى نشأة التيارات الحديثة في التاريخ الموريسكي. لا يزال تاريخ الموريسكيين موجوداً في الأرشيفات والمكتبات ، ومن ثم فإن جمع الوثائق في كتاب يجعل الاهتمام بهذا الموضوع مستمراً.

إن الوثائق التي يتضمنها كتاب غارثيا أرينال تسمح لنا أيضاً بالاقتراب من الفترات والاتجاهات التي تميزت بها الكتابات التاريخية عن الموريسكيين. من الطبيعي أن يهتم الكتاب بتلك الوثائق الأصلية التي تتناول الأحداث الأولى والنزاعات بين الجماعات الإسبانية بدءاً بثورة البشرات (ديفغو أورتابو دي مندوثا : " حرب غرناطة التي قادها ملك إسبانيا ضد موريسكي تلك المملكة " ، لشبونة عام ١٦٢٧ ، ولويس ديل مارمول كارباخال: " ثورة موريسكي غرناطة وعقابهم " ، ملقة عام ١٦٠٠ ، وخنيس بيريث دي إيتا " الجزء الثاني من الحروب الأهلية في غرناطة " كوينكا عام ١٦١٤). هذه الكتب الثلاثة تحكي لنا قصة الحرب من وجهات نظر مختلفة، وجهة نظر شخص قريب من السلطة ، وجهة نظر شخص قريب من الجانب المسيحي ، وهو الجانب القوي في النزاع ، وجهة نظر جندي عاش فترة من الأسر في المغرب، وجهة نظر أديب وظف الواقع لكي يكتب لنا رواية موريسكية.

إن وصف النزاع - الذى يمكن أن يُسمى حرباً أهلية فى إسبانيا فى نهاية القرن السادس عشر - أن يكون دفاعاً عن مواقف متباينة ؛ بل سيحدد الأطراف والجزئيات. إن تعثر عملية التعايش بين الجماعتين - على الأقل من وجهة نظر دعائية - سيكون موضوع دراسات ظهرت إبان السنوات القريبة من قرار الطرد. هناك - بالإضافة إلى وثائق محاكم التفتيش - كتب تتبنى وجهة نظر " المسيحيين القدامى " مثل كتابى خايمي بليدا *Defensio Jidel in causa neophytorum* (فالنسيا ١٦١٠) ، " تاريخ مسلمى إسبانيا " (فالنسيا ١٦١٨) ، وكتاب بدرو أثنار كاربونا " الطرد العادل لموريسكى إسبانيا " (اويسكا ١٦١٢) ، وكتاب داميان فونيسكا " الطرد العادل لموريسكى إسبانيا " (روما ١٦١٢) ، وكتاب ماركوس دى غوادالاخارا " طرد ونفى موريسكى إسبانيا " (بمبلونه ١٦١٣) ، وكتاب " نفى موريسكى قشتالة " (بمبلونه ١٦١٤) وكتاب خوان دى ريبيرا " طلب لطرده للموريسكيين " (١٦١٢) ، وكتاب خوان لويس روخاس " العلاقة بين بعض الأحداث الأخيرة فى بلاد البربر، و خروج الموريسكيين من إسبانيا " (لشبونة ١٦١٣) . عبر صفحات هذه الكتب نجد دفاعاً عن قيم المسيحيين القدامى فى مواجهة أولئك الذين يدعمون جيوشاً قادمة من شواطئ البسفور. إنه أدب دعائى يحاول أن يثبت أن قرار الطرد عادل، رغم أن هذا القرار لم يتفهمه الأجيال الحالية حتى الآن. أولئك الرجال - ومعظمهم من رجال الدين - يقدمون وجهة النظر الرسمية ، ويلبسون قرار الطرد ثوباً فكرياً ؛ لكنهم لا يفسرون لنا الدوافع التى أدت إلى اتخاذ القرار. هنا يكمن السر فى أن الموضوع الموريسكى لا يزال مستمراً بعد أن كُتبت عنه آلاف الصفحات: إن التساؤلات المطروحة لم يُجب عنها أحد بشكل يرضى.

هذه التساؤلات التى لم يجب عنها أحد قد طرحها التأريخ الإشباني فى القرن التاسع عشر. كان المعتاد فى الماضى - حتى سنوات قليلة - هو تعريف ذلك العصر وفقاً للتوجهات الفكرية للمؤرخين الذين تناولوا القضية الموريسكية. يمكننا إذن أن نتحدث عن التقدميين أمثال : خانيرو ، وليا ، ومونيوت ، وغابيرا ، وموديسكو لافوينتى ، وعن المحافظين أمثال : مينيديث بيلايو ، وباسكوال برونات ، ومانويل دانييلا ، وكاينوباس ديل كاستيو. وقد تحدث عن هذا التصنيف كل من رفائيل بنيتيث سانثيث (فى مقدمة

كتاب ليا: "الموريسكيون الإسبان. تنصيرهم وطردهم"، اليكانتى (١٩٩٠)، وريكارديو غارثيا كارثيل (فى مقدمة كتاب باسكوال برونات "الموريسكيون الإسبان وطردهم"، جامعة غرناطة ١٩٩٢). وقد تركز الجدل فى هذه السنوات حول موضوع تقبل المسيحيين القدامى للمسلمين ، وقد أدى هذا الجدل إلى مراجعة أسس وصفات المجتمع الإسباني فى العصور الوسطى ، وخاصة إبان حكم أسرة أستورياس. إن الوثائق التى جُمعت تمكننا من دراسة النظام السياسى الذى أرسته الملكية ، وتمكننا من تحليل دور الكنيسة و محكمة التفتيش فى المجتمع الإسباني خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقد بدأ القرن بنشر دراسات وجهت انتقادات شديدة إلى تصرفات فيليبي الثالث وبوق ليرما ، وانتهى برء فعل جيل الإصلاح ، وهذا يشير إلى التغييرات التى طرأت على النظام الليبرالى الإسباني خلال قرن من الزمان.

يجب أن نذكر - بشكل خاص - تلك الدراسات التى صدرت فى العقد الذى يبدأ عام ١٩١٠. إن اكتشاف مكتبة موريسكية كاملة مكتوبة بالأخمينادو فى إحدى قرى سرقسطة جعل المستعربين يدرسون الموريسكيين . إن فهرسة محتوى مكتبة المجموعة - وهو عمل قام به خوليان ريبيرا وأسين بلاثيوس - يُعد بداية لدراسة ثقافة الأقلية من خلال ما كتبه مؤلفو الأقلية أنفسهم. من المهم هنا أن نذكر ذلك الكتاب الذى وضعه بدرو لونغاس عن الشعائر الإسلامية تحت عنوان " حياة الموريسكيين الدينية" (*) (مدريد ١٩١٥) ، ومن المهم كذلك أن نبرز اهتمام علماء اللغة بجماعة وصفت قديماً بخلوها من الثقافة والأدب.

إن عصر تجديد الدراسات الموريسكية - أو بداية التأريخ الحديث للموريسكيين - يدين بالفضل لذلك الجدل الذى دار بين أميريكو كاسترو وسانشيث ألبرنوث حول الواقع التاريخى لإسبانيا ، ومدين لجهود أعضاء مدرسة مجلة Annales الفرنسية مثل فيرناند براوديل صاحب كتاب " حوض البحر المتوسط فى عصر فيليبي الثانى " ، وهنرى لابير صاحب كتاب "جغرافية إسبانيا الموريسكية" (باريس ١٩٥٩) ، ومدين كذلك للتأثيرات

(*) ترجمنا الكتاب إلى اللغة العربية وقد نُشره مركز الدراسات الموريسكية (زغوان - تونس) عام ١٩٩٢ (المترجم) .

(**) نعد الآن ترجمة لهذا الكتاب الهام نأمل أن ترى النور قريباً ضمن إصدارات المجلس الأعلى للثقافة (المترجم) .

التي أحدثتها مقالات خوان ريفلا التي جمعت في كتاب "دراسات حول الموريسكيين" (برشلونة ١٩٧٠)، وكتاب "موريسكيو مملكة غرناطة" لخوريو كارو باروخا (**).

بدأت دراسة القضية الموريسكية من قبل باحثين ذوي اتجاهات مختلفة، فقد درس المستعربون الأدب الألفمبانو، وكان على رأسهم البارو غالميس دي فوينتيس، وبدأ دارسو الأدب واللغة الإسبانية في تحليل الجدال الديني بين الجماعتين، وكان على رأس هؤلاء لوى كارداياك ("الموريسكيون والمسيحيون: المواجهة الجدلية ١٤٩٢ - ١٦٤٠")، أما المستعرب ميكيل دي ايبالنا؛ فقد كرس جهده للبحث عن آثار الموريسكيين في المغرب في "دراسات حول الموريسكيين الأندلسيين في تونس" بالاشتراك مع رامون بتيت (مدير ١٩٧٣) كما قامت مرثيدس غارثيا أرينال بدراسة مجموعة محلية من خلال وثائق محكمة التفتيش في كوينكا، وذلك في كتاب "محكمة التفتيش والموريسكيون: قضايا محكمة كوينكا" (مدير ١٩٧٨).

إن أسماء الشخصيات والكتب المتعلقة بالموريسكيين كبيرة لدرجة أصبح معها من الضروري وجود منهج لجمع كل ما كتب حول القضية. هناك قائمة لمراجع عامة حول الموضوع، منذ البداية وحتى عام ١٩٧٨، نشرها مارتين رافيارد في الجرائد عام ١٩٧٩، وهناك دراسات عن الموريسكيين في مجلة "شرق الأندلس" أعدها ميكيل دي إيبالنا وغيره، ونُشرت في اليكانتي عام ١٩٨٣، وهناك دراسة عن الموريسكيين في بلاد البربر أعدها مارتين رافيارد، ونُشرت عام ١٩٨١. وقد أصبح من الضروري إعداد دراسة عن الكتابات التاريخية المتعلقة بالموريسكيين؛ هذه الدراسات التي يوضح كل منها الوضع "الحالي" للقضية قام بإعدادها كل من ريكاردو غارثيا كارثيل (١٩٧٧) وميغيل انخيل بونيس إيبارا (١٩٨٣)، وهي دراسات يجب أن يُضاف إليها ما كُتب خلال السنوات الأخيرة.

إن حجم الدراسات الموجودة حالياً حول القضية الموريسكية دفع بعض الباحثين إلى المناذاة بوضع اسم جديد لهذا النوع من العلوم، واقترحوا أن يكون الاسم "موريسكولوجي". لا أريد الدخول في تفاصيل، لكن من الواضح أن القضية شدت انتباه باحثين لهم آراء ومواقف متباينة تشكل فيما بينها صرحاً ثرياً.

فى عام ١٩٧٩ ظهر كتاب يوجز تاريخ الموريسكيين (دوميڤيغث أورتيث ب. فينثينث "تاريخ الموريسكيين : حياة ومأساة أقلية" مدريد) ، وقد حفز هذا الكتاب الدارسات اللاحقة، بعد ذلك عقدت لقاءات بين المتخصصين لمناقشة موضوعات محددة فى أوبييدو عام ١٨٩١ ، وفى مونبيليه عام ١٩٨١ ، وفى تونس أعوام ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٦ ، ١٩٩٠ (*) وفى بلدة سان كارلوس دى لا رابيتا عام ١٩٩٠ ، وقد نُشرت أعمال هذه الالتقيات بعد ذلك ، وقد أسهمت اللقاءات بين المتخصصين فى تقريب وجهات النظر.

إن محاولة تحديد اتجاهات الكتابة التاريخية حول الموريسكيين حالياً مهمة تتجاوز الهدف من هذه المقدمة ، وتجعلنى أجحف حق بعض من الذين لا أذكر أسمائهم مع وجوب ذكرها ؛ لذلك فإننى سأكتفى بذكر عناوين الدراسات الأخيرة التى تشكل اتجاهاً جديداً فى هذا المجال. ومن بين الأقاليم التى عاش فيها الموريسكيون وكان لهم وزن ديموغرافى تبرز أندلوثيا (وقد اهتم بدراستها كل من فينثينث ، و.م. بايوس أغيليرا ، و.م. بيريل ، م. وأثين ألمانسا ، و.أ. غالان ، اراندا دونثيل ، وخيل سان خوان ، ون. كابريانا ، وف. برنابى ، و.ر. بنيتيث ، وسانشيث بلانكو) وفالنسيا وقطالونيا (وقد اهتم بدراستها كل من ب. فيرير ، وثيسكار ، و.م. أرديت ، و.ر. لوبيث كيليس ، و. أولوس تاماريث ، و.دولوريس برامون ، و.ميكيل دى ايبالشا ، و.برنابى ، و.غارثيا كارثيل ، و.فيرير ، و.بنيتيث) وقشتالة (وقد اهتم بدراستها كل من ديديو ، و.يدراثا ، و.ر. سانشيث ، و.بلاثيث ، و.خ.م. ماغان ، و.سيراڤين دى تابيا) وأراغون (وقد ظهرت دراسة لمجموعة من الباحثين بعنوان "منفيون من أراغون : يهود وموريسكيون" سرقسطة ١٩٨٨) .

هذا التاريخ المحلى والإقليمى الذى قام به الباحثون بمنهج علمى سليم قد أدى إلى توضيح الأمور فى مجالات السكان والاقتصاد والمعتقدات وأنظمة السلطة واللهجات والنظم الاجتماعية وأسماء الموريسكيين ، وهذا ما نجده عند كارمن بارثيلو وأنا لابارتا. ومن بين الكتب الأخيرة التى صدرت يبرز كتاب ماريث بيانوبيا وعنوانه "المشكلة الموريسكية من وجهة نظر أخرى" (مدريد ١٩٩١) ، وقد فتح مؤتمر أوبييدو

(*) لا تزال مؤسسة التميمى للبحث العلمى والمعلومات تنظم المؤتمرات عن القضية الموريسكية ، وسوف يُعقد المؤتمر الحادى عشر بإذن الله فى شهر ماي ٢٠٠٣ بمدينة زغوان (المترجم) .

أفاقاً جديدة في مجال الأدب الألماني ، وبرزت فيه أسماء لويث بارالت ولويث مورياس. إن دخول باحثين مغاربة مجال الدراسات الموريسكية قد ملاً فراغاً كبيراً يتعلق بحياة الموريسكيين على الجانب الآخر من البحر المتوسط ومشاكلهم هناك، وهنا تبرز أسماء كل من: محمد رزوق ومصطفى زبيس وعبد الجليل التميمي وعبد الحكيم القفصى.

هذه القائمة يمكن أن تكملها أسماء أخرى لم نذكرها الآن لدواعي الإيجاز ، كما يمكن أن تكملها مجالات أخرى تعكس تعقيدات حياة مجموعة بشرية عاشت على جانبي البحر المتوسط أكثر من قرن من الزمان خلال القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر. هذه المجالات تتدرج من الأزياء وطريقة الطبخ عند الموريسكيين ، وتصل حتى المعتقدات ، مروراً بالاقتصاد والسكان. إن الموريسكيين يشكلون جزءاً من عالم متعدد ومعقد، والوثائق التي يتضمنها الكتاب يمكن أن تذكرنا بكلام آخر معاد ، لكنها تمثل دعوة إلى تمهيد طرق جديدة يمكن أن تقودنا إلى تحليلات مختلفة. هذا الكتاب خرج إلى النور حينما صدرت كتب أخرى هامة في التاريخ الموريسكى ، ونأمل أن تواكب هذه الطبعة الجديدة لحظة أخرى من لحظات الازدهار. إذا لم يتحقق هذا الأمل فيكفينا أن نعيش - عبر هذه الوثائق - الظروف التي مر بها الموريسكيون والمسيحيون القدامى.

مقدمة المؤلفة

الهدف الذى أسعى إليه فى هذا الكتاب هو تقديم قاعدة وثائقية وقائمة مراجع لكل من يهتم بدراسة القضية الموريسكية^(١) أو لمن يسعى إلى دراسة جانب من جوانبها، هذه الوثائق وهذه المراجع يمكن أن تمهد له الطريق ، وأن تساعد على البدء فى دراسته .

لهذا الهدف قمت بجمع وثائق (بعضها لم يُنشر بعد، لكن معظمها نُشر فى كتب أخرى) رأيت أنها ذات أهمية خاصة بالنسبة لجوانب القضية الموريسكية. لم أنشر القرارات التى نظم الملوك بمقتضاها حياة الموريسكيين، أو حاولوا من خلالها معالجة مشكلتهم، بل فضلت تلك الوثائق التى أظهرت عقلية وموقف الناس من الموريسكيين. وقد حاولت أن تقدم مجموعة الوثائق للقارئ صورة لحياة الموريسكيين وجوانبها الاجتماعية والثقافية والسياسية. سعيت كذلك إلى عرض موقف المسيحيين القدامى (فى محاكم التفتيش ، وفى الإدارة المركزية ، وبين سادة الموريسكيين من رعاياهم) وموقف الموريسكيين ، رغم أن الوثائق الخاصة بموقف هؤلاء الأخيرين ليست كثيرة.

إذا وضعنا فى الاعتبار اتساع الموضوع فلنا أن ندرك أن هذه الوثائق ليست سوى مؤشر . لمختلف جوانب القضية الموريسكية ؛ لكنى أمل فى أن تثير هذه الوثائق الاهتمام بأى جانب من جوانب المشكلة التى لا تزال فى حاجة إلى دراسة وتوضيح.

إن كمية المراجع المنشورة حول الموريسكيين هائلة ، لكن معظم هذه المراجع يدور حول مسائل عامة، أو حول كتب ليست موضوعية وذات نزعة جدلية. لا تزال فى حاجة إلى دراسات عن موضوعات محددة تستند إلى وثائق مستخرجة من الأرشيفات ، ولا شك فى أن مثل هذه الدراسات ستمثل إضافات هامة.

(١) نعى بمصطلح "موريسكيين" أولئك المسلمين الذين عاشوا فى إسبانيا بعد استرداد شبه الجزيرة بالكامل (عام ١٤٩٢) والذين أجبروا على اعتناق المسيحية . الوثائق الخاصة بالنصف الأول من القرن السادس عشر تطلق عليهم صفة "المنتصرين الجدد نوى الأصل المسلم" . وقد اختفت الأقلية الموريسكية من إسبانيا مع عملية الطرد بين عامي ١٦٠٩ - ١٦١٤ .

تطورات القضية الموريسكية

- ١٤٩١ توقيع اتفاقية تسليم غرناطة (١٨ نوفمبر) .
- ١٤٩٢ تنصير المسلمين على يد الكاردينال ثيسنيروس ، وإحراق الكتب العربية في غرناطة.
- ١٥٠١ إخضاع المتمردين.
- قرار بتنصير موريسكي غرناطة.
- حظر دخول موريسكي قشتالة مملكة غرناطة (٢٠ يولييه)
- ١٥٠٢ قرار يخير مسلمي قشتالة بين التعميد والنفي (١١ فبراير)
- حظر مغادرة موريسكي قشتالة لأراضيهم (١٧ فبراير) وبهذا ألغى خيار النفي.
- ١٥١٦ الكاردينال ثيسنيروس يصدر قراراً يجبر فيه المسلمين على التخلي عن أزيائهم وعاداتهم ؛ لكن القرار يُجمد.
- ١٥٢٠ - ١٥٢٢ حروب الجماعات في فالنسيا. الجماعات تجبر الموريسكيين على التعميد تحت التهديد بقتلهم.
- جدل حول ما إذا كان التعميد شرعياً أم لا
- ١٥٢٤ البابا كليمنتى السابع يحث كارلوس الخامس على وضع حد لمشكلة المسلمين في أراغون ، ويسمح له بطرد من لم يتم تعميدهم ويحطه من وعده أمام المجلس الملكى ، والخاص باحترام عادات الموريسكيين (١٥ مايو)
- ١٥٢٥ كارلوس الخامس يخير موريسكي فالنسيا بين التعميد والنفي ، ويتعهد بأن يكون المتعمدون فى مأمن من محاكم التفتيش لمدة ٤٠ عاماً.

- ١٥٢٦ تعميد موريسكي أراغون بناءً على قرار بذلك .
- ثورة موريسكي فالنسيا في بناغواثيل ، وفي سيرا دي اسبادان.
- قرار بحظر لغة وأزياء وعادات موريسكي غرناطة، تأجيل تنفيذ القرار.
- ١٥٦٧ قرار بحظر عادات الموريسكيين وحظر استعمال اللغة العربية.
- ٦٨ - ١٥٧٠ حرب غرناطة.
- ١٥٧٠ البدء في ترحيل مسلمي غرناطة إلى قشتالة (١ نوفمبر)
- ١٥٧١ قرار بنزع أسلحة موريسكي فالنسيا (٢٨ يونيو)
- ١٥٨٥ حرب في أراغون بين الموريسكيين (من زراع الأراضي) والرعاة
- ١٦٠٩ نشر قرار طرد موريسكي فالنسيا (٢٢ سبتمبر)
- حظر بيع موريسكي قشتالة ممتلكاتهم العقارية (١٤ نوفمبر)
- ١٦١٠ الإعلان في فالنسيا عن قرار طرد موريسكي أندلوثيا ومرسيه وأورناتشوس (١٢ يناير)
- السماح بمغادرة قشتالة لمن شاء من الموريسكيين (١٨ يناير)
- الأمر بطرد موريسكي قطلونيا (١٧ أبريل)
- الإعلان في سرقسطة عن قرار طرد موريسكي أراغون (٢٩ مايو)
- الإعلان عن قرار طرد موريسكي قشتالة واكستريمادورا ولا مانشا (١٠ يولييه)
- ١٦١٤ انتهاء عملية طرد آخر الموريسكيين؛ وهم موريسكيو بايبي دي ريكوتى الذين تم تأجيل طردهم نظراً لشهرتهم كمسيحيين مخلصين.

اتفاقية تسليم غرناطة (*)

إن أول وثيقة ضمن وثائق القضية الموريسكية - سواء من حيث الترتيب الزمني ، أو من حيث كونها الأساس الذي بنيت عليه المشكلة برمتها - هي العهد الذي أعطاه الملكان الكاثوليكيان لمسلمي غرناطة بعد استسلامهم في نهاية عام ١٤٩١ ، وبعد أن انتهت عشر سنوات من الحروب خاضتها آخر معاقل السلطة الإسلامية في إسبانيا .

هذه الاتفاقية التي كانت سخية بالنسبة للخاضعين تؤكد على منح المسلمين حرية ممارسة شعائرهم وشريعتهم ولغتهم وعاداتهم .

لم تحترم هذه الاتفاقية إلا لمدة وجيزة. كانت نصوص الاتفاقية على النحو التالي ^(١) :

- يتعهد ملك غرناطة والقادة والفقهاء والوزراء والعلماء وكافة الناس ، سواء في غرناطة في البيازين وأرباضهما بأن يسلموا طوعية واختياراً - وذلك في ظرف ستين يوماً تبدأ من تاريخ هذه المعاهدة - قلاع الحمراء والحصن وأبوابها وأبراجها وأبواب غرناطة والبيازين إلى الملكين الكاثوليكين ، أو إلى من ينوبانه من رجالهما ، على ألا يُسمح لنصراني أن يصعد إلى الأسوار القائمة بين القصبة والبيازين بحيث يكشف أحوال المسلمين، وأن يعاقب من يفعل ذلك .

(*) لا شك في أن هذه الاتفاقية تعد أفضل معاهدة وقّعها طرف مهزوم ، وهي - إذا وضعنا في الاعتبار هذه الظروف - تدل على صلابة وكفاءة أبي عبد الله الصغير كمفاوض ، وتدحض ما يقول به البعض من تخاذل ملك غرناطة أو تفریطة . (المترجم) .
(١) هكذا أوردها مارمول...في كتاب

Rebelión y castigo.....pp.147-150

حول اتفاقية تسليم غرناطة انظر أيضا

Garrida Alenza: *Las capitulaciones para la entrega de Granada*

Gaspar Remiro: *Ultimos pactos y correspondencia entre los Reyes Católicos y Boabdil sobre la entrega de Granada*

Moreno Casado: *Las capitulaciones de Granada en su aspecto jurídico*

- وبعد مضي أربعين يوماً يخضع كل المسلمين طواعية لجلالة الملك الكاثوليكي ويؤدون ما يجب عليهم تأديته كرعايا مخلصين للكهم الطبيعي.

وضمامناً لسلامة هذا التسليم يقدم الملك مولاي أبو عبد الله والقادة المذكورون إلى الوزير يوسف بن كماشة قبل تسليم الحمراء بيوم واحد خمسمائة شخص من أبناء وأخوة زعماء غرناطة والبيازين؛ ليكونوا رهائن في يدي صاحب الجلالة لمدة عشرة أيام ريثما تُسلم الحصون، ويتم توزيع الرجال والمؤن عليها ، وفي أثناء تلك الفترة يُقدم لهم ما يحتاجونه من أطعمة، ثم يُطلق سراحهم.

- بعد أن يتم تسليم قصر الحمراء والحصن يتعهد الملكان الكاثوليكيان وابنهما الأمير خوان بالأصالة عن أنفسهم ، وبالنيابة عن خلفائهم إلى الأبد، بقبول الملك أبي عبد الله والقادة والوزراء والعلماء والفقهاء والفرسان وعامة الشعب رجالاً ونساءً من أبناء غرناطة والبيازين وأرباضهما وقراهما والبشرات وجميع الأراضي التي تتضمنها هذه المعاهدة ، كرعايا طبيعيين وأن يُؤمنوا على بيوتهم وأموالهم وثرواتهم الكائنة الآن والتي قد تؤول إليهم مستقبلاً، وألا يحدث بهذه الممتلكات أي ضرر ، إلا بسبب وإلا طبقاً للقانون، وألا تُصادر أموالهم أو جزء منها بل ستُحترم ممتلكاتهم، وسيكونون موضع احترام رعايا جلالة الملك مثل سائر المواطنين الذين يعيشون تحت حكم جلالته.

- حينما يرسل صاحباً الجلالة رجالهما لتسلم قصر الحمراء فسيأْمرون من يرسلونه بالدخول من باب العشار، أو من باب نجدة، أو عن طريق الحقول الخارجية، وذلك حتى لا يؤدي سيرهم في شوارع المدينة إلى إثارة المشاعر.

- يوم أن يقوم الملك أبو عبد الله بتسليم الحصون والأبراج ، يُردّ إليه ابنه ومعه سائر الرهائن والنساء والخدم عدا أولئك الذين اعتنقوا المسيحية.

- يتعهد الملكان وخلفاؤهما إلى الأبد بأن يُترك الملك أبو عبد الله والقادة والقضاة والعلماء وعامة الشعب كباراً وصغاراً على دينهم ، وألا يُؤخذ شيء من مساجدهم ومآذنهم ، وألا تُمس أوقافهم المخصصة للمساجد ، وألا يُجبروا على ترك عاداتهم وتقاليدهم.

- أن تتم محاكمة المسلمين وفق شريعتهم الخاصة بهم ، وأن يحكم بينهم قضاتهم.

- ألا تُصادر منهم - الآن أو مستقبلاً - أسلحة أو خيول ، أما المدافع الصغيرة والكبيرة فعليهم تسليمها إلى الأشخاص الذين يحدددهم صاحب الجلالة.

- جميع المسلمين كبيراً وصغيراً ، رجالاً ونساءً ، من غرناطة ، أو من البشترات ، أو من أى مكان آخر ، إذا أرادوا الرحيل إلى بلاد البربر ، أو إلى أى مكان آخر يريدونه ، يستطيعون بيع ممتلكاتهم وأثاثهم بالشكل الذى يُريحهم ، وإلى الشخص الذى يرغبون فى التعامل معه. وإن يسلب الملك أو خلفاؤه - وإن يدعون أحداً يسلب منهم - شيئاً من الذين اشتروا ممتلكات المسلمين. وإذا أراد صاحب الجلالة شراء شئ فيمكنهما ذلك مع دفع ثمنه المقدّر ، وفى حالة عدم تواجدهما فيمكنهما تفويض أشخاص فى ذلك.

- يقدم صاحب الجلالة إلى المسلمين الذين يريدون الرحيل إلى بلاد البربر ، أو إلى أى مكان آخر ، وسيلة سفر آمنة لهم ولأسرهم ولتاعهم وحليهم وأسلحتهم عدا الأسلحة النارية ، ومن يريدون السفر بعد ذلك سيجوز لهم صاحب الجلالة عشر سفن كبيرة ترسو فى الموانئ التى يحددها فى غضون ستين يوماً وتحملهم آمنين إلى موانئ بلاد البربر التى كانت تذهب إليها سفن التجار المسيحيين ، وبالإضافة إلى ذلك فإن كل من يريد الرحيل إلى بلاد البربر بعد مضى ثلاث سنوات يمكنه ذلك ، وسيقوم صاحب الجلالة بإرسال السفن إلى حيث يطلبون وسيرحلون آمنين ، على أن يطلبوا ذلك قبلها بخمسين يوماً ، وإن تُحصل منهم رسوم مقابل الرحيل.

- بعد مضى الأعوام الثلاثة المذكورة يستطيع المسلمون العبور إلى بلاد البربر كلما أرادوا ذلك ، وستصدر تصاريح لهم مقابل دفع دوقية واحدة للشخص الواحد بالإضافة إلى نفقات السفر.

- إذا لم يتمكن المسلمون الراغبون فى الرحيل من بيع أملاكهم الواقعة فى غرناطة والبيازين وأرياضهما والبشترات وأماكن أخرى ، فيمكنهم أن يعهدوا إلى أشخاص آخرين بإدارتها ، وأن يتمكن الوكلاء من إرسال ريع الممتلكات إلى أصحابها فى بلاد البربر ، أو حيثما كانوا دون أن يُمنعوا من ذلك.

- ألا يأمر صاحب الجلالة أو ابنهما الأمير خوان ولا خلفاؤهما إلى الأبد أن يضع رعاياهم المسلمين على ملابسهم شارات تميزهم كما يفعل اليهود .

- ألا يدفع الملك أبو عبد الله ولا مسلمو غرناطة والبيازين وأرباضهما الضرائب التي كانوا يدفعونها عن دورهم وممتلكاتهم لمدة ثلاث سنوات تبدأ من تاريخه، ولا يدفعوا سوى عشر الأرض عن شهر أغسطس والخريف، وعشار الماشية التي لديهم وقت استحقاق العشار في شهرى أبريل ومايو كما يدفع المسيحيون عادةً.

- عند تسليم المدينة وتوابعها يقوم المسلمون بتسليم الأسرى النصارى الذين بحوزتهم رجالاً كانوا أم نساء إلى صاحب الجلالة لكى يطلق سراحهم ، ولا يحصل المسلمون على أى مقابل مادى لذلك ، وإذا كان أحد المسلمين قد باع أسيراً مسيحياً فى بلاد البربر فعليه أن يُقسم على ذلك وفق شريعته، وأن يقسم على أنه باع الأسير قبل توقيع المعاهدة وبناءً عليه لا يُطالب برد الأسير.

- يأمر صاحب الجلالة بالآلا يُسلب من الملك أبى عبد الله أو من القادة والقضاة والفرسان المسلمين دوابهم أو خدمهم لاستعمالها ، إلا إذا كان ذلك عن رضا منهم ، ومقابل دفع أجر عادل.

- لا يُسمح للمسيحيين بدخول مساجد المسلمين التي يصلون فيها دون إذن الفقهاء ، ويُعاقب من يفعل ذلك.

- لا يسمح أصحاب الجلالة أن تكون لليهود سلطة على المسلمين، ولا أن يحصلوا منهم الضرائب.

- أن يُعامل الملك أبو عبد الله والقادة والقضاة والفقهاء والعلماء والفرسان وعامة المسلمين من أبناء غرناطة والبيازين وأرباضهما والبشرات وقراها باحترام من قبل صاحبى الجلالة ووزرائهما، وأن يُستمع إليهم باهتمام، وأن يحتفظوا بعاداتهم وشعائهم، وأن يُسمح للفقهاء والقادة بتحصيل حقوقهم والتمتع بامتيازاتهم كما جرت عليه العادة، فمن العدل أن تُحفظ حقوقهم.

- أن يأمر صاحب الجلالة بالآلا يُطرد ضيوف المسلمين، وألا تُؤخذ منهم ثياب أو طيور أو ماشية أو متاع دون إرادتهم.

- النزاعات التي تنشأ بين المسلمين يُفصل فيها ، حسب قوانينهم وشريعتهم التي يسمونها سُنّة، ويفصل فيها قضائهم كما جرت العادة. وإذا كان النزاع بين مسيحي ومسلم فيفصل فيه قاضيان أحدهما مسيحي والآخر مسلم حتى لا يعترض أحد الطرفين على الحكم.

- لا يُعاقب القاضى مسلماً على فعل ارتكبه شخص آخر، ولا يُسجن الأب بذنب ارتكبه الابن، ولا الأخ بذنب ارتكبه أخوه ، ولا يُسجن شخص بسبب فعل ارتكبه قريب له، بل يُعاقب الشخص الذى ارتكب الجُرم.

- يُصدر صاحباً الجلالة عفواً عاماً عن كل المسلمين الموجودين فى سجن حامد أبى على- وهو من رعاياهما - وكذلك عن مسلمى كبتيل عن جرائم القتل التى ارتكبوها ضد المسيحيين، أو عن عصيان أوامر صاحبى الجلالة، فلن يلحق بهم أذى ولن يطالبوا بشيء مما سلبوه أو سرقوه.

- إذا كان هناك أسير مسلم فى حوزة مسيحي وهرب إلى مدينة غرناطة أو إلى الأراضى التى تشملها هذه الاتفاقية يصير حُرّاً، ولا يُطالب به من كان يملكه، ولا يطلب القضاة إلقاء القبض عليه، إلا إذا كان هذا المسلم من جزر الكنارى أو من زنج خيلوفى أو من الجزر الأخرى.

- لا يدفع المسلمون إلى صاحبى الجلالة ضرائب تزيد عما كانوا يدفعونه إلى الملوك المسلمين.

- يحق لسكان غرناطة وما يتبعها والبيازين ، ممن عبروا إلى بلاد البربر، العودة فى خلال الأعوام الثلاثة التالية والتمتع بمضمون هذه الاتفاقية. وإذا كان هؤلاء المسلمون قد اصطحبوا معهم مسيحيين أسرى وباعوهم هناك فلا يُطالبوا بإحضارهم، ولا برد الثمن الذى باعوهم به.

- إذا أراد الملك أبو عبد الله أو أى مسلم آخر أن يعود إلى إسبانيا بعد أن كان قد عبر إلى بلاد البربر ولم تُعجبه الحياة هناك فسيُسمح لصاحب الجلالة لهم بذلك لمدة ثلاثة أعوام والتمتع بمضمون هذه الاتفاقية كالأخرين.

- إذا أراد المسلمون الذين دخلوا في هذه الاتفاقية السفر إلى بلاد البربر بغرض التجارة فستصدر لصالحهم التصاريح الخاصة. ينطبق ذلك على سكان قشتالة وأندلوثيا دون أن يُطالبوا بدفع مبالغ أو ضرائب أخرى كان المسيحيون يدفعونها.

- لا يُسمح لأى شخص بإيذاء المسيحيين أو المسيحيات ممن أعلنوا إسلامهم قبل توقيع الاتفاقية، سواء كان الإيذاء باللفظ أو بالفعل. وإذا كان مسلم قد تزوج بنصرانية أسلمت فلا تُجبر على العودة إلى المسيحية بدون رغبتها، بل تُستجوب في حضور مسلمين ومسيحيين وتُنقذ رغبتها ، وسيُفعل ذلك أيضاً مع الأطفال الذين ولدوا لأب مسلم وأم مسيحية.

- لا يُرغم مسلم ولا مسلمة على اعتناق المسيحية ، وإذا أرادت أنيسة أو زوجة أو أرملة - لأسباب عاطفية - اعتناق المسيحية فلا يُقبل منها ذلك إلا بعد استجوابها ، وإذا كانت قد حملت معها ملابس أو مجوهرات من منزل والديها تُعاد الأشياء إلى أصحابها وتُعاقب المذنبة.

- لن يطلب صاحبها الجلالة ولا خلفاؤهما قط من الملك أبى عبدالله ولا من أهل غرناطة والأراضي التابعة لها ممن دخلوا في هذه المعاهدة أن يردوا ما استولوا عليه أثناء الحرب من جياذ أو ماشية أو أمتعة أو ذهب أو فضة ، سواء استولوا عليها من المسيحيين ، أو من مسلمى الممالك المسيحية. وإذا تعرف شخص ما على شيء كان قد أخذ منه فليس له حق المطالبة به، بل يُعاقب إذا طالب به.

- إذا كان أحد المسلمين قد قتل أو جرح مسيحياً أو مسيحية من أسراه فلن يُطالب بدمه أبداً.

- بعد انقضاء فترة السماح ومدتها ثلاث سنوات لن يدفع المسلمون عن أملاكهم إلا ما يجب أن يدفعوه بالعدل طبقاً لقيمة وصفة هذه الأراضي.

- القضاة والقادة والحكام الذين سيعينهم صاحب الجلالة في غرناطة وأراضيها سيكونون من الشخصيات التى تحترم المسلمين وتعاملهم بلطف وتراعى بنود هذه المعاهدة ، وإذا ارتكب واحد منهم فعلاً غير مناسب فسيقوم صاحب الجلالة بتغييره ومعاقبته.

- لن يسأل صاحباً الجلالة ولا خلفاؤهما الملك أبى عبد الله أو أى شخص يدخل فى هذه المعاهدة، عن أى شىء يكونوا قد فعلوه حتى يوم تسليم المدينة والحصون.

- لن يؤلى على أهل غرناطة أحد فرسان أو أتباع الملك الزغل .

- صاحباً الجلالة - تفضلاً منهما على الملك أبى عبدالله، وأهل غرناطة والبيازين وأرباضهما - سيأمران بالإفراج عن كل الأسرى المسلمين - رجالاً ونساءً - دون دفع أية فدية ممن هم فى حوزة النصارى ، ويكون الإفراج عن يتواجدون فى أندلوثيا فى ظرف خمسة أشهر، ويكون الإفراج عن الأسرى الموجودين فى قشتالة فى ظرف ثمانية أشهر. وبعد يومين من إفراج المسلمين عن الأسرى النصارى الموجودين فى غرناطة سيأمر صاحباً الجلالة بتسليم مائتى أسير وأسيرة من المسلمين. وبالإضافة إلى ذلك فإن صاحباً الجلالة سيفرجان عن ابن الدرعى الموجود فى حوزة غونثالو ايرنانديث دى كوردوبا، وعن هثمين الموجود فى حوزة كونت تنديا وعن رضوان الموجود فى حوزة كونت كابرا، وعن ابن المؤذن، وعن نجل الفقيه خادمى ، وكلهم من أعيان قرطبة ، كما سيفرجان عن الجنود الخمسة الذين أسروا فى طريق إبراهيم بن سراج إذا علم مكانهم.

- يقوم جميع مسلمى البشراة الذين يدخلون فى خدمة صاحبى الجلالة بتسليم الأسرى المسيحيين الموجودين فى حوزتهم دون مقابل وذلك خلال خمسة عشر يوماً ، وإذا كان أحد الأسرى قد اتفق على مقايضته بأسير مسلم فسيأمر صاحباً الجلالة برد الأسير المسلم.

- يأمر صاحباً الجلالة باحترام عادات المسلمين الخاصة بالميراث ، ويتولى قضائهم الفصل فى مسائل الميراث.

- كل المسلمين الآخرين الذين يرغبون فى خدمة صاحبى الجلالة يستطيعون الدخول فى خدمتهما والتمتع بمزايا هذه المعاهدة - عدا فترة السماح التى مدتها ثلاث سنوات - وذلك خلال ثلاثين يوماً .

- أوقاف المساجد والصدقات والنفقات الأخرى التى تؤدى إلى الكتاتيب ومدارس تعليم الأطفال تُسلم إلى الفقهاء لكى يتولوا توزيعها كما يرون ، وإن يتدخل صاحباً الجلالة ولا وزراءهما فى ذلك أو فى جزئية من ذلك ، وإن يأمر بالاستيلاء عليها فى أى وقت وإلى الأبد .

- يؤمنُ صاحباً الجلالة سفن بلاد البربر التي ربما توجد فى موانى مملكة
غرناطة بحيث تُبحر بحرية ، بشرط ألا تحمل معها مسيحياً أسيراً . ويضمن صاحب
الجلالة ألا يتعرض أحد للسفن بأذى، ولا أن يُسلب منها شئ . أما إذا كانت السفن
مبحرة أو تحمل معها أسرى مسيحيين فلا يسرى هذا الضمان ، ولذلك يجب تفتيش
السفن عند رحيلها .

- لا يُجبر المسلمون على القيام بأعمال حربية ضد رغبتهم ، وإذا أراد صاحب
الجلالة استخدام بعض الفرسان فى نواحى أندلوثيا فسيدفعان لهم أجرهم، منذ يوم
الاستدعاء، وحتى عودتهم إلى منازلهم .

- يأمر صاحباً الجلالة باحترام قوانين مصادر المياه والسواقي المعمول بها فى
غرناطة ولا يغيران هذه القوانين، ولا يأخذان شيئاً من هذه المصادر ، وإذا فعل أحد
ذلك أو ألقى شيئاً بداخلها يُعاقب على فعله .

- إذا هرب أسير مسلم إلى مدينة غرناطة وتوابعها بعد أن ترك مسلماً آخر
مكانه كفدية يصبح حراً، ولا يُلزم الأول أو الثانى بدفع فدية ولا يتعرضان للمحاكمة .

- الديون والالتزامات المحررة بين المسلمين تدفع نقداً ، ولا تتأثر هذه الديون
والالتزامات بتغير صاحب السلطة، بل يدفع كل شخص ما عليه .

- تكون محال جزارة المسيحيين بعيدة عن محال جزارة المسلمين ولا تختلط
مراعى المسلمين بمراعى النصارى، وإذا فعل أحد ذلك يعاقب على فعله .

- يتمتع يهود غرناطة والبيازين وأرباضهما والبشرات بمزايا بنود هذه المعاهدة
بحيث أن من لم يتحول منهم إلى المسيحية يمكنهم الرحيل إلى بلاد البربر فى ظرف
ثلاث سنوات اعتباراً من ٨ ديسمبر الحالى .

- يلتزم صاحباً الجلالة بتنفيذ كل بنود هذه المعاهدة اعتباراً من يوم تسليم
حصون غرناطة ، وقد أمرا بكتابة المراسيم الملكية الخاصة بذلك والموقعة باسميهما
والمختومة بخاتميهما ، وقد حررها سكرتيرهما الخاص إيرناندو دى ثافرا فى غوطة
غرناطة بتاريخ ٢٨ نوفمبر عام ١٤٩١ .

موريسكيو غرناطة

بعد غزو غرناطة (١٤٩٢) عين الملكان الكاثوليكيان إيرناندو دى تالابيرا أسقفًا لها ، وقد بدأ هو على الفور عملية تبشير بطيئة طابعها اللطف ، وكانت هذه العملية تحقق بعض النجاح رويداً رويداً ، ووصل الكاردينال ثيسنيروس إلى غرناطة عام ١٤٩٩ ، ورأى أن الطريقة التي كان الأسقف يتبعها غير كافية ، فبدأ فى سلسلة من عمليات التنصير الجماعى الإجبارية التي أدت إلى أن ينظر المسلمون إليها كانتهاك للمعامدة ، خاصة وأن الكاردينال قام بأفعال أخرى ؛ منها حرق المكتبات العربية ، وكان ذلك هو سبب ثورة البيازين التي سرت روحها فى مناطق أخرى فى مملكة غرناطة ولم يمكن إخمادها قبل مضى عامين (١٥٠١) ، فى نفس العام قرر الملكان تنصير مسلمى غرناطة. كل ذلك أسهم فى كراهية المسلمين لدين الغزاة ، يقول بيرموديث دى بيدراتا:

" إن جشع القضاة ووقاحة رجال الملك قد أديا إلى سحق الموريسكيين. كان القضاة ورجال الملك يرتكبون كثيراً من الظلم بحجة تنفيذ الأوامر. ولم يكن رجال الكنيسة أفضل حالاً ، وهكذا فقد الموريسكيون حُبهم لديننا ، وفقدوا صبرهم على معالجة ذلك."

ويقول نفس المؤلف ^(١) : " إن التنصير كان محض خيال:"

كان الملكان - بصفتهم مسيحيين كاثوليكين - يسعيان إلى الحصول على منافع روحية لرعاياهما أكثر من حرصهما على مصلحتهما الشخصية الزائلة ، كانا يودان لو أن الموريسكيين تمسكوا بالدين المسيحى ؛ ولهذا اختصاهم بالأفضال والمعاملة الحسنة وأوصيا رجال القضاء بهم خيراً ، لكن كل ذلك كان زرعاً فى الرمال ، بل فى الصخور. لقد اعترف بأن هذه الأعمال كانت عديمة الفائدة ، فقد كان الموريسكيون مسيحيين فى

F. Bermúdez: *Historia eclesiástica, principios y progresos de la ciudad y religión (١) católica* de Granada, 1638. fol. 236

الظاهر؛ ومسلمين فى الحقيقة ، وكانوا يهتمون بممارسة شعائر وأعياد طائفتهم أكثر من اهتمامهم بدين المسيح ربنا ، رغم أنهم كانوا يلقون من الملكين معاملة أفضل من تلك التى كانوا يلقونها من ملوكهم. لقد تخففوا من الأعباء والضرائب وأساعوا فهم مغزى المعاملة الحسنة فاشتاقوا إلى سابق عهدهم ، إلى أغنامهم وإلى صلاتهم ورقصهم . لم يكونوا مسلمين علانية ، بل كانوا ملحدين مستترين ، ينقصهم الإيمان رغم تعميدهم المتكرر، وكانوا يقومون ببعض الأعمال الحميدة من الناحية الأخلاقية. كانوا صادقين فى التجارة والتعاقدات ، وكانوا يعطفون على الفقراء ، ولا يحبون الدعة، بل كانوا يعملون جميعاً، لكنهم كانوا لا يواظبون على صلوات أيام الأحد، ولا يوقرون أعياد الكنيسة ، وكانوا يحضرون الصلاة خوفاً من العقوبة، وكانوا يعملون فى أيام الأعياد وأبوابهم مغلقة، كانوا يعملون برضا يفوق رضاهم فى الأيام العادية ، وكانوا يوقرون يوم الجمعة أكثر مما يوقرون يوم الأحد، وكانوا يغتسلون حتى لو فى شهر ديسمبر ويؤدون الصلاة. كانوا يعمدون أبنائهم تنفيذاً للقانون ، وعندما كانوا يعبدون إلى منازلهم كانوا يزيلون العلامات المقدسة بالماء الساخن ، وكانوا يقيمون شعائرتهم الإسلامية، ويطلقون على أبنائهم أسماء إسلامية ، وكانت عرائسهم يذهبن إلى الكنيسة لكى يباركن وهن يرتدين أزياء مسيحية مستعارة ، وعندما يعدن إلى منازلهن كن يخلعنها ويرتدين ملابس إسلامية ويحتفلن بالزفاف بالآلات موسيقية وأغنيات مورييسكية، وكن يتعلمن الصلوات المسيحية الخاصة بالزواج لأن القساوسة كانوا يمتحنونهن ، وبعد الزواج كن ينسینها ، وكانوا يعترفون بخطاياهم لكن اعترافاتهم كانت مقتضبة ، وكانوا يعترفون اليوم بما اعترفوا به بالأمس. كان أحد المورييسكيين على فراش الموت فذهب إليه القسيس وأخذ منه القريان ، ولما رأى القسيس أن المورييسكى لم يكن قد تقبل الزيت المقدس بعد ذهب لإحضاره من الكنيسة، كان المورييسكى حزينا إزاء كل ذلك فقال: "إذن فهى ثلاثة أنواع من التعذيب فى يوم واحد: الاعتراف والقريان والزيت المقدس". وفى قرى البشرات والساحل كانوا يلقون القبض على الأتراك ومسلمى البربر الذين كانوا يسرقون الأطفال ليلا. وكان المورييسكيون -كلصوص منازل- يقومون بهذه السرقات بشكل أفضل. وبعد ذلك كانوا يرحلون إلى بلاد البربر ليلا ومعهم الأطفال المسيحيين. كانوا يعلمونهم دينهم، وكانوا يجرون لهم عمليات الختان ويجعلونهم مسلمين ، وهو أمر يعود بالضرر على المملكة ، أما بالنسبة لهم فهو عظيم الفائدة.

القصيدة التي أرسلها مسلمو الأندلس إلى السلطان العثماني طلبا لنجده

يقول المؤرخ العربي المقرئ (المولود في أواخر القرن السادس عشر) إن هذه القصيدة لمويسكى مجهول، وإنما أرسلت إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢) طلبا لنجده.

تبين القصيدة مدى الصعوبات الدينية والسياسية التي كان يعيش فيها الموريسكيون. وتشير القصيدة إلى سلسلة من الأحداث التاريخية؛ ومن بينها حرق الكتب العربية في غرناطة على يد الكاردينال ثيسنيروس عام ١٤٩٩، والسفارة التي أرسلتها مصر إلى الملكين الكاثوليكين والتي هددت فيها بالانتقام من المسيحيين إذا أجبر الملكان المسلمون الإسبان على الدخول في النصرانية ^(١)، كما تشير القصيدة كذلك إلى مذبحه المسلمين في أويخار ^(٢).

هذه الإشارات هي التي مكنت مونرو - في مقال ترجم فيه القصيدة إلى الإنجليزية ^(٣) وتناولها بالدراسة - من تحديد عام ١٥٠١ كتاريخ لتأليفها ^(٤)، وهو عام صدور قرار تنصير مسلمي غرناطة، ومصدر هذه القصيدة هو كتاب أزهار الرياض للمقرئ ^(٥):

الحضرة العلية ^(*)، وصل الله سعادتها، وأعلى كلمتها، ومهد أقطارها، وأعز أنصارها، وأذل عدواتها، حضرة مولانا، وعمدة ديننا ودينانا، السلطان الملك الناصر؛ ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، قانع أعداء الله الكافرين؛ كهف الإسلام، وناصر دين نبينا محمد عليه السلام؛ محي العدل، ومنصف المظلوم ممن ظلم، ملك العرب والعجم، والترك والديلم؛ ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه؛ ملك البرين، وسلطان البحرين؛ حامى الدمار، وقانع الكفار؛ مولانا وعمدتنا، وكفئنا وغياثنا، مولانا أبويزيد، لازال ملكه موفور الانتصار، مقروناً بالانتصار، مخلص المآثر والآثار، مشهور المعالي والفخار؛ ومستاثراً من الحسنات بما يضاعف الله به الأجر الجزيل، في الدار الآخرة والثناء الجميل، والنصر في هذه الدار. ولا يرحت عزماته العلية مختصة بفضائل الجهاد، مجرّدة على أعداء الدين من بأسها، ما يروى صدور السمر والصفايح، وألسنة السلاح، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم يقوم الأشهاد:

سلام كريم دائم متجدد
 سلام على مولاي ذى المجد والعلا
 سلام على من وسع الله ملكه
 سلام على مولاي من دار ملكه
 سلام على من زين الله ملكه
 سلام عليكم شرف الله قدركم
 سلام على القاضى ومن كان مثله
 سلام على أهل الديانة والتقوى
 سلام عليكم من عبيد تخلقوا
 أحاط بهم بحر من الروم زاحر
 سلام عليكم من عبيد أصابهم
 سلام عليكم من شيوخ تمزقت
 سلام عليكم من وجوه تكشففت
 سلام عليكم من بنات عواتق
 سلام عليكم من عجائز أكرهت
 نقبل نحن الكل أرض بساطكم
 أدام الإله ملككم وحياتكم
 وأيدكم بالنصر والظفر بالعدا
 شكونا لكم مولاي ما قد أصابنا
 غدرنا ونصّرنا وبدل ديننا
 وكنا على دين النبي محمد
 ونلقى أموراً فى الجهاد عزيمة

أخص به مولاي خير خليفة
 ومن ألبس الكفار ثوب المذلة
 وأيده بالنصر فى كل وجهة
 قسطنطينة أكرم بها من مدينة
 بجند وأتراك من أهل الرعاية
 وزادكم ملكاً على كل ملّة
 من العلماء الأكرمين الأجلة
 ومن كان ذا رأى من أهل المشورة
 بأندلس بالغرب فى أرض غربة
 وبحر عميق ذو ظلام ولجة
 مصاب عظيم يالها من مصيبة
 شيوخهم بالنتف من بعد عزة
 على جملة الأعلاج من بعد سرة
 يسوقهم اللباط قهراً لخلوة
 على أكل خنزير ولحم لجيفة
 وتدعو لكم بالخير فى كل ساعة
 وعافاكم من كل سوء ومحنة
 وأسكنكم دار الرضا والكرامة
 من الضر والبلى وعظم الرزية
 ظلمنا وعوملنا بكل قبيحة
 نقاتل عمال الصليب بنية
 بقتل وأسير ثم جوع وقلة

فجاءت علينا الروم من كل جانب
ومالوا علينا كالجراد بجمعهم
فكنا بطول الدهر نلقى جموعهم
وفُرسائهم تزداد في كل ساعة
فلما ضَعُفنا خَيَّموا في بلادنا
وجاءوا بأنفاط عظام كثيرة
وشدوا عليها في الحصار بقوة
فلما تفانت خيلنا ورجالنا
وقلَّت لنا الأقوات واشتدَّ حالنا
وخوَّفنا على أبنائنا وبناتنا
على أن نكون مثل من كان قَبْلنا
ونُبْقَى على آذاننا وصلاتنا
ومن شاء منا البحر جاز مُؤمَّنًا
إلى غير ذلك من شروط كثيرة
فقال لنا سُلطانهم وكبيرهم
وأبدى لنا كُتُبًا بعهد وموثق
فكونوا على أموالكم ودياركم
فلما دخلنا تحت عَقْد ذمامهم
وخان عهودًا كان قد غَرَّنا بها
وأحرق ما كانت لنا من مصاحف
وكل كتاب كان في أمر ديننا
ولم يتركوا فيها كتابًا لمسلم

بسيلٍ عظيمٍ جملةً بعد جُملةٍ
بجد وعزم من خيول وُعْدَةٍ
فنقتلُ فيها فرقةً بعد فرقةٍ
وفُرساننا في حال نقص وقلةٍ
ومالوا علينا بلدةً بعد بلدةٍ
تهدم أسوار البلاد المنيعة
شهورًا وأيامًا بجد وعَزْمَةٍ
ولم نر من إخواننا من إغاثَةٍ
أطعنهم بالكره خوف الفضيحة
من أن يؤسروا أو يقتلوا شر قتلةٍ
من الدَّجن من أهل البلاد القديمة
ولا نتركَن شَيْئًا من أمر الشريعة
بما شاء من مال إلى أرض عُدوةٍ
تزيد على الخمسين شرطًا بخمسة
لكم ما شرطتم كاملاً بالزيادة
وقال لنا هذا أمانى وذمَّتى
كما كُتِم من قبل دُون أذيةٍ
بدا غَدْرهم فينا بنقض العزيمة
ونصَّرونا كَرهًا بعنف وسَطوةٍ
وخلَّطوها بالزَّبل أو بالنجاسة
ففى النار ألقوه بهُزءٍ وحَقرةٍ
ولا مُصحفًا يخلى به للقراءة

وَمَنْ صَامَ أَوْ صَلَّى وَيُعَلِّمُ حَالَهُ
وَمَنْ لَمْ يَجِئْ مِنَّا لِمَوْضِعِ كُفْرِهِمْ
وَيَلْطَمُ خَدَيْهِ وَيَأْخُذَ مَالَهُ
وَفِي رَمَضَانَ يُفْسِدُونَ صِيَامَنَا
وَقَدْ أَمَرُونَا أَنْ نَسُبَ نَبِيَنَا
وَقَدْ سَمِعُوا قَوْمًا يُغْتَنُونَ بِاسْمِهِ
وَعَاقِبَهُمْ حُكَاْمُهُمْ وَوَلَاتُهُمْ
وَمَنْ جَاءَهُ الْمَوْتُ وَلَمْ يُحْضِرِ الَّذِي
وَيُتْرَكْ فِي زَبَلٍ طَرِيحًا مُجَدَّلًا
إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْ أُمُورَ كَثِيرَةٍ
وَقَدْ بُدِّلَتْ أَسْمَاؤُنَا وَتَحَوَّلَتْ
فَآهًا عَلَى تَبْدِيلِ دِينِ مُحَمَّدٍ
وَأَهًا عَلَى أَسْمَانَا حِينَ بُدِّلَتْ
وَأَهًا عَلَى أَبْنَانِنَا وَبَنَاتِنَا
يُعَلِّمُهُمْ كُفْرًا وَزُورًا وَفِرْيَةً
وَأَهًا عَلَى تِلْكَ الْمَسَاجِدِ سُورَتْ
وَأَهًا عَلَى تِلْكَ الصَّوَامِعِ عُلِقَتْ
وَأَهًا عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ وَحَسَنُهَا
وَصَارَتْ لِعِبَادِ الصَّلِيبِ مَعَاقِلًا
وَصِرْنَا عَبِيدًا لَا أَسَارَى فَتُفْتَدَى
فَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَا صَارَ حَالُنَا
فِيَا وَيْلَنَا ، يَا يَوْسَ مَا قَدْ أَصَابَنَا

فَفِي النَّارِ يُلْقَوْنَ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
يَعَاقِبُهُ اللَّبَاطُ شَرَّ الْعَقُوبَةِ
وَيَجْعَلُهُ فِي السَّجْنِ فِي سُوءِ حَالَةٍ
بِأَكْلِ وَشُرْبِ مَرَّةٍ بَعْدَ مَرَّةٍ
وَلَا تَذْكُرْنَهُ فِي رَخَاءٍ وَشِدَّةٍ
فَأَدْرِكُهُمْ مِنْهُمْ أَلِيمُ الْمَضَرَّةِ
بِضَرْبٍ وَتَغْرِيمٍ وَسَجْنٍ وَذَلَّةٍ
يُذَكِّرُهُمْ لَمْ يَدْفَنُوهُ بِحِيلَةٍ
كَمِثْلِ حِمَارٍ مَيِّتٍ أَوْ بِهَيْمَةٍ
قَبَاحٍ وَأَفْعَالٍ غَزَارٍ رَدِيَّةٍ
بَغَيْرِ رِضَا مِنَّا وَغَيْرِ إِرَادَةٍ
بِدِينِ كِلَابِ الرُّومِ شَرَّ الْبَرِيَّةِ
بِأَسْمَاءِ أَعْلَاجٍ مِنْ أَهْلِ الْغَبَاوَةِ
يَرُوحُونَ لِلْبَاطِلِ فِي كُلِّ غُدُوَّةٍ
وَلَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ بِحِيلَةٍ
مَزَابِلَ لِلْكَفَرِ بَعْدَ الطَّهَارَةِ
نَوَاقِيسُهُمْ فِيهَا نَظِيرُ الشَّهَادَةِ
لَقَدْ أَظْلَمْتَ بِالْكَفَرِ أَعْظَمَ ظُلْمَةٍ
وَقَدْ أَمْنُوا فِيهَا وَقُوعَ الْإِغَارَةِ
وَلَا مَسْلَمِينَ نَطَقُهُمْ بِالشَّهَادَةِ
إِلَيْهِ لَجَادَاتٍ بِالدَّمْعِ الْغَزِيرَةِ
مِنَ الضَّرِّ وَالْبَلْوَى وَثُوبِ الْمَذَلَّةِ

سَأَلْنَاكَ يَا مَوْلَايَ بِاللَّهِ رَبَّنَا
وَبِالسَّادَةِ الْأَخْيَارِ آلِ مُحَمَّدٍ
وَبِالسَّيِّدِ الْعَبَّاسِ عَمِّ نَبِينَا
وَبِالصَّالِحِينَ الْعَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ
عَسَى تَنْظُرُوا فِينَا وَفِيمَا أَصَابَنَا
فَقُولْكَ مَسْمُوعٌ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ
وَدِينُ النَّصَارَى أَصْلُهُ تَحْتَ حَكْمِكَ
فَبِاللَّهِ يَا مَوْلَايَ مُنُوا بِفَضْلِكَ
فَأَنْتُمْ أَوْلُو الْإِفْضَالِ وَالْمَجْدِ وَالْعَلَا
فَسَلِّ بِأَبْنِهِمْ أَعْنَى الْمُقِيمِ بِرُومَةٍ
وَمَا لَهُمْ مَالُوا عَلَيْنَا بِغَدْرِهِمْ
وَجَنْسِهِمْ الْمَغْلُوبُ فِي حِفْظِ دِينِنَا
وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَدِيَارِهِمْ
وَمَنْ يُعْطِ عَهْدًا ثُمَّ يَغْدِرْ بِعَهْدِهِ
وَلَا سِيْمَا عِنْدَ الْمُلُوكِ فَإِنَّهُ
وَقَدْ بَلَغَ الْمَكْتُوبُ مِنْكُمْ إِلَيْهِمْ
وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا اعْتِدَاءً وَجُرْأَةً
وَقَدْ بَلَغَتْ أَرْسَالُ مِصْرَ إِلَيْهِمْ
وَقَالُوا لَتَلِكِ الرُّسُلُ عَنَا بِأَنَّا
وَسَاقُوا عَقُودَ الزُّورِ مِمَّنْ أَطَاعَهُمْ
لَقَدْ كَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ وَكَلَامِهِمْ
وَلَكِنْ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْحَرْقِ رَدَّنَا

وَبِالْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
وَأَصْحَابِهِ أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ صَحَابَةِ
وَشَيْبَتِهِ الْبَيْضَاءِ أَفْضَلَ شَيْبَةِ
وَكُلِّ وَلِيٍّ فَاضِلٍ ذِي كِرَامَةٍ
لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَأْتِي بِرَحْمَةٍ
وَمَا قَلْتُ مِنْ شَيْءٍ يَكُونُ بِسْرَعَةٍ
وَمَنْ ثُمَّ يَأْتِيهِمْ إِلَى كُلِّ كُورَةٍ
عَلَيْنَا بِرَأْيٍ أَوْ كَلَامٍ بِحُجَّةٍ
وَعُوْثُ عِبَادِ اللَّهِ فِي كُلِّ آفَةٍ
بِمَاذَا أَجَازُوا الْغَدْرَ بَعْدَ الْأَمَانَةِ ؟
بَغِيرِ أَذَى مِنَّا وَغَيْرِ جَرِيمَةٍ
وَأَمِنْ مَلُوكِ ذِي وَفَاءٍ أَجَلَةٍ
وَلَا نَالِهِمْ غَدْرٌ وَلَا هَتَكَ حُرْمَةٍ
فَذَلِكَ حَرَامُ الْفِعْلِ فِي كُلِّ مَلَةٍ
قَبِيحٍ شَنِيعٍ لَا يَجُوزُ بِوَجْهَةٍ
فَلَمْ يَعْمَلُوا مِنْهُ جَمِيعًا بِكَلِمَةٍ
عَلَيْنَا وَإِقْدَامًا بِكُلِّ مَسَاءَةٍ
وَمَا نَالِهِمْ غَدْرٌ وَلَا هَتَكَ حُرْمَةٍ
رَضِينَا بِدِينِ الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ قَهْرَةٍ
وَوَاللَّهِ مَا نَرْضَى بِتِلْكَ الشَّهَادَةِ
عَلَيْنَا بِهَذَا الْقَوْلِ أَكْبَرَ فِرْيَةٍ
نَقُولُ كَمَا قَالُوهُ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ

ودين رسول الله ما زال عندنا
ووالله ما نرضى بتبديل ديننا
وإن زعموا أننا رضينا بدينهم
فسلّ وجراً عن أهلها كيف أصبحوا
وسلّ بلفيقا عن قضية أمرها
ومنيافة بالسيف مزق أهلها
وأندرش بالنار أحرق أهلها
فها نحن يا مولاي نشكو إليكم
عسى ديننا يبقى لنا وصلاتنا
وإلا فيجلونا جميعاً من أرضهم
فإجلاؤنا خير لنا من مقامنا
فهذا الذي ترجوه من عزّ جاهكم
ومن عندكم نرجو زوال كُروبنا
فأنتم بحمد الله خير مُلوكتنا
فنسأل مولانا دوام حياتكم
وتهدين أوطان ونصر على العدا
وثمّ سلام الله تتلوه رحمة

وتوحيدنا لله في كل لحظة
ولا بالذى قالوا من أمر الثلاثة
بغير أذى منهم لنا ومساءة
أسارى وقتلى تحت ذل ومهنة
لقد مُزّقوا بالسيف من بعد حسرة
كذا فعلوا أيضاً بأهل البُشرة
بجامعهم صاروا جميعاً كفحمة
فهذا الذى نلناه من شرّ فرقة
كما عاهدونا قبل نقض العزيمة
بأموالنا للغرب دار الأحبة
على الكفر فى عز على غير ملة
ومن عندكم تُقضى لنا كل حاجة
وما نالنا من سوء حال وذلة
وعزّتكم تعلو على كل عزة
بملك وعز فى سرور ونعمة
وكثرة أجناد ومال وثروة
عليكم مدى الأيام فى كل ساعة

الهوامش

- (*) النص الإسباني لا يتضمن سوى القصيدة ، لكننا رأينا من المناسب أن نورد المقدمة كما جاءت في كتاب "أزهار الرياض في أخبار عياض" للمقرئ (القاهرة ١٩٣٩) ، ص ١٠٨ - ١١٥ (المترجم) .
- (١) يقول مارمول إن زيارة وفد الماليك تمت عام ١٥٠٠ (أنظر: *Rebelión y castigo....., p. 156*)
- (٢) انظر : *Los moriscos españoles....., t. I, p. III.: Boronat* يحدد تاريخ الزيارة بعام ١٥٥١
- (٣) *Monroe " : A curious morisco appeal to the Ottoman Empire", en Al Andalus, 1966.*
- (٤) المصدر السابق ، ص ٢٨٢
- (٥) انظر طبعة القاهرة عام ١٩٣٩ المجلد الأول ص ١٠٨ - ١١٥ . انظر أيضا
- Soulah: Une elegie andalouse sur la Guerre de Grenade, Argel, 1914, p. 143.*
- حول هذا النوع من الرسائل انظر دراسة عبد الجليل التميمي " *Une lettre des Morisques de Grenade au Sultan Suleiman Al Kanuni en 1541*" . انظر كذلك رسالة مشابهة عام ١٥٦٨ وردت في
- Cartulario de Alonso del Castillo, M HE, 1852, p. 41*
- Lea : The moriscos of Spain.....pp.434 y sigs.*

رسالة من فقهاء المغرب إلى إخوانهم من العرب المتنصرين

فى غرة رجب ٩١٠ هـ - ٢٨ (نوفمبر سنة ١٥٠٤م)

تتضمن الفتوى التالية مجموعة من القواعد تسهل للموريسكيين الاحتفاظ بدينهم الإسلامى، و الرسالة محتواها مزدوج : فهى تشير إلى مبادئ الإسلام الأساسية الخاصة بضرورة ممارسة الشعائر حتى فى بيئة غير إسلامية ، ثم هى تعرض التطبيق العملى لهذه المبادئ : ماذا يفعل المسلم إذا أُجبر على التخلّى عن عقيدته، والدخول فى دين آخر؟ كل ذلك تتضمنه "التقية" التى شرعت فى عصور الإسلام الأولى حين كان المسلمون فى حاجة إلى إخفاء أمر دينهم ، ويستطيع المسلم طبقاً لذلك أن يتظاهر بالكفر مؤقتاً حتى يتجنب مشاكل كبيرة ^(١) .

يسمح الإسلام إذن لأتباعه بعدم الوفاء بالتزاماتهم الدينية فى حالة الاضطراب، إنه دين لا يريد لأتباعه أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة ، بل يشترط فقط إخلاص القلب، على هذا الأساس كان يمكن للموريسكى ممارسة الشعائر المسيحية وهو مستريح الضمير، على اعتبار أن طقوس الكنيسة الكاثوليكية مجرد واجبات اجتماعية . إن التقية تشكل ركناً أساسياً فى حياة الموريسكى . وقد فطن أعضاء محكمة التفتيش إلى هذه الحقيقة تماماً ^(٢) .

إجابة مفتى وهران(*) على أسئلة وردت إليه من الأندلس فى ٢ ماي عام ١٥٦٣ (**):

" الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .
إخواننا القابضين على دينهم كالقابض على الجمر ، ممن أجزل الله ثوابهم ، فيما لقوا

(*) نقلت المؤلفة هذه الوثيقة عن كتاب بديرو لونغاس "حياة الموريسكيين الدينية" ، ولما رأينا أن ترجمة لونغاس مختصرة فضلنا أن نورد النص الكامل لهذه الوثيقة الهامة ، نقلاً عن محمد عبد الله عنان : "تولة الإسلام فى الأندلس" : الجزء السابع ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ٢٠٠١ ، ص ٣٤٢ - ٣٤٤ (الترجم) .

(**) يذكر محمد عبد الله عنان أن تاريخ الفتوى هو عام ١٥٠٤ ، أما كتاب لونغاس - الذى نقلت عنه المؤلفة - فيذكر أن تاريخ الفتوى هو عام ١٥٦٣ . هناك احتمال وجيد أكثر من فتوى (رغم التشابه الواضح) ، وهناك احتمال أن يكون لونغاس قد أخطأ عند ذكر التاريخ (الترجم) .

فى ذاته، وصبروا النفوس والأولاد فى مرضاته، الغرباء القرباء إن شاء الله، من مجاورة نبيه فى الفردوس الأعلى من جناته، وارثو سبيل السلف الصالح فى تحمل المشاق، وإن بلغت النفوس إلى التراق ، نسال الله أن يطف بنا ، وأن يعيننا وإياكم على مراعاة حقه، بحسن إيمان وصدق، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً .

” بعد السلام عليكم، من كاتبه إليكم، من عبيد الله أصغر عبيده، وأحوجهم إلى عفوه ومزيده ، عبيد الله تعالى أحمد بن بوجمعة المغراوى ثم الوهرانى.

كان الله للجميع بلطفه وستره، سائلاً من إخلاصكم وغريبتكم حسن الدعاء، بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار، والحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار، ومؤكداً عليكم فى ملازمة دين الإسلام أمرين به من بلغ من أولادكم. إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، وإن ذكر الله بين الغافلين كالحى بين الموتى، فاعلموا أن الأصنام خشب منجور، وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع، وأن الملك ملك الله ما اتخذ من ولد، وما كان معه من إله، فاعبدوه واصطبروا لعبادته، فالصلاة ولو بالإيماء ، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أورياً، لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم، والغسل من الجنابة، ولو عوماً فى البحور. وإن مُنعتُم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار، وتسقط فى الحكم طهارة الماء، وعليكم بالتيمم ولو مسحاً بالأيدي الحيطان، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد، إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يتيمم به ، فاقصدوا بالإيماء ، نقله ابن ناجى فى شرح الرسالة لقوله عليه السلام: فاتوا منه ما استطعتم .

” وإن أكرهوكم فى وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية، وانووا صلاتكم المشروعة، وأشيروا إلى ما يشيرون إليه من صنم، ومقصودكم الله، وإن كان لغير القبلة تسقط فى حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام، وإن أجبروكم على شرب خمر، فاشربوه لا بنية استعماله ، وإن كلفوا عليكم خنزيراً فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم، ومعتقدين تحريمه ، وكذا إن أكرهوكم على محرم، وإن زوجوكم بناتهم،

فجائز لكونهم أهل الكتاب ، وإن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم ، فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه ، وإنكم ناكرون لذلك بقلوبكم، ولو وجدتم قوة لغيرتموه .

" وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم، ثم ليس عليكم إلا رءوس أموالكم ، وتتصدقون بالباقي، إن تبتم لله تعالى. وإن أكرهوكم على كلمة الكفر، فإن أمكنكم التورية والإلغاز فافعلوا، وإلا فكونوا مطمئني القلوب بالإيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك، وإن قالوا اشتموا محمداً فإنهم يقولون له مُمد، فاشتموا مُمدًا، ناوين أنه الشيطان، أو ممد اليهود فكثير بهم اسمه. وإن قالوا عيسى ابن الله ، فقولوها إن أكرهوكم ، وانووا إسقاط مضاف أى عبد اللاه مريم معبود بحق، وإن قالوا قولوا المسيح ابن الله، فقولوها إكراها ، وانووا بالإضافة للملك كبيت الله لا يلزم أن يسكنه أو يحل به، وإن قالوا قولوا مريم زوجة له، فانووا بالضمير ابن عمها الذى تزوجها فى بنى إسرائيل ثم فارقها قبل البناء. قاله السهيلي فى تفسير المُبهم من الرجال فى القرآن. أو زوجها الله منه بقضائه وقدره. وإن قالوا عيسى قد توفى بالصلب، فانووا من التوفية والكمال والتشريف من هذه، وإماتته وصلبه وإنشاد ذكره، وإظهار الثناء عليه بين الناس، وأنه استوفاه الله برفعه إلى العلو، وما يعسر عليكم فابعثوا فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله على حسب ما تكتبون به، وأنا أسأل الله أن يُدِيل الكرة للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهراً بحول الله، من غير محنة ولا وجلّة، بل بصدمة الترك الكرام. ونحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به ، ولا بد من جوابكم. والسلام عليكم جميعاً. بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسع مائة عرف الله خيره .

" يصل إلى الغرباء إن شاء الله تعالى "

الهوامش

Cahen : El Islam. Desde los orıgines hasta el comienzo del Imperio Otomano, Madrid, (١)
1970, p. 201.

Vid. Artículo Taquiyya en L, encyclopedie de l'Islam, y Cardaillac, pp. 175 y sigs. De (٢)
La polemique antichretienne ...

مذكرة السيد فرانثيسكو نونييث مولاي

- فى عام ١٥٦٧ أذيعت فى غرناطة سلسلة بنود وأوامر أهمها ما يلى :
- حظر اللباس المورييسكى على الرجال والنساء وإلزام النساء - بالإضافة إلى ذلك - بكشف الوجه.
 - فى الزفاف وفى كل أنواع الاحتفالات تمنع رقصة السمرة وإقامة الليالى بمصاحبة الآلات والأغنيات المورييسكية " حتى لو كانت لا تتضمن شيئاً مريباً أو مخالفاً للديانة المسيحية " .
 - يجب أن تظل أبواب البيوت مفتوحة وتمنع النساء من التخضيب بالحناء ويحظر استعمال الأسماء والألقاب الإسلامية.
 - حظر استعمال الحمامات.
 - يحظر على المورييسكيين أن يكون لهم عبيد من المقاتلين الغرباء ، وعلى الأحرار من هؤلاء المقاتلين مغادرة غرناطة فى غضون ستة أشهر.
 - يحظر على المورييسكيين كذلك أن يكون لهم عبيد من السود ^(١) .
- كما نرى، لم تكن تلك الإجراءات مجرد وسائل قمع دينى أو سياسى، بل كانت تهدف إلى إلغاء وجود المورييسكيين كجماعة مختلفة ثقافياً ، وكان المطروح هو ما يسميه براوديل " صراع الحضارات " .
- لم تكن تلك هى المرة الأولى التى يحظر فيها على المورييسكيين لغتهم وملابسهم... إلخ ، لكن المورييسكيين كانوا يتمكنون - من خلال ثروتهم - من تأجيل اللحظة التى توضع فيها هذه الإجراءات موضع التنفيذ.

وفى عام ١٥٧٦ ، حين لم يكن هناك مجال للتأجيل ، أرسل أحد أعيان المورييسكيين - وهو فرانثيسكو نونييث مولاى - إلى محكمة غرناطة مذكرة ننقل نصها (٢) (*). يضع نونييث فى اعتباره أهمية القضية فيحاول تصوير هذه الخصائص على أنها مجرد عادات محلية ويسعى إلى أن يُقبل اللباس المورييسكى كما يُقبل الزي الخاص بقشتالة أو أراغون، وأن تُقبل اللغة العربية كما تُقبل اللغة الغاليثية أو القطلونية.

لم تحقق المذكرة أدنى درجة من النجاح ، وسيكون تنفيذ هذه القرارات هو السبب الرئيسى فى ثورة البشترات :

عندما تحول أبناء هذا الإقليم إلى المسيحية لم يكن هناك أى بند يجبرهم على ترك زيهم أو لغتهم أو العادات الأخرى التى يمارسونها فى حفلاتهم ، وإحقاقاً للحق فإن التصير كان إجبارياً ومناقضاً للمعاهدة التى وقعها الملكان الكاثوليكيان عندما سلم لهما الملك أبو عبد الله هذه المدينة ، وحينما كانا على قيد الحياة لم أجد - رغم سنى - ثمة محاولة لنقض المعاهدة. بعد ذلك ، خلال حكم ابنتهما خوانا، بدا من المناسب (لا أدري لمن) أن يصدر الأمر بأن نتخلّى عن الزي المورييسكى، وقد تعطل تنفيذ هذا الأمر لبعض الأسباب ، وهذا ما حدث أيضاً تحت حكم الإمبراطور كارلوس، وبعد ذلك حدث أن تجرأ رجل دنى من وطننا - استغل حُسن أخلاق مخدمه السيد بولانكون عضو هذه المحكمة - فكتب فصولاً ضد القساوسة ولم يتبع رأى أعيان الرجال الذين يرون ضرورة إخفاء هذه الأمور ، فحصل على توقيع بعض أصدقائه على ما كتب وقدم كتابه إلى صاحب الجلالة ، وفى إثر ذلك ترفع السيد باردو راهب سان سالفادور بالبيازين عن القساوسة وأفاد بأن المنتصرين حديثاً مسلمون ويعيشون كمسلمين، وأنه ينبغي إصدار أوامر لكى يتخلوا عن عاداتهم القديمة التى تمنعهم من أن يكونوا مسيحيين، وقد أمر الإمبراطور - كأمير مسيحي - بالقيام بزيارات عبر هذه المملكة للتعرف على أسلوب حياة أبناء غرناطة ، وتمت الزيارة وقام القساوسة أنفسهم بالزيارات ، وكانوا هم الذين شهدوا ضد المورييسكيين..... من هنا جاء الاجتماع الذى تقررت فيه أمور تحد من امتيازاتنا ، رغم أننا حضرنا ذلك الاجتماع . ومنذ سنوات أراد السيد غاسبار دى أبالوس - عندما كان أسقفاً لغرناطة - أن يحرمننا من

(*) لم ينقل مارمول النص الكامل للمذكرة التى قدمها نونييث مولاى ، وإنما حذف منها عبارات تتضمن انتقادات حادة للسلطات السياسية والكنيسة (المترجم) .

زيننا فبدأ بأهل القرى وأحال إلى هذه المحكمة بعض أهالي غويخار لنفس السبب . إن رئيس المحكمة الذى كان فى موقعكم الحالى وأعضاء المحكمة وماركيز موندخار والمراجع ... كل هؤلاء عارضوه لنفس الأسباب ، وتوقفت القضية منذ عام ١٥١٠ وحتى الآن حين عاد نفس القساوسة إلى إثارتها لكى يضايقونا من جهات كثيرة فى وقت واحد. إن من ينظر إلى القرارات الجديدة من الخارج يبدو له أنها سهلة التنفيذ ، لكن صعوبات تنفيذها كبيرة جداً ، وسأعرض لكم هذه الصعوبات تفصيلاً حتى تأسوا على هذا الشعب المسكين وترفقوا به وتعاملوه بالحب والرحمة و تزكوه لدى صاحب الجلالة كما فعل ذلك رؤساء هذه المحكمة قبلكم.

إن لباسنا الخاص بالنساء ليس لباس المسلمين، بل هو زى إقليمي مثل زى قشتالة، والزى الخاص يستعمله الناس فى أماكن أخرى فى الزينة والأحذية، ومن الذى ينكر أن زيننا مخالف لزى الأتراك والمسلمين ؟ بل إن أزياء المسلمين مختلفة فيما بينها، فزى فاس ليس هو زى تلمسان ولا زى تونس مثل زى المغرب، ونفس الشيء يُقال عن زى تركيا وزى الممالك الأخرى، ولو أن طائفة محمد لها زى خاص لكان زياً واحداً فى جميع البلاد ، لكن الزى ليس هو الذى يصنع الفضيحة. إننا نرى قساوسة ومسيحيين من سوريا ومن مصر يرتدون الزى التركى وتصل قفاطينهم إلى أقدامهم، يتحدثون العربية والتركية، لا يعرفون اللاتينية ولا الإسبانية ورغم كل ذلك فهم مسيحيون.

أذكر - وأعتقد أن كثيراً من معاصريّ يذكرون - أن لباس أهل غرناطة قد تغير عما كان معتاداً، فقد بحث الناس عن زى نظيف، قصير، أقل تكلفة. إن هناك من النساء من يتكلف ثوبها بوقية واحدة وتحفظ بثوب الزفاف والحفلات للمناسبات ويتوارثن هذه الثياب لثلاثة أو أربعة أجيال. إذا كان الأمر كذلك ، فما هى الفائدة التى تعود على أحد إذا حرمننا من ثيابنا التى اشتريناها - فى حقيقة الأمر- بدوقيات كثيرة كانت حصيلة أعمال قمنا بها خدمة للملوك السابقين؟ لماذا يريدون أن يجعلونا نفقد أكثر من ثلاثة ملايين عملة ذهبية أنفقناها فى هذه الثياب وأن يخسر التجار والسماسرة وعمال الفضة وغيرهم ممن يعيشون من جراء صناعة الثياب والأحذية والمجوهرات الموريسكية ؟ إذا كانت مائتا ألف امرأة أو أزيد ممن يعشن فى هذه المملكة سيتعين عليهن شراء ملابس جديدة من الرأس إلى القدم ، كم من النقود

يتكلف ذلك؟ أية خسارة تلك التى تمتثلها الثياب والمجوهرات الموريسكية التى سيتخلصن منها! لأن هذه الثياب مصنوعة من قطع قماش صغيرة لا يمكن استعمالها إلا فى صناعة هذه الثياب ؛ ولهذا فهى غالية. ولا أنوات الزينة أيضاً يمكن استخدامها ولا الأحذية. هذه المرأة المسكينة التى لا تجد ما تشتري به ثوباً ولا عباءة وقبعة وحذاء فترتدى سروالاً وتلتحف بملاءة بيضاء، هذه المرأة ماذا تفعل؟ ماذا سترتدى ؟ من أين لها بنقود لشراء ملابس ؟ ثم هذه الإيرادات الملكية التى تستفيد من البضائع الموريسكية والتى يتفق فيها الكثير على الحرير والذهب و المجوهرات ، لماذا تخسر؟. إننا معشر الرجال نلبس على الطريقة القشتالية رغم أن معظمنا يرتدى ملابس فقيرة. لو أن الملابس هى التى تصنع الدين لكان الرجال أحرص عليها من النساء ، فقد ورثوا الدين عن الكبار والعلماء.

سمعت كثيراً من القساوسة أنه ستكون هناك مكافآت وتفضيل لمن يلبسون ثياباً قشتالية وحتى الآن ، من بين كل من ارتدى الثياب القشتالية، لا أرى واحداً فقط أقل تعرضاً للمضايقات ولا موضع تفضيل. إننا جميعاً نعامل بنفس الطريقة. إذا وجبوا سكيناً مع أحد يودعونه السجن ويفقد أمواله بين الغرامات والرشاوى، تطاردنا المحاكم الكنسية والمحاكم المدنية ، ورغم كل ذلك فنحن رعايا مخلصون دائماً ومطيعون لجلالة الملك ومستعدون لخدمته بأموالنا. لا يستطيع أحد إطلاقاً أن يقول إننا ارتكبنا خيانة منذ اليوم الذى استسلمنا فيه.

عندما قامت الثورة فى البيازين^(٣) لم تكن ضد الملك ، بل تأييداً لتوقيعه الذى نكنّ له الاحترام كشىء مقدس. قبل أن يجف مداد الحبر نُقضت بنود المعاهدة، فالقوى القبض على النساء ذوات الأصل المسيحى لكى يجبروهن على التنصر. تأمل يا سيدى هل قام أهل هذه المملكة بالتمرد؟ لقد قاموا - تأييداً لصاحب الجلالة- بمرافقة كل من ماركيز موندبخار والسيد أنطونيو والسيد بيرناردينو دى مندوثا وأخوته ضد المتمردين إيرناندو دى كوردوبا اونخى ودييغو لوبيث أخار ودييغو لوبيث أثيرا. كنا أربعمائة فارس موريسكى وكنا أول من حمل السلاح فى إسبانيا ضد الجماعات. وقد كان السيد خوان دى غرناطة شقيق الملك أبى عبد الله قائداً للجيش الملكى فى قشتالة. من العدل إذن أن يكرم هؤلاء الذين أثبتوا ولاهم وأن تكرمهم سيادتكم كما فعل أسلافكم ممن تولوا رئاسة هذه المحكمة.

إن حفلات الزفاف الخاصة بنا ورقصة السمرة وأفراحنا التي اعتدنا عليها لا تحول بيننا وبين المسيحية، بل إنني لا أدري كيف يقول أحد إنها حفلات مسلمين ؛ لأن المسلم الصالح لا يتواجد في هذه الأماكن، وقديما كان الفقهاء يغادرون المكان عندما يبدأ العزف والغناء، بل إن الملك المسلم عندما كان يغادر المدينة ويمر بحى البيازين الذي يسكنه القضاة والفقهاء كان يأمر بوقف العزف حتى يخرج من باب البيرا احتراماً لهم. ليست هناك حفلات رقص في إفريقيا ولا في تركيا. إنها عادة محلية ، ولو كانت شعيرة دينية لكان لها نفس الطابع في كل الأماكن. إن الأسقف الطيب (٤) كان له أصدقاء من الفقهاء ، وكان يستعمل أشخاصا يتقاضون أجراً حتى يشرحوا له عبادات المسلمين ، ولو علم أن حفلات الرقص من شعائر الإسلام لكان قد منعها أو على الأقل لم يمتدحها فقد كان يأمر بأن تعزف موسيقى السمرة.... والاحتفالات الأخرى التي يحضرها كل الناس ، وكانوا يتنافسون أيهم يجيد رقصة السمرة بشكل أفضل. وفي البشترات - حين كان يذهب لزيارة كنيسة - عندما كان يقوم بوعظ ملحن كان يستبدل الأرغون بموسيقى السمرة التي كانت ترافقه في طريقه إلى الكنيسة. أتذكر أنه أثناء الوعظ عندما كان يدير وجهه إلى الجمهور كان يقول بالعربية - بدلا من اللاتينية - "يبارك فيكم" ، ثم كانت تعزف موسيقى السمرة.

لا تجد كذلك أن تخضب النساء بالحناء شعيرة إسلامية ، بل هي عادة لتنظيف الرأس ، إذ تخرج منها أية قذارة، وهو أمر صحي، وإذا وضع مع الحناء شيء فذلك لصبغ الشعر، وأداء عمل يروونه جميلاً ، وهذا ليس ضد العقيدة ، بل هو شيء مفيد للجسم ويعالج الأمراض، وقد أراد السيد أنطونيودي غيبارا قسيس غواديكس أن يقصر شعر النساء في ماركيزية ثنييتي وأن يزيل الحناء من أيديهن ، فلما ذهب لتقديم الشكوى إلى رئيس وأعضاء المحكمة وإلى ماركيز موندخار اجتمعوا لمناقشة الأمر وأرسلوا له شخصاً يخبره بالآ يفعل ذلك ، إذ لا علاقة له بالدين.

سيدي، ماذا يُجدى ترك أبواب منازلنا مفتوحة؟ إننا بذلك نسهل للصوفس سرقتنا، ونسهل لمن لا حياء لهم التجرؤ على نساءنا ، ونسهل للحُجَاب ترويع الناس الأمنين. إذا أراد شخص أن يكون مسلماً وأن يمارس الوضوء وشعائر المسلمين ، ألا يستطيع فعل ذلك ليلاً ؟ يستطيع بالتأكيد لأن شعائر طائفة محمد تتطلب العزلة.

لا يجدى الدين فتح أو إغلاق الأبواب بالنسبة لمن كانت نيته سيئة ، ومن يفعل ما لا يجب فليعاقب ولا يخفى على الله شئ.

هل يمكن إثبات أن الحمامات علاقة بشعائر الإسلام؟ لا بكل تأكيد، فى الحمامات يجتمع الناس، وفى معظم الحمامات يقوم بالعمل مسيحيون. إن الحمامات تمتلئ بالقانورات فى حين أن شعائر الإسلام تتطلب النظافة والعزلة ، فكيف يذهب المسلم لتأدية الصلاة فى مكان مريب؟ . إن الحمامات شيدت لتنظيف الجسد ، والقول بأن النساء يجتمعن هناك بالرجال قول لا يمكن تصديقه؛ لأن المكان الذى ترتاده الكثيرات لا يمكن أن تكون به أسرار. إن النساء والرجال لهم وسائل أخرى للاجتماع ، خاصة أن الرجال لا يدخلون إلى الحمامات عندما تكون النساء موجوده. لقد كانت هناك حمامات فى كل الأقاليم ، وإذا كانت حمامات قشتالة قد أزيلت فذلك لأنها كانت تضعف رغبة الرجال فى الحرب. ليس على أهل هذه المملكة أن يحاربوا ولا يتعين على النساء أن تكون لهن قوة بل أن يكنّ نظيفات، وإذا لم تغتسل النساء فى الحمامات فلن يغتسلن فى الأنهار ولا فى البيوت، أين يمكنهن الاغتسال إذن ؟ ولكى تذهب النساء إلى الحمام كعلاج لأمراضهن فإنهن يتكلفن كثيراً من الجهد والمال والوقت لاستخراج تصريح بذلك.

الأمر بأن تكشف النساء وجوههن ، ما فائدته سوى دعوة الرجال لارتكاب المعصية إذا رأوا الجمال الذى يشتهونه ؟ ولن تجد الدميمات من يتزوج بهن. إن النساء يغطين وجوههن لكى لا يُعرفن ، وهذا ما تفعله المسيحيات. إن هذا الفعل شرف يتجنبن به المشاكل ؛ ولهذا أمر الملك الكاثوليكي بالآلا يكشف مسيحي وجهه مورييسكية تمشى فى الشارع وإلا عوقب. إذا كان الأمر كذلك ولا يتعارض مع الدين فلماذا نُغضب أهل غرناطة بسبب كشف أو عدم كشف وجوه زوجاتهم؟

إن الألقاب القديمة التى نحملها إنما هى لكى نعرف بعضنا بعضاً وإلا تاه الناس وضاعت الأنساب، ما فائدة ضياع الأنساب؟ لو فكرنا فى الأمر جيداً فإن المحافظة على الأنساب ترفع من شأن الملكين الكاثوليكين اللذين تمكنا من الاستيلاء على مملكة غرناطة . هذا بالضبط كان هدف صاحبى الجلالة وهدف الإمبراطور ، ومن أجل هذا يُراعى القيام على شئون قصر الحمراء وقصور أخرى صغيرة بحيث تظل كما كانت

موجودة فى عهد الملوك المسلمين. بهذه الطريقة تدل هذه القصور على سطوة المنتصرين (٥) (*).

ترحيل المقاتلين الغرباء من هذه المملكة أمر عادل ، فلا فائدة تعود على أحد من اتصالهم بأهل البلاد ، لكن هذه الأوامر صدرت سابقاً ولم تُنفذ أبداً ، وتنفيذها الآن تترتب عليه مشاكل ؛ لأن معظمهم أصبح الآن من أهل البلاد ، فقد تزوجوا وأصبح لهم أولاد وأحفاد وهؤلاء قد تزوجوا ولذلك فإن طردهم من البلاد سيؤدى إلى تائب الضمير .

ولست هناك مشكلة كذلك فى أن يكون لأهل غرناطة عبيد . ألا يحق لأهل غرناطة أن يكون لهم خدم ؟ هل كل الناس متساوون ؟ القول بأن الشعب الموريكى تعدادة يزيد مع وجودهم هو مجرد توهم ؛ لأن صاحب الجلالة لما سأل عن تعداد العبيد السود فى هذه المملكة قيل له إن عددهم عشرون ألف وقد أصبحوا الآن أربعمئة فقط ، وفى الوقت الحاضر لا توجد مائة تصريح بامتلاك عبيد . هذه المسألة أيضاً أثارها القساوسة . إنهم هم الذين مكثوا أصحابهم من امتلاكهم وهم الذين استقنوا من وجودهم .

ننتقل إلى اللغة العربية وهذه تمثل أكبر مشكلة ، كيف يمكن أن يُحرم الناس من لغتهم الطبيعية التى ولدوا وتربوا عليها؟ إن المصريين والسوريين والمالطيين وجمع آخر من المسيحيين يتحدثون ويكتبون ويقرءون بالعربية وهم مسيحيون مثلاً . ولم يحدث فى هذه المملكة أن كتب عقد أو وصية باللغة العربية منذ تحولنا إلى المسيحية . كلنا يتمنى أن يتعلم اللغة القشتالية ، لكن هذا ليس فى مقدور الناس . كم من الأشخاص موجودون فى هذه المدينة وفى قرى خارجها لا يتحدثون اللغة العربية إلا وكل منهم له لهجة مختلفة عن الآخر بحيث أنك بمجرد أن تسمع شخصاً من البشرات يتحدث تعرف أنه من البشرات؟ لقد ولد هؤلاء الناس وتربوا فى أماكن صغيرة ولم يسمعوا اللغة الأعجمية أبداً ، وليس هناك من يفهمها إلا القسيس والعريف ، وهذان يتحدثان دائماً بالعربية ، وسيكون من الصعب بل من المستحيل أن يتعلم كبار السن اللغة القشتالية فى

(*) كان الشعراء الإسبان المتعاطفون مع المسلمين فى القرن السادس عشر يعلنون إشارتهم بالموريكيين بأن ذلك يعنى الإشادة بملوك إسبانيا الذين انتصروا على أمة قوية . انظر : د . جمال عبد الرحمن «صدى سقوط غرناطة الإسلامية فى الأدب الإسباني» أعمال المؤتمر الدولى الخامس للدراسات الموريكية ، تونس ١٩٩٣ ، الجزء الثانى ص ١٨٥ - ٢٠٩ (المترجم) .

ما تبقى لهم من عمر ، ناهيك عن فترة السنوات الثلاث، حتى لو لم يفعلوا شيئاً سوى الذهاب إلى المدرسة والعودة منها. من الواضح أن هذا البند وُضع لتعجيزنا : ففي حين لا يوجد من يعلمنا الأعجمية يريدون أن نتعلمها بالقوة، وأن نتخلى عن اللغة التي نجيدها؛ وهكذا يسببون لنا الأحزان والصدمات ، وهكذا عندما يرى أهل البلاد أنهم لا يستطيعون رفع الظلم فسيتركون البلاد خوفاً من العقوبة ويذهبون إلى بلاد أخرى ويتحاولون إلى قطاع طرق. إن من أمر بهذا رغبة منه في خلاص النفوس عليه أن يعي أن ذلك سيؤدي إلى خطر عظيم. ليتأمل الوصية الثانية من الوصايا العشر ، وعندما يحب الآخر لن يحب له ما لا يحب لنفسه . ليتأمل في أنه لو أمر مسيحيو قشتالة أو أندلوثيا بشيء واحد من الأوامر التي صدرت لنا لماتوا حزناً، ولا أدري ماذا كانوا سيفعلون.

لقد كان رؤساء هذه المحكمة دائماً يحمون هذا الشعب البائس، إذا أهم شعبنا شيء كان يهرع إليهم، وكانوا يعالجونه كأشخاص يمثلون الذات الملكية ويتمنون الخير لرعايا جلالة الملك. هذا بالضبط ما أمله منكم جميعاً.

هل هناك على وجه الأرض من هم أدنى من أهل غينيا السود؟ . لقد سُمح لهم بالتحدث بلغتهم لإرضائهم. سامحنى الله إذا كنت قد قلت ما قلت بنية سيئة ، لأن نيتي حسنة. لقد عبدتُ الله ربنا وأخلصت للتاج الملكى ولأهل هذا الوطن وعملت من أجل خيره؛ هذا الواجب يجرى في دمي ولا أستطيع التخلي عنه. منذ ستين عاماً وأنا أؤدي هذا العمل. في كل مرة كنتُ أحد المختارين. إذا نظرتُم إلى هذه الأمور إذن بعين الرحمة فلن تتخلوا سيادتكم عن محدودى الإمكانيات وهم يواجهون من يملكون قوة الدين في جانبهم. الفتوا نظر صاحب الجلالة، وعالجوا هذه الأضرار الكثيرة كما نأمل وافعلوا ما يجب أن يفعله رجل مسيحي شريف. نتمنى أن يكون في ذلك رضا الله ورضا صاحب الجلالة ، وسيكون أهل هذه المملكة مدينون لكم على الدوام.

الهوامش

Mármol: *Rebelión y Castigo*.....p.161

(١)

(٢) كما وردت فى كتاب مارمول ص. ١٦٢ - ١٦٥ . المذكرة مودعة فى مكتبة مدريد الوطنية (المخطوطة رقم ٦١٧٦) وقد نشرها غاراد ودرسها فى مقال بعنوان :

"The original Memorial of Don Francisco Nunez Muley", en *Atlante*

(٣) يشير إلى ثورة البيازين عام ١٤٩٩ إثر عمليات التتصير الإجبارية وحرق الكتب نتيجة لتشدد الكاردينال ثيسنيروس. وقد اعتبر الموريسكيون ذلك بمثابة انتهاك لاتفاقية تسليم غرناطة.

(٤) يقصد إيرناندو دى تالابيرا .

(٥) كان فقدان الأسماء العربية مؤثرا ، فهو يعنى ضياع الأنساب العربية القديمة ومعها النظام الاجتماعى الذى يستند إليها . أنظر :

Julio Caro Baroja: Los moriscos del reino de Granada, pp. 52 y sigs.

نبوءة موريسكية

كانت النبوءات التي تسمى "وصايا" شائعة خلال القرن السادس عشر، وكانت السمة المشتركة التي تجمع بين كل تلك النبوءات هي الأمل في تحقيق النصر والإيمان بانتصار الإسلام انتصاراً كاملاً. وفي معظم هذه النبوءات نلاحظ الترغيب في الإسلام، وكان من الشائع كذلك التنبؤ بأن يأتي النصر على يد الأتراك أو على يد مسلمي البربر.

كانت الوصايا أو النبوءات تكتب بالأخميادو أو باللغة العربية، كالنبوءة التي سنعرضها الآن والتي عرضت على محكمة التفتيش في غرناطة وترجمها ألونسو ديل كاستيو^(١). وقد أدرج مارمول هذه الوصية مع وصيتين أخريين في كتابه " قصة تمرد الموريسكيين وعقابهم"^(٢) ونسب إلى هذه الوصايا سر قوة واستمرار ثورة البشرات .

وقد اخترنا الوصية الثانية من هذه الوصايا^(٣) أنها تنسب إلى النبي نفسه ؛ ولأنها تصور المأساة التي حلت بالموريسكيين على أنها عقاب من الله لهم بسبب فساد أخلاقهم، ويعدمهم عن الإسلام في أواخر دولة الأندلس.

نبوءة وجدت في كتب صادرتها محكمة التفتيش في غرناطة (*)

بسم الله الرحمن الرحيم. جاء في الأثر أن رسول الله كان جالساً ذات يوم بعد صلاة الظهر يتحدث مع الصحابة - رضى الله عنهم جميعاً - وفي هذه اللحظة

(*) تحفل الكتابات الموريسكية بالأحاديث الموضوعية، كما ذكرنا في أكثر من مناسبة. لاحظ كذلك اضطراب الأسلوب وتغير الضمائر والخطأ في ذكر الآيات القرآنية (المترجم).

دخل ابن أبي طالب وفاطمة الزهراء - رضى الله عنهما - وجلس بجانبه. قالوا له: " يا رسول الله دلنا على حال أمتك فى آخر الزمان... " فقال لهم: « ستقوم القيامة عندما يكون الناس أشراراً ، وسيكون هناك جيل من أهلى (أمتى) فى آخر بلاد الغرب فى مكان يسمى جزيرة الأندلس ، وسيكون هؤلاء آخر من يسكنها من أمتى (أهلى). سيكونون آخر الناس، يرحمهم الله فى ذلك الوقت ». قال ذلك وامتلاّت عيناه بالدموع ثم قال: « هم المضطهدون والمكروبون ، هم الذين يدمرون أنفسهم ، هم التعمساء الذين قال الله عنهم : (لا تفتنى أمة إلا ونحن نأذن بذلك) (*) يقرأ إلى آخر السورة ما هو مكتوب ويتعلق بذلك ، وفيه يشير الله تعالى إلى هذا الذى ذكرت ، وسيكون ذلك بسبب نسيان أهل الأندلس لأمر الدين واتباعهم لأهوائهم وحبهم الدنيا وترك الصلاة ومنع الزكاة وحب الشهوات والقتل؛ ولأنه سيشتيع بينهم الكذب ، ولن يحترم الصغير الكبير ، وسيشتيع بينهم الجهل والظلم والحلف الكاذب ، وسيتعامل التجار بالربا والغش فيما يبيعون ويشترون. كل ذلك بسبب الجشع والرغبة فى زيادة أموالهم وكثرتها دون التأمل من أين جاء المال » قال ذلك وامتلاّت عيناه بالدموع مرة أخرى، وبكى فبكينا كلنا معه ثم قال : « عندما تظهر فى الأمة هذه الشرور سيبعث الله عليهم أناساً أسوأ منهم ، تعجبهم الجرائم المنكرة. حينئذٍ سيطلبون العون من العادلين فيهم ولن يجيبونهم. وسيبعث الله عليهم من لا يرحم الصغير ولا يوقر الكبير ، لأن كل إنسان سيعاقب بذنبه وعليه أن يتحمل جزاءه. لم نر أبداً أن الربا استقر فى أمة ولا الغش فى البيع والشراء والوزن والمكيال إلا وعاقبها الله تعالى بقطع الغيث من على وجه الأرض. لم تنفخ الفاحشة إلا وأرسل الله الفناء والموت ، ولم ينتشر فى أمة الربا فى البيع والشراء والحلف الكاذب والتكبر إلا وعاقبها الله بكل أنواع المرض. ولم ينتشر فى أمة ما موت السوء والقتل إلا وأذلها الله وأخضعها لأعدائها ، ولم ينتشر فى أمة ما عمل قوم لوط إلا وعاقبها الله بأن أرسل عليها الدمار والخسف ، ولم يظهر فى أمة ما القسوة وانعدام الرحمة وعدم الخوف من الله بارتكاب المعاصى إلا وعاقبها الله بعدم الاستجابة لدعائها عند الكروب ؛ لأن الذنوب عندما تنتشر فى الأرض يرسل الله تعالى العقاب من السماء ، ولا يلعن الله أحداً من أمتى إلا وينزع التراحم بينهم ، ولا يعاقب

(*) الآيات القرآنية تقر أن لكل أمة أجل ، لكن الموريسكى ربما أخطأ فى ذكر الآية (المترجم) .

الله عبداً فى الدنيا باكثر من قسوة القلب ، وعندما يقسو قلب الإنسان يلعنه ربه ولا يسمع دعاءه ولا يرحمه ، ويشتد غضب الله على عباده حين يقترب يوم الحساب بسبب كثرة المعاصى وترك المعروف والبعد عن طريق الحق . عند ذلك بكى وقال: « فليرحم الله أهل هذه الجزيرة عندما تظهر فيهم الذنوب والمعاصى ويبتعدون عما جاء فى القرآن؛ لأن معظمهم حينئذ سيبتغون الدنيا وسيلبسون أصواف الغنم الفقيرة وستكون ألسنتهم أحلى من العسل والسكر لكن قلوبهم ستكون قلوب ذئاب وستكون أفعالهم دنيئة وشريرة ، وسيبعث الله عليهم عقابه، وإن يسمع دعاءهم لأنهم سيفضلون الظلم ، وإن يدخل ضمن أمتى الظالمون أبداً. ومن يبتسم فى وجه ظالم أو يفسح له مكاناً يجلس فيه أو يساعده أو يسهل له ارتكاب المعصية فإنه يوشك أن يهلك . وإذا طغى ملك فى أرضه ولم يعدل بين رعيته سينقص الله من مملكته الخبز والفاكهة والخيرات ، أما إذا حكم بالعدل ولم تكن فى مملكته شرور ولا ظلم فسيرسل الله تعالى بركاته على أهله وعلى مملكته وسيزيد فى خيراتهم . وعندما يظهر فى هذه الجزيرة أهل الظلم وترك الحق والخيانة وعندما يسود التكبر والخيانة ويظلم الأيتام وتترك رحمة الله ويطاع الشيطان فتتركب المعاصى ويُشهد بالزور ويتواضع للأغنياء ويُتكبر على الفقراء بسبب قسوة القلب والتكبر، حينما تكون ألسنتهم حلوة وأفعالهم مرة... حينئذ سيرسل الله عقابه . ثم بكى مرة أخرى وقال : « أقسم برحمة الله ويعظمة أسمائه أنه لولا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولولا حب الله لى لأرسل الله عليهم عذاباً شديداً . ثم بكى بمرارة وقال : « اللهم ارحمهم » - كررها ثلاثاً - « لكن الله سيرسل عليهم بسبب أفعالهم حكماً قساة وأشراراً يأخذون أموالهم دون حق، ويدخلونهم فى دينهم ويجعلونهم يعبدون الأصنام معهم ويجعلونهم يأكلون الخنزير معهم ويستخدمونهم فى أعمالهم ويعذبونهم حتى يجعلوهم يخرجون اللبن الذى رضعوه من أطراف أظافرهم، وسيرون الظلم فى ذلك الوقت لدرجة أن أحدهم سيمر على القبر الذى يدفن فيه أخوه أو صديقه ويقول « ليتنى كنت معك » . سيستمرون على ذلك إلى أن يفقدوا الأمل فى الموت على دين الرحمة. معظمهم سيخرج عن دين الحق » هنا بكى ثانية وقال: « فليرحمهم الله تعالى برحمته ولينظر إليهم بعين الرحمة والشفقة والعطف، سيكون ذلك عندما يشتد عليهم أعداؤهم، عندما يحرقون كثيراً منهم ، رجالاً ونساءً ، وأطفالاً صغاراً وشيوخاً ، وعندما يخرجونهم من ديارهم، ويطردونهم من بلادهم...فى

ذلك الوقت ستثور الملائكة فى السماء وسيذهبون جماعةً ليسجدوا لله وليقولوا له : « إن ناساً من أمة حبيبك ورسولك محمد يحرقون فى النار وأنت القوى المنتقم» هنا يرسل الله القوى من ينجدهم ويخرجهم من هذا الكرب العظيم. هنا بكى على - رضى الله عنه - وبكىنا كلنا معه وقال له: « فى أى عام سيرسل الله النجدة ويسر القلوب المكروية؟» أجاب « يا على سيكون ذلك فى جزيرة الأندلس عندما تكون بداية العام يوم سبت والعلامة الدالة على ذلك أن يرسل له سحابة من الطير يكون من بينها طائران مميزان أحدهما سيكون الملك جبريل والطائر الآخر سيكون ميكائيل ، أما الطيور فستكون من أرض الببغاوات، وسيؤذن قدومهم بقدم ملوك الشرق والغرب نجدة لجزيرة الأندلس ، والعلامة ستكون هجوم أهل الغرب أولاً. وإذا تحدثت هذه الطيور فستخبر بأنه فى الوقت الذى تتحدث فيه ستكون صيحات الحرب فى المغرب... ستحدث صدامات وحروب بين أهل شريعة المسلمين وأهل دين النصارى ، وسيعود الناس كلهم إلى شريعة المسلمين ، لكن ذلك سيحدث بعد ضيق شديد. ذلك العام سيكون فيه ضباب كثيف وماء قليل وستحمل الأشجار ثماراً كثيرة وسيكون الخبز أكثر وفرةً فى الجبال الباردة منه فى السواحل ، وسيملا النحل خلاياه فى ذلك العام المبارك » .

الهوامش

(١) حول هذه الشخصية انظر .

El morisco granadino Alonso del Castillo, interprete de Felipe II", en MEAH, y Cabanelas: morisco granadino Alonso del Castillo.

(٢) ص ١٦٩ - ١٧٤

(٣) ص ١٧١ - ١٧٢

حرب البشترات

تشكل ثورة مسلمى مملكة غرناطة وما ترتب عليها من حرب البشترات (٦٨ - ١٥٧١) فصلاً من أهم فترات حكم فيليبي الثانى وأكثرها دموية.

نعرف تفاصيل حرب غرناطة بفضل روايات مؤلفين معاصرين للأحداث مثل: أورتانو دى مندوثا ومارمول كاريخال. ونستطيع من خلال قراءة ما كتبوه رسم لوحة لحرب همجية بلا هوادة.

إن عدم انضباط وجبن القوات المسيحية ، التى كانت تفرّ إزاء أى تحرك للمسلمين بهدف حماية ما نهبوه ، كان عاملاً آخر يضاف إلى الصراعات على السلطة بين سادة إقليم أندلوثيا. كان النهب والقتل يشكلان نمط الحياة اليومية آنذاك.

انزعجت السلطة المركزية من جراء تأثير حرب غرناطة على مسالة هولندا ، ورغم عدم استطاعتها السيطرة على الثورة إلا أنها رفضت أى تنازل. حيكت المؤامرات حول ماركيز مونديخار الذى كان ينادى باتخاذ موقف مرن وتقديم تنازلات ^(١) وحيكت مؤامرات حول خوان دى اوستريا الذى لم تكن تعجبه هذه الحرب منذ البداية ، هذه الحرب الدموية ذات العمليات والمفاوضات المهينة مع الموريسكيين الخونة.

أما من ناحية الموريسكيين - والذين شاعت بينهم أيضاً المنافسات والعداوات - فقد ثارت ثورتهم ضد القساوسة وضد المسلمين الذين تنصروا. إن الحديث عن القتل والنهب والقضاء على قرى كاملة وحملات الانتقام والعقاب الوحشى المتبادل بين الفريقين ، هذا الحديث يملأ صفحات أخبار ذلك الزمان. تبقى بطولات بعض النبلاء المتطوعين وهم " أناس متميزين" كما يسميهم أورتانو الذى كانت بطولاته جديرة بأن تُنسب إلى الأزمنة القديمة.

انتهت حرب غرناطة بترحيل الموريسكيين الغرناطيين إلى قشتالة ، وقد تم الترحيل بشكل عشوائي متعجل خلال شتاء عام ٧٠ - ١٥٧١ ، عندما لم يكن المسيحيون يسيطرون بالكامل على الوضع. كان ذلك - على حد قول بنثنت (٢) - فصلاً من أفضل الفصول التي سجلها التاريخ.

يبدأ مارمول - وهو أهم مؤرخ لحرب البشترات - حكايته على النحو التالي:

فصل يتعلق بالثورة العامة لمسلمي البشترات (٣)

إن التفكير في الأحوال التي ارتكبها الموريسكيون وقطاع الطرق في البشترات وفي مختلف بقاع مملكة غرناطة شيء يدعو إلى الحزن حقيقة. كان أول ما فعلوه هو اتخاذ أسماء وألقاب خاصة بطائفة محمد وإعلانهم أنهم مسلمون خارجون عن العقيدة الكاثوليكية المقدسة التي كانوا يؤمنون بها هم وأباؤهم وأجدادهم. كان من المستغرب أن ترى كيف كانوا - كباراً وصغاراً - على دراية بتعاليم طائفة محمد اللعينة: كانوا يؤدون الصلاة لحمد، وإليه يوجهون دعاءهم ، وكانت النساء المتزوجات يكشفن صدورهن وكانت العذارى يكشفن رؤوسهن ويسدلن شعورهن على أكتافهن. كن يرقصن علناً في الشوارع ويعانقن الرجال (*) . كان الشباب يسيرون أمامهم يجلبون لهن الهواء بالمناديل ويقولون بصوت عال إن وقت البراءة قد حان وإنهم سيذهبون إلى الجنة لأن دينهم متحرر ، وكانوا يسمونه دين اللطف؛ لأنه يسمح بكل أنواع السرور والمتع. في الوقت نفسه كانوا لا يحترمون الله ولا الناس ؛ لأنهم أعداء كل دين وأعداء الخير، تملؤهم القسوة والغضب الشيطاني. لقد سرقوا وحرقوا الكنائس وحطموها. حطموا التماثيل المقدسة وحطموا منصات القساوسة وامتدت أيديهم بالسوء إلى القساوسة الذين كانوا يعلمونهم أمور العقيدة. اقتادوهم إلى الشوارع والميادين وهم عرايا وحفاة ، وكان ذلك إهانة علنية لهم. ضربوا البعض وحرقوا البعض الآخر حياً ،

(*) لاحظ الافتراء على مسلمات الأندلس . إن السلطات الإسبانية كانت تحثن على كشف وجوههن ، ولكن يرفضن ذلك ، أما الآن فالمؤرخ يتهمهن بكشف صدورهن ومعانقة الرجال في الشوارع ! (المترجم) .

وتسببوا فى أن يعانى الكثيرون أصناف العذاب. وقد استخدموا نفس القسوة مع المسيحيين من غير رجال الدين ممن كانوا يسكنون فى تلك الأماكن ، ولم يراعوا حق الجار على الجار ولا حق الصديق على الصديق، ورغم أن بعضهم حاول احترام حقوق الجوار وحقوق الصداقة (إلا أن ذلك لم يفد) لأن غضب الأشرار كان شديداً فكانوا يقتلون كل من يلقونه، وكانوا يقتلون من كان يريد أن يمنعهم من القتل. سرقوا بيوتهم وحاصروا من لجئوا إلى الأبراج والأماكن الحصينة بالنار وحرقوا كثيراً منهم ، وحتى من استسلموا لهم فقد قتلوهم. فقد كانوا يريدون ألا يبقى مسيحى واحد على ظهر الأرض حياً ممن تزيد أعمارهم على عشر سنوات. بدأت هذه الأعمال فى لانخارون وامتدت إلى أورخيبا عصر يوم الخميس..... ومنها امتدت روح التمرد والشر بسرعة حتى أنها فجأة غطت كل أنحاء تلك البقعة كما سنتحدث بالتفصيل.

الهوامش

Morel- Fatio"Memoria presentada al rey Felipe II por Inigo López de Mendoza, (١)
Marques de Mondejar..... para justificar su conducta durante la campana que dirigió contra los
moriscos en 1569 " en L'Espagne au XVI sieclers.

L'expulsion des morisques de Grenade et leur repartition en Castilla,p. 223. (٢)

Marmol: Historia del rebelion y castigo...,libro IV,cap. VIII. (٣)

موريسكيو قشتالة

لم يكن موريسكيو قشتالة يشكلون جماعة مستقرة مثل موريسكي مملكة أراغون التي كانت تضم المدجنين * القدماء الذين ظلوا في أراضيهم منذ أن غزاها المسيحيون وبعد أن تحولوا إلى المسيحية بموجب قرار صدر في عام ١٥٢٦ . كانت حملة قشتالة تهدف إلى طرد المسلمين صوب الجنوب بحيث أن عدد المسلمين الذين بقوا في أراضيهم كان ضئيلاً جداً ^(١) وقد أُجبر هؤلاء المسلمون على التنصر عام ١٥٠٢ ، وكانوا يشكلون جماعة صغيرة ومسالمة تعمل في الحرف اليدوية وتآلف التعايش مع المسيحيين القدامى في قشتالة ؛ ولهذا فلم تكن لهم مشاكل كبيرة.

طُرحت المشكلة في قشتالة اعتباراً من عام ١٥٧٠ حين أمر فيليبي الثاني - في أعقاب حرب البشرات - بطرد موريسكيو غرناطة إلى قشتالة.

شكل الغرناطيون في قشتالة جماعة غير أصيلة (رغم محاولات الدولة لكي يستقروا) وكانوا أكثر تمسكاً بالإسلام من موريسكيو قشتالة ، وكانوا يثيرون كل أنواع المشاكل. كانوا متهمين بالتهب وقطع الطريق فأتاروا عدم الطمأنينة في جميع أنحاء المملكة ، وقد تسببوا في انخفاض الأجور إذ كانوا يقبلون أجوراً لا يقبلها مسيحي قديم ، واتهموا برفع الأسعار عن طريق احتكار السلع، فقد كان الكثيرون منهم يعملون بالتجارة وخاصة نقل البضائع . لم يكن لهم مكان في مجتمع قشتالة ، فقد كانوا جسداً غريباً ومثيراً للمشاكل. جاء قرار ترحيلهم إلى قشتالة عام ١٥٧٠ تمهيداً لطردهم بين عامي ١٦٠٩ - ١٦١٤ .

فيما يلي نقدم وثيقة تشيد بموريسكيو قشتالة، وقد كانوا مجموعة عُرف عنها الجِد والاجتهاد والقناعة وحب الادخار والتضامن ، كما نقدم مقتطفات من الشكاوى

(*) المدجن : هو المسلم الذي بقي في أراضي استولى المسيحيون عليها ، وظلوا يحتفظون بهذا اللقب إلى عام ١٤٩٢ فانطلق عليهم وعلى مسلمي غرناطة لقب "موريسكيين" (الترجم) .

التي كانت تظهر دائماً فى محاضر اجتماعات نواب قشتالة بخصوص المشاكل التي كان يسببها موريسكيو غرناطة .

موريسكيو اكسترديمادورا

كانوا يعملون فى زراعة البساتين ويعيشون مبتعدين عن التعامل مع المسيحيين القدامى ، وكانوا لا يريدون أن يرى أحد طريقة معيشتهم. كان بعضهم يعمل بالتجارة. كانت لهم محلات أطعمة فى أفضل المواقع بالمدن والقرى ، وكانوا يقتاتون من عمل أيديهم. وكان بعضهم يعمل فى صناعة الآلات والأواني و النعال والصابون ، وكان بعضهم يعمل كحمال. كانوا يتميزون بأنهم يدفعون الضرائب عن طيب خاطر، وبأنهم مقتصدون فى المأكل والمشرب. كانوا فى الظاهر يبدون أنهم يذهبون إلى أى مكان بحب ورغبة ، وكانوا يهتمون بزيادة أرباحهم. كانوا يتفادون أن يتسول نووهم. كل منهم كانت له حرفته. إذا ارتكب أحدهم خطأ ما كانوا يشهدون لصالحه ، حتى لو كان الخطأ واضحاً. كانوا لا يتشاجرون فيما بينهم ، بل كانوا يعالجون الاختلافات. كانت سميتهم الصمت والصبر والانتقام إذا تمكنوا. كانت مهنتهم العامة هى صناعة الملابس والتنقل بين بلد وآخر. لا يعرف عنهم أنهم أرادوا مصاهرة المسيحيين القدامى، ولم يُعرف عنهم كذلك أنهم طلبوا موافقة البابا على زيجات بين درجات القرابة الممنوعة بحكم القانون^(٢) .

الغرناطيون فى قشتالة

من خلال القضايا المرفوعة ضد الموريسكيين والتي فحصها الدكتور ليببانا بتكليف من المجلس يتضح ما يلى:

- أنه بين عامى ٧٧ - ١٥٨١ مات أكثر من مائتى شخص نتيجة جروح خطيرة، بالقرب من الأماكن التي يسكنون فيها مثل طليطلة وغوادا لاخارا وبيايدوليد وسيغويبا، وقد نسبت هذه الجرائم والسرقات إلى الموريسكيين الذين قدموا من مملكة غرناطة .

- من الثابت أن هناك ست أو سبع جماعات موريسكية قامت بأعمال القتل والسرقة ونشرت الفرع فى كل البقاع.

- إن كل من قاموا بأعمال السرقة هم من الذين تمردوا فى غرناطة، وهم الذين يقتلون الناس فى الطرقات العامة ، لاعتقادهم أن فى إمكانهم الاختفاء فى أى منزل تابع لبنى قومهم.

- إن الموريسكيين يقتلون بشكل عام الحمالين أو الذين يسرون بمفردهم أو من لا يحملون السلاح ، وبشكل عام فإن كل الموريسكيين الذين يشربون الخمر هم من قطاع الطرق.

- وصل الموريسكيون إلى قشتالة عام ١٥٧٠ ولم يبدعوا فى القيام بأعمال النهب حتى عام ١٥٧٧ ؛ لأنهم لم يكونوا على دراية بطرق الاختباء وتجنب العقوبة.

- لما كانوا لا يراعون القانون فقد تجرؤوا وعاد الكثيرون منهم إلى غرناطة ، وكان المراجعون ورجال السلطة أنفسهم يخشونهم.

- إن عدد الموريسكيين كبير ويتضاعف بسرعة؛ لأن الحرب والدين لا يهلكانهم، ولأنهم دماء بحيث أنهم أتوا إلى قشتالة ولم يكن لديهم ولا شبر أرض، وكان ذلك فى سنوات الجفاف، لكنهم الآن جميعاً أثرياء بحيث أنهم من الآن وبعد عشرين عاماً سيكون المسيحيون القدامى خدماً لهم.

- لا يجب أن يثق أحد فى تحولهم حقيقة إلى المسيحية. لم يحدث أبداً أن أثبتوا ذلك رغم محاولاتهم. وعليه فإنه يجب البدء فى العلاج. ولا يجب أن نثق فى موريسكىي ألبلا واريبالو وأماكن أخرى فهم ليسوا أكثر مسيحية من غيرهم.

- بناء على عدم اهتمامهم بالإصلاح وعلى إصرارهم على اتباع شريعتهم الإسلامية يُخشى أنهم سيقوضون دعائم المسيحية^(٣) .

من مجلس نواب مدريد المنعقد عام ١٥٩٢ إلى فيليبي الثانى

فى الاجتماع السابق طلبنا من صاحب الجلالة أن يتفضل بإصدار الأوامر لمعالجة المشكلة التى قد يؤدى إليها مستقبلاً وجود عدد كبير من موريسكىي مملكة

غرناطة كالعهد الموجود حالياً. لم تُتخذ إجراءات ونرى الضرر يزداد باطراد. إننا كلما أجلنا اتخاذ الإجراءات سيزداد عددهم وسيتحكمون فى كل أنواع التجارة والعقود، خاصة التخزين فهو العمل الأساسى الذى يستحوذون به على المال. إنهم يجمعون المحاصيل ويخفونها ويحتاج المرء إلى الشراء منهم... ولكى يستغلوا ذلك أحسن استغلال أصبح منهم صناع الخبز و الجزارون و أصحاب المحلات والسقاعون ؛ وهم بذلك يجمعون النقود ويخفونها. ليس فيهم من يشتري ولا من يملك عقارات ثابتة ، ولهذا فهم أثرياء وأصحاب سطوة ، وقد وصل نفوذهم إلى المحاكم الكنسية والمدنية. فالمحاكم تتحيز لهم بشدة؛ ولهذا فهم يعيشون متحررين ، وهذا ما يفسر عدم تدينهم المسيحى . وكل يوم يعبرون إلى بلاد البربر ، وحتى اليوم لم نر أنهم قد طلبوا إذنًا للزواج فيما بينهم ، وهم يقيمون حفلاتهم الخاصة بالزواج وحفلات السمر، ويحملون السلاح علناً، وقد ارتكبوا ويرتكبون أبشع الجرائم منذ عشر سنوات وحتى الآن. وبناء على الخدمات التى قدموها إلى جلالتم فقد ووفق لهم على التواجد بالعدد الحالى.... ولمعالجة هذا الوضع يبدو أنه من المناسب أن تتفضلوا جلالتم باتخاذ الإجراءات التالية.....

إحدى الوسائل التى اقترحوها بإلحاح كانت إجبار الموريسكيين على الاشتغال بأعمال الزراعة فقط.

فى محضر اجتماع نواب غوادالاخارا بتاريخ ٢٩ يولييه ١٥٩٨ ، وتحت عنوان " رأينا حول الزراعة" جاء ما يلى:

لكى تزدهر الزراعة نرى من المناسب أنه:

نظراً لوجود عدد كبير من الموريسكيين القادمين من مملكة غرناطة الذين لم يخرجوا من المملكة ولم يدخلوا فى الدين المسيحى ، ونظراً لأنه قد تزايد عددهم ويستمر فى الزيادة (و الأسوأ من ذلك أنهم اشتغلوا بأعمال السمسرة وبمختلف أعمال التجارة والمؤن فى المدن والقرى ، لأنهم يحققون من هذا النشاط أرباحاً هائلة مقابل جهد قليل)، فقد تركوا مجال الزراعة وأثروا وأصبح لهم سلطان . هذا بالإضافة إلى المشاكل الأخرى التى يمكن أن يؤدى إليها هؤلاء الناس إذا امتلكوا ثروات كبيرة

وأصبح لهم سلطان فى القرى . ونظرا لأنهم تركوا زراعة الأراضى التى تعاقبوا على
زراعتها فى غرناطة وكانت من أفضل الأراضى وأجودها ثماراً فى كل أنحاء
إسبانيا....

ولما كان الموريسكيون كما هم من حيث الجشع والتطلع إلى السلطة فسيكون من
المفيد أن يقوموا بأعمال الزراعة ورعى الماشية.... إذا فضلوا ذلك فلن تكون لهم تجارة
كبيرة، وإن يكونوا على صلة فيما بينهم كما يحدث الآن ، حيث أنهم - بسبب التنقل -
يتصلون فيما بينهم، ويتزاوون مع بنى قومهم . من المناسب إذن أن تصدر الأوامر
بألا يعمل أهل غرناطة وأبناؤهم فى التجارة، وألا يكون بإمكانهم إلا العمل فى زراعة
الأراضى....

الهوامش

Fernández y González: *Estado social y político de los mudejares de Castilla*, Madrid, (١)
1866

انظر أيضا الفصل الخاص بموريسكي قشتالة في

H. Lapeyre: *Geographie de l'Espagne morisque*.

Fray Alonso Fernandez: *Historia de Plasencia*, libro III, cap.25 ; apud Janer : *Condi-* (٢)
ción social, p. 162. Véase también Fernández Nieva "Un censo de moriscos extremeños de la
Inquisición de Llerena", en *Revista de Estudios Extremeños*.

Janer : *Condición social*, p. 272 (٢)

هذه معركة بدر وحنين

كنموذج للأدب الموريسكى المكتوب بالأخميانيو^(١) نقدم هذه القصة التى يدرجها غالميس دى فوينتيس فى " كتاب المعارك".^(٢) وكتاب غالميس عبارة عن مجموعة قصص فروسية تحكى بطولات حدثت فى صدر الإسلام . فى هذه القصص يبلى المسلمون كأبطال أسطوريين يحققون النصر دائما . ولا شك فى أن الموريسكيين - الذين كانوا يشعرون يوما بأنهم جزء من العالم الإسلامى- كانوا ينتشون بتذكر هذه الانتصارات ويعتززون بها فى زمن تعرضوا هم فيه للمحن.

ورغم أن هذه القصص ترتدى ثوب الفروسية وتتضمن أحداثا عجيبة ،إلا أن بعض الأحداث التى تروىها حقيقية. هذه هى حالة " معركة حنين" التى وقعت فى العام الثامن للهجرة (عام ٦٣٠ م) ودارت أحداثها على النحو التالى: بعد فتح مكة شعرت قبيلتا هوازن وثقيف بالخطر الذى يشكله التوسع الإسلامى على علاقاتهما التجارية مع الطائف.

واستطاع مالك بن عوف زعيم هوازن أن يعد جيشا قوامه عشرون ألف رجل (وهو رقم هائل بالنسبة لزعيم قبلى) وتوجه للقاء المسلمين، واصطحب معه النساء والأطفال والماشية وكل ما يملك. كان محمد على علم بالاستعدادات التى يجريها مالك ، فجهز جيشا من عشرة آلاف، وخرج من مكة للقاء العدو. وعندما كان يتأهب لنصب الخيام فى حنين فوجئ بجيش الأعداء. عم الفرز فى أوساط المسلمين فلم يتمكنوا من الرد على الهجوم وشرعوا فى الهرب. نادى محمد - وهو محاط بنفر من أصحابه - الرجال فاستجابوا للنداء وعانوا إلى المعركة وحققوا نصرا حاسما بالإضافة إلى الغنائم الكثيرة التى كان الأعداء يحملونها.^(٢) القصة - كما سنرى - تتضمن كثيرا من عناصر الخيال ، لكنها تقترب كثيرا من الواقع التاريخى .

هذه قصة معركة بدر وحنين (*)

روى عن عبد الله بن عمر أنه قال: عندما غزا النبي ﷺ مكة حطم الأصنام وقتل نفرا كثيرا من أهلها ، وأسر بعضهم وفر البعض الآخر ومنهم خلف بن أمية وعكرمة بن أبي جهل ، وظل هؤلاء يقاومون النبي شهرا ، ثم بعد ذلك صاروا مسلمين طيبين وحسن إسلامهم.

ووصلت الأخبار إلى مالك بن عوف الأنصاري ، وكان ذا نفر كثير في قومه مطاعاً بينهم، فأمر بأن ينادى في جميع البلاد وبين كل قبائل العرب كي يأتوا لمساعدتهم ضد محمد بن عبد الله، فأجابوه جميعاً بأن ذلك يسرهم وأنهم سيذهبون مشاة وفرساناً .

وهكذا كانت أول قبيلة هم بنو النضير، فجاءوا وفي مقدمتهم قائد يدعى سابق بن مروان. ثم جاءت مزيان في أربعة آلاف فارس، وكان في مقدمتهم قائد يسمى مازن بن مازن. ثم جاء بنو عامر وعلى رأسهم فارس اسمه عطاء بن طارق. وكان مع كل قائد أربعة آلاف فارس، ومثلهم مشاة. ثم جاء بنو مواح في أربعة آلاف فارس يتقدمهم قائد يدعى الحارث بن مواح، وهكذا اجتمع بين فارس وراجل ستة وعشرون ألفاً.

فلما ساروا ووصلوا قرب قصر مالك بن عوف رأهم مالك وخرج للقائهم وقال لهم:

- أيها الناس، يا فرسان العرب، تعرفون كيف غزا محمد بن عبد الله مكة وظهر علمه، قرّيش بالسيف والرمح، وأخشى أن يجتاح محمد أراضيتكم، ويقتل رجالكم ويشدّ مانكم. ويذهب حصونكم، ويأسر نساءكم وأولادكم.

فأجابوه جميعاً وقالوا له :

- إذن نود أن نذهب إلى محمد بخيلنا ورجلنا حتى يعود هبل إلى مكة.

عندئذ قال مالك :

- أيها الناس، مادامت هذه مشيئتكم فأعدوا سلاحكم وخيلكم فإنني أريد أن أطلب مزيداً من العون من عروة بن مصعوق.

(*) وجدنا النص مترجماً في كتاب «ملحمة المغازي الموريسكية» لاستاذنا الدكتور صلاح فضل ، وقد لاحظنا - كمهدنا بأستاذنا - دقة الترجمة ووصانة الأسلوب ، فاثرتنا أن نقدمه كما هو ولم نُدخل عليه سوى تغييرات طفيفة (المترجم) .

فقال له الناس :

- حسناً تفعل

فأمر بحبر وورق، وكتب رسالة إلى ثقيف يقول فيها :

" لقد كنت دائماً حليفاً لكم، والآن جهزت الجيوش وجمعتها كي نقضى على هذا الساحر الكذاب محمد بن عبد الله ، فتعالوا لمساعدتى يا بنى عروة"

فلما وصلت الرسالة إلى عروة، وأدرك أن الجيوش والأجناد قد حُشدت أمر بجمع قواته فجاءه أربعة آلاف فارس وقالوا له :

- أيها السيد، ماذا حدث لك ؟

قال لهم:

- يا أصحابى ، وصلتنى رسالة من مالك بن عوف الأنصارى يطلب منى ومنكم العون ضد محمد بن عبد الله، وأنا أقول إن محمداً معان وغالب، وهو لا يضر ولا يضار، لكنه يحارب من يقاتله ويحطمه ويأخذ أرضه، فمشورتى أن تظلوا ساكنين. فأجابه قومه وقالوا له :

- وكيف يصير الأمر؟ إن كل قبائل العرب ستمضى فى عونه، ولو لم نذهب نحن لقاتل العرب إننا تخلفنا خوفاً من محمد.

قال لهم عروة :

- يا قوم، مادامت هذه رغبتكم فعليكم أولاً بتقوية حصونكم كي تضعوا فيها أمتعتكم ونساعكم وأبناعكم.

قال الراوى إنهم تركوا من يعمل على تقوية حصونهم، وكان لهؤلاء القوم قلاع وحصون شديدة.

وعندئذ أمر عروة بإعداد السلاح والخيول ، وساروا إلى حيث كان مالك. فلما رأى مالك عروة وقومه فرح فرحاً عظيماً وأمر بأن تنحر لهم الذبائح العديدة، وتوفر لهم اللحوم والأطعمة من كل نوع والمشروبات الكثيرة، فاكلوا وشربوا حتى ثملوا.

وقال مالك :

- كيف نرضى أن يقضى علينا محمد بهؤلاء الناس .

وجاء إبليس يرتدى دثار نعام ويتلفح بغطاين للرأس أحدهما أصفر والآخر
أشهب، ويمتطى فرساً يصعد أكثر من غيره، ويتكلم وهو يبكي قائلاً :

- يا قوم، دعوا المتع والترف واحملوا جميعاً أسلحتكم حتى لا تفقدوا شرفكم .

فلما سمع الناس قول إبليس لعنه الله قالوا له :

- ومن أين أتيت يا شيخ ؟

قال لهم :

- جئت من مكة .

قالوا له :

- وماذا فعل بها محمد ؟

قال :

- دخلها بقوة السلاح ، واللوات والعزى لقد حطم جميع الأصنام .

وقالوا له :

- يا شيخ ، وماذا فعل مع هبل ؟

قال :

- حطم جوانبه وأجزأه كلها، وقذف به مكسوراً على الأرض، وداسه برجليه
فركلة وقذفه إلى أرض الصفا حتى يفتنه الكبار والصغار.

فقالوا له :

- وماذا فعل بأساف وثائلة ؟

(وكان هذان رجلاً وامراًة ارتكبا الزنا فى البيت العتيق فأحالهما الله حجراً
صلداً، وكانت قريش تعبدهما من دون الله) .

قال :

- حطمها كلها تحت أقدامه .

قال الراوى: فصاح مالك فى جنوده، وأمر بإعداد السلاح والخيل، فلم يعد يسمع إلا الصياح وصهيل الخيل وبريق السلاح والرماح والسيوف والمغافر، فعجب مالك من شدة ضجيج القوم.

وكانوا يقولون :

- هيا إلى متاع محمد، سنقسمه فيما بيننا .

وسار رجال هوازن مع ثقيف، تعقبهم النساء والأطفال والإبل والشاء وكل ما يملكون.

وكلما سهلت خيول هوازن وثقيف ارتفع ضجيج الكتائب وانتشر الغبار الكثيف كأنه السحاب ، ولم يتوقفوا عن السير حتى وصلوا إلى نهر طون وأقام الناس هناك. وكان يقيم هناك فى هذا الوادى دريد بن ثابت، وهو من الكفار.

فدخلت امرأة من الجيش بيت دريد وهى تحمل فى ذراعيها طفلاً يبكى، وكانت هى أيضاً تبكى.

فقال لها دريد :

- يا امرأة إلى أين تذهبين؟

قالت المرأة :

- ألا ترى هذا الجيش؟

فنهض دريد، وذهب إلى الجيش وقال :

- يا قوم، مالى أرى لكم ضجيجاً شديداً ورغاً وصهيلاً؟

قالوا له :

- يا دريد ، مالك ساكتاً هكذا؟ هذه هى الجيوش التى نزلت هنا كى تحارب محمداً بن عبد الله.

قال دريد :

- ويل لى ، أعطونى سلاحى وفرسى.

فأحضروا له فرسه، وكان ضعيف البصر، فركب وذهب إلى جماعة مالك بن عوف.
فلما رآه مالك نزع سيفه سروراً وفرحاً، وقال له دريد:

- يا مالك، أى جيش هذا؟

قال له مالك :

- الجيش الذى جمعته لأحارب محمداً بن عبد الله.

فقال دريد :

- مالى أراك قد أحضرت النساء والأطفال والأموال فى جيشك، أليس من
الأفضل إحضار المحاربين بالسيف والقوس والرمح؟ إن هذا أحب إلىّ يا مالك، فلو
دارت علينا الدائرة كانت الأموال لمحمد وأصحابه.

قال مالك :

- واللات والعزى عندما تلقى بفرساننا ومشاتنا وبيروا نساءنا فسيصيبهم الحزن
وسيروا الموتى فى الأرض وستكون الهزيمة لمحمد.

قال دريد :

- واللات والعزى للسوائم التى ترعى فى الجبال أعقل منك، وللإبل التى تُساق مع
الماشية أحكم منك. أفتأتى لتحارب محمداً بها وبالنساء والأطفال؟

وكانت جيوش مالك معسكرة على نهر طون، ولم يكن النبى محمد ﷺ يعرف ذلك .

حينئذ جاء أعرابى إلى النبى محمد ﷺ على فرس، ووصل إلى مكة، ونزل من
على حصانه وربطه، وذهب للنبى ﷺ وقال له :

- السلام عليكم يا رسول الله.

قال النبي محمد ﷺ :

- السلام على من أتبع الهدى وخاف عاقبة الشر والضلال.

قال الأعرابي :

- يا محمد، جئتُ لأحذرك وأنصحك، فتقبل مني.

قال رسول الله :

- ما هي نصيحتك يا أعرابي؟

قال الأعرابي :

- يا محمد، لقد رأيت هنا أصحاب مالك من هوازن وثقيف، اجتمعوا على نهر طون بثلاثين ألف فارس وراجل، وأقسموا على أن يحطموك في مكة ويعيدوا صنم هبل إلى مكانه.

قال رسول الله :

- ومتى يكون هذا يا أعرابي، فإن لدى ربّنا هو علام الغيوب والمطلع على الأسرار جميعاً.

قال الأعرابي :

- يا محمد، انظر إلى هنا بين يديك، فلو كنت أكذب لتقطعن رأسي، ولو كنت أقول الحق فحسبي ذلك من شرف هذه الدنيا.

قال (الراوي): وبينما كان النبي يتحاور معه نزل جبريل عليه السلام وقال له:

- يا محمد، إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك إن الأعرابي يخبرك بالصدق، والله يأمرك أن تخرج إليهم.

عندئذٍ بادر النبي عليه السلام، وبرفقته مجموعة من صحابته ، ورفع راية من مدينة مكة وصاح قائلاً :

- أين أنس بن مالك ؟ أين سلمان الفارسي ؟ أين صُهيب ؟ أين بلال بن حمامة ؟

فأجابوه جميعاً :

- لبيك يا رسول الله .

فقال لهم النبي عليه السلام:

- اخرجوا يرحمكم الله إلى أحياء مكة وقولوا: أين المهاجرون والأنصار ؟ أجيئوا نبيكم عليه السلام (للأمر) الذى جاءه من قبل الله تعالى .

فنادى المؤذنون وجاء الناس من كل صوب واجتمعوا كلهم، وصعد النبي على مضبة من الأرض، وألقى خطبة جامعة، فحمد الله حمداً كثيراً ثم قال :

- أيها الناس، رحمكم الله، هؤلاء هم هوازن وثقيف، أخبرنى الله ربى أنهم قد جمعوا ثلاثين ألف فارس وراجل فى وادى طون، والله يأمرنى بالخروج إليهم فقد أقسموا على هدم مكة. فماذا تقولون رحمكم الله؟

قال المسلمون :

- مشورتنا هى مشورتك، ورغبتنا هى طاعة الله وطاعتك يا رسول الله.

فطلب لهم المثوبة على ذلك ووعدهم بالفوز والخير العقيم.

ثم أمر النبي عليه السلام أن يجتمعوا للرحيل ثم نادى على بن أبى طالب وقال:

- يا قوم، من كان منكم مريضاً أو جريحاً فلا يخرج إلى هذه المعركة التى سيكون شأنها عظيماً.

فأجابه رجل يدعى ابن سفيان وقال له :

- يا على، كيف تريد أن تهزأ بالرجال وتوهن عزيمتنا وتحط من قدرنا؟

فاغتاز على من جواب ابن سفيان، وسل على سيفه وسل أبو سفيان سيفه ، وحمل كل منهما على الآخر، فدخل النبي عليه السلام بينهما، ووضع يده اليمنى على سيف على واليسرى على سيف أبى سفيان، وجعلهما يتعانقان فأطاعا أمره.

وعندئذ خرج النبي (عليه السلام) من مكة وسار في اثني عشر ألف من جنوده، وأمر النبي بأن يحضروا راية، وأعطاهم للحباس بن مرادس، فأخذها في يده وألقى أبياتاً من الشعر، ثم أمر براية أخرى وأعطاهم لعمه العباس بن عبد المطلب، فأخذها وسار بها حتى جلس في مكانه، ثم أخذ راية أخرى وأعطاهم لأبي عبيدة بن الجراح، وأخذ راية أخرى وسلمها لسماك بن... (؟) ، وأمر براية أخرى وأعطاهم للزبير بن العوام، ثم أمر براية أخرى وأعطاهم لعبد الرحمن بن عوف، وأمر براية أخرى وأعطاهم لأبي بكر الصديق. ثم أمر برايتين وأعطاهما لعلي بن أبي طالب فسار بهما. وسار معه بنو هاشم.

وأخذ النصر بن ثابت زمام ناقة النبي عليه السلام، وطلب النبي من عمه العباس أن يسير ويهتدي بطريق الجلدان (؟) وعلى هذا النهر كانت هناك شجرة عظيمة، وكانت قريش تعظم هذه الشجرة وتنحرف لها الذبائح الكثيرة من مواشيها، فلما مروا بها ورأوها سجد لها بعض أهل قريش، عندئذ قال النبي محمد:

- سبحان الله، عندما كنتم كفارا كنتم تذهبون إلى الحرب تسوقون اللات والعزى والآن تذهبون إلى الحرب مع الله ورسوله، ولكم المغفرة والثواب العظيم.

حينئذ قالوا :

- يا رسول الله ، ادع الله لنا أن يغفر ذنوبنا، فأنت تعلم قرب عهدنا بالإيمان والإسلام.

وسار النبي محمد ﷺ مع قواته، ورأى أن الفرسان يتدافعون إلى المؤخرة ويتلاقون جماعات، فنادى فيهم النبي ﷺ وقال :

- ما هذا الذي تتدافعون عنه يرحمكم الله؟

قالوا له:

- يا رسول الله.. ثعبان ضخم يغطي كل الوادي.

قال النبي محمد ﷺ :

- أفسحوا لي مكاناً حتى أراه كله.

فلما رآه النبي ﷺ جلس على ذنبه، فنادى قائلاً :

- السلام عليكم يا رسول الله.

فرد النبي (عليه السلام) وقال :

- السلام على من اتبع الهدى وخشى عاقبة الشر والضلال. قل لى يا ثعبان،
أوأنت من الجن أو من الحيوان؟

قال :

- أنا من الجن يا رسول الله، وأنا من المؤمنين بك حتى يوم الحشر يا رسول الله،
جئت لأساعدك فى صحبة اثنى عشر ألف جنى.

قال النبي عليه السلام :

- عد وأنصت لمن يقرأ القرآن الذى يهدى إلى طريق الحق.

ثم قال النبي محمد، ﷺ :

- وأين هذه الجماعة من أصحابك؟

(قال الراوى) فأشار إلى جوف الوادى أمامه.

فالتفت النبي (عليه السلام) إلى أصحابه وقال لهم:

- أوترون شيئاً يرحمكم الله؟

قالوا :

- نعم ، لقد رأينا يا رسول الله شيئاً مثل الدخان الأخضر.

قال النبي ﷺ :

- ابتعدوا عن طريق المسلمين أيها الجن.

فانحرفوا عن الطريق، واستأنفوا السير.

ورأوا الكفار وقد انتقلوا إلى نهر طون (?) وأقاموا فى بدر وحنين. عندئذ نادى
مالك على فرقة من أصحابه، وأمرهم بأن يكروا على صحابة محمد، فقدموا عليهم

وبدوا كأنهم قطع ضخم من السوائم. فلما رأوا جيش النبي ﷺ عادوا إلى كتابتهم وقالوا لهم :

- ويلكم ، اللات والعزى لقد جاعكم محمد فى جيش هائل من المشاة والفرسان.

فلما سمعوا ذلك وقع بينهم الصياح ، وكان رجل منهم قد دخل فى جيش محمد، ورأى أن محمداً ... (بياض فى الأصل) .

وأمر النبي ﷺ قومه بأن يتقدموا. فلما رأى مالك ذلك قال لقومه:

- أى شىء جعلكم تخافون وتفزعون؟

قالوا له :

- يا مالك، خوفاً من أصحاب محمد، واللات والعزى لو وصلوا إلينا ما بقى منا صغير ولا كبير.

عندئذ نادى مالك على عبد أسود كان عنده، وكان عظيم العلم شديد الفهم والفتنة، وقال له :

- يا غلام ، تعال معى نصعد إلى قمة هذه الهضبة.

فصعدا ، وقال له مالك :

- يا غلام، انظر إلى هذا الجيش ، وانظر ما ترى فيه.

فنظر وقال :

- أرى رجلاً عريض الجبهة، وفى يده راية صفراء.

قال مالك :

- أو تعرفه؟

قال :

- لا.

قال :

- هذا هو العباس بن مرادس السلمى.

قال الغلام :

- أرى رجلاً معه راية سوداء وثيابه سوداء.

قال مالك :

- هذا هو العباس بن عبد المطلب.

فأضاف قوله :

- أرى رجلاً معه راية صفراء، وثيابه حمراء ضاربة إلى الشقرة من بينهم جميعاً.

قال مالك :

- هذا هو الأقرع بن حابس.

وأضاف قوله :

- أرى فارساً يلبس ثياباً بيضاء ومعه راية بيضاء.

قال :

- هذا هو عبد الله بن راحلة

و أضاف قوله :

- أرى فارساً ومعه راية بيضاء وزرقاء وملابس زرقاء وعمامة زرقاء.

قال مالك :

- هذا هو مقداد بن الأسود الكندى.

وأضاف قوله :

- أرى فارساً طويلاً ، عظيم الهيئة، عريض المنكبين، ضخم العظام ومعه رايتان.

قال مالك :

- هذا الفارس هو على بن أبى طالب.

أردف قائلاً :

- أرى فى قلب الجيش فارساً ليس بالطويل ولا بالقصير، أبيض، شعره يلمع مثل ضوء الشمس وتتنظر إليه الكتائب كلها.

قال مالك :

- هذا هو محمد بن عبد الله الهادم الأكبر وغالب أبطالنا ، نبي هؤلاء القوم .

قال :

- هيا بنا إلى جيشنا فقد عرفنا أمرهم.

وعادوا إلى دريد وإلى أصحابهما، وقال لهم مالك :

- يا قوم، لا تخافوا منهم، فهذا هو محمد بن عبد الله جاء فى اثنى عشر ألف من الفرسان ونحن ثلاثون ألفاً، ولن تغلبوا - وأنتم الكثرة - من القلة.

قال ناظم هذه الروايات، وتأهبت الجيوش وجهاً لوجه واصطفت الفرق، وتجهزوا بأسلحتهم، وصوبوا نواظرهم، وشدوا لجم خيلهم ، وشرعوا رماحهم، واستعدوا للنزال، فتقدم الشرفاء، وتراجع الدهماء، وأظهر الأبطال والفرسان زهوهم، واشتعلت حرارة الشمس وحمى الضجيج بين الكتائب، فانبهر الفرسان والمشاة للطنين، وثار النقع الكثيف، وتعالى الآهات والصرخات حتى كاد غبار المعركة أن يحجب الشمس. وحينئذٍ صاح إبليس لعنه الله:

- مات محمد بن عبد الله.

فوقع وقر ذلك فى قلوب المسلمين وعلى أسماعهم واشتد بهم الفزع وفروا هاربين حتى لم يبق أمام النبی محمد ﷺ - عشرة من أصحابه.

قال ابن العباس (*) :

- سبحان الله، والله لم أر من قبل مثل شجاعة النبي (عليه السلام) . فى هذا اليوم رمى بالعصاة من فوق رأسه وحمل على المشركين فأخذوا يفرون أمامه حتى يهوون فى وادى حنين فيسقطون من الجبل وتندق رؤوسهم أمامه كما لو كانوا حصى يقع من السماء.

ثم عاد إلى صلاته، فلم يجد سوى عشرة منهم فقال للعباس:

- اهـد إلى الجبل، وناد المسلمين.

قال العباس :

- يا ابن عمى (***) وإلى أين يصل صوتى ؟ قالناس قد هربوا فى الوديان والسفوح.

قال النبي عليه السلام :

- نادهم يا عمى، قالله سيرفع صوتك.

فصعد العباس إلى الجبل ونادى وقال :

- إلى أين تذهبون يا صحابة محمد، الزموا نبيكم، فهو حى لم يميت، ارجعوا، ارجعوا إلى المعركة يرحمكم الله.

فسمع المسلمون صوت العباس، وعانوا إلى النبي عليه السلام.

وقالوا له :

- يا رسول الله، ادع الله لنا كي يغفر هذا الذنب، فالشيطان قد صرخ فينا، ومضينا مذعورين.

فدعا النبي ﷺ لهم ثم طلب النبي (عليه السلام) علياً بن أبى طالب فقال :

(*) لاحظ أن الموريسكى يخلط بين العباس عم النبي (ص) وابن عباس راوى الحديث. (المترجم) .

(**) هذا دليل آخر على الخلط : فالعباس عم النبي ومع ذلك يخاطبه بكلمة يا ابن عمى. (المترجم) .

- سبحان الله، وأين على رضى الله عنه فهو الذى لا يُغلب؟ والله بكل شىء عليم.

عندئذٍ نزل جبريل (عليه السلام) وقال :

- يا رسول الله، إن الله يأمر أن تصعد إلى الجبل وتنتظر إلى ابن عمك على بن أبى طالب.

قال (الراوى) فصعد النبى ﷺ ونظر فرأه يقاتل الكفار بيده اليمنى وبيده اليسرى ويسوقهم كالشياه أمامه فيتوزعهم الوادى عن يمينه ويساره.
وقال جبريل:

- يا محمد، إن الملائكة فى السماء يُعجبون بعلى (*) .

فتبعه النبى ﷺ ووجد هناك بحراً من الدم حوله فنظر إليه فرأى به سبعين جرحاً، فأخذ النبى ﷺ قدحاً من الماء، ومر بيده المباركة على الجراح فشُفيت بإذن الله وفضله.

قال (الراوى) ثم خرج من بينهم فارس يُسمى ذا الخمار وكان بطلاً صنديداً قوياً، فوقف فى منتصف الميدان كأنه وحش كاسر يطلب النزال وينشد الأشعار فخرج للقاءه مسلم يُسمى زيد بن عمر، فشد كل منهما على صاحبه وجرحا بضريتين، ثم ضربه نو الخمار ضربة طرحته على الأرض فسقط ميتاً وسارع الله بروحه إلى الجنة ثم وقف بين الفريقين وقال :

- هل من يخرج إلى ؟

فلم يجبه أحد.

عندئذٍ قال نو الخمار :

- يا محمد، أين فرسانك وشجعانك وذوو الشأن من قومك ؟ أين الليث الغاضب على بن أبى طالب ؟

(*) الأدب الموريسكى حافل بالإشارات إلى بطولات على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وينسب مسلمو الأندلس المتأخرون إلى على بطولات خارقة ، فهم يقولون إنه - حتى الآن - يعود إلى الحياة لكى يحارب فى صفوف المسلمين (المترجم) .

قال النبي ﷺ :

- يا علي، أتحب أن تخرج إلى هذا الفارس؟

قال :

- أجل يا رسول الله.

فخرج إليه على وهو يقول :

- اللهم إني أتقى الكفر باسمك وقدرتك، وأعوذ بك من الخوف والفرع عند لقاء الأبطال.

ولما رآه ذو الخمار عرفه وقال له :

- يا علي، لكم اعتاد فؤادك الضرب والطعن. لقد خرجت منتصراً في معارك كثيرة، والآن تستحث فؤادك وفؤاد محمد بن عبد الله لصراعي، فأنت بكل قوتك فإنك لم تحارب فارساً من قبل مثل من يقف أمامك.

وعندئذ حمل كل منهما على الآخر، وتصارعا زمناً طويلاً، وتعلقت بهما أبصار الفريقين. فرأوا علياً وقد علاه بضربة شطرته نصفين، فبتر السيف الفارس والفرس وانغرس في الأرض فشقها شقاً عميقاً، وسارع الله بروحه إلى جهنم.

وصاح على :

- الله أكبر.

فهتف المسلمون جميعاً :

- الله أكبر.

وتبعوا علياً وهو يشند على الكفار حتى كروا راجعين، وتفرقوا أشتاتاً، وقتل في نهر "طون" خلائق كثيرة، ووقع في الأسر كثيرون. وكانت تكبيرات المسلمين وتكبيرات الملائكة عجباً لمن يسمعها. وأمسك العباس بشخص معصوب بعصابة من الديباج الأخضر، وقال :

- والله لقد حسبتها لفتاة ، فحملتها لأقدمها للنبي عليه السلام، فتقدم إلى فارس من فرسان المسلمين وقال لي :

- يا عباس، مَنْ صاحب هذه العصا؟

فقال له :

- أظنها لإحدى الجوارى.

قال له :

- بُسما حسبت يا عباس، فلو كان هو إبليس الشيطان الرجيم وحل الظلام مع سواد الليل فربما انطلق ومس بالشر بعض المسلمين.

عندئذ جعله يكشف عن نفسه، فإذا به دريد الملعون، وكان دريد هذا عدواً لمحمد ﷺ ، فقال العباس :

- أأنت دريد يا عدو الله وعدو رسوله؟

وسل العباس السيف وضرب دريداً، غير أنه كان محصناً بالسلاح والحديد فلم يبلغ منه السيف شيئاً، ففك العباس مغفره وقطع رأسه وحملها إلى النبي ﷺ وقال له :

- يا رسول الله، ها هي ذى رأس دريد الملعون.

ففرح النبي (عليه السلام) فرحاً عظيماً، وأمر بإحضار الأمتعة والغنائم والإبل، وأعطى لكل قائد مائة جمل، وأعطى للمسلمين قسمتهم، ولعائشة جاريتين. ورجع النبي (عليه السلام) إلى المدينة فرحاً مظفراً منتصراً على الكفار ناشراً للإسلام.

وهنا تنتهى غزوة النبي محمد ﷺ ضد مالك بن عوف الأنصارى ببركة من الله تعالى رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الكريم (*).

(*) من المعلوم أن الأدب الإخباري يختلط فيه الواقع بالخيال . هذا ما يفسر كون النص هنا يجمع بين غزوتي بدر وحنين كما لو كانتا غزوة واحدة ، ويفسر أيضاً وجود عددٍ من المشاهد التي أُرِجى بها خيال المؤلف (المترجم) .

الهوامش

(١) الأدب الألفبائي هو الأدب المكتوب باللغة الإسبانية أو البرتغالية أو القطلونية ويحرف عربية. كتبه موريسكيون على مدى القرون من الرابع عشر إلى السادس عشر.

Gaudefory-Demombines: Mahoma, México, 1960, pp. 142 y sigs. (٢)

شعائر الموريسكيين الدينية

نستوحى وصف عدة شعائر من ملحق كتاب " الموريسكيون الإسبان وطردهم لبورونات إبي باراتشينا^(١) وعنوان الملحق هو " شعائر المسلمين التي يؤديها الموريسكيون". والشعائر التي نصفها هنا هي الشعائر الإسلامية الأساسية كما كان يؤديها الموريسكيون الإسبان والتي ترد تسميتها في مذكرات الاتهام المقدمة إلى محاكم التفتيش^(٢).

الطهور:

لكي يؤدى الطهور كان الموريسكى يتجرد من ملابسه تماماً ويضع إناء فيه ماء ساخن وصابون ويغسل جسده كله ثم يفرغ الماء ويضع ماءً آخر نظيفاً مكانه. يدخل المسلم يديه ويقول: « الله أكبر الله أكبر الله أكبر، اشهد لى أمام وجه الله »، وبهذه الطريقة يغسل كل أعضاء جسمه مبتدئاً بالرأس حتى ينتهى عند القدمين وهو يردد نفس الكلمات عند غسل كل عضو. بعد ذلك يجلس المسلم بجوار الإناء، ويأخذ الماء بكلتا يديه ثلاث مرات ويلقى الماء على كتفه الأيمن ثم يضع يده اليمنى على كتفه الأيمن واليد اليسرى تحت ذراعه الأيسر(الأيمن؟) بحيث تلتقى اليدين عند الظهر، وإذا لم تلتقيا يأخذ عصا صغيرة لكي تلتقيا وعند التقاء اليدين يقول:

«اللهم صل روحى بالجنة» ثم يضع الماء بكلتا يديه على كتفه الأيسر ثلاثاً، ثم يضع الماء على كتفه الأيمن ثلاثاً بحيث يصل المجموع إلى تسعة، بعد ذلك يرتدى قميصاً وملابس نظيفة.

الوضوء:

لكي يتوضأ المسلم يأخذ دورقاً من الماء النظيف البارد ويغسل يديه ثلاثاً، وفي كل مرة يقول: « اللهم نظف يدي عن أخذ الحرام، أنظفها لكي أؤكد وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » وبعد غسل اليدين يغسل عورته ويقول: اللهم نظف عورتي من الحرام، ثم يربت على الماء بكفيه ثلاثاً ويعود إلى غسل اليدين ثلاث مرات مردداً نفس الدعاء، بعد ذلك يتمضمض ثلاثاً ويقول: « اللهم اجعل أول وآخر كلامي لا إله إلا الله محمد رسول الله »، بعد ذلك يستنشق ويقول: « اللهم اجعل أنفي تشم رائحة الجنة »، ثم يغسل وجهه ثلاثاً ويقول: « اللهم أنر وجهي كالبرق، ولا تسوده كما تسود وجوه الكافرين. أنر وجهي كما تضيء وجه أحبائك، آمين ». بعد ذلك يغسل الذراع الأيمن حتى المرفق ويقول: « اللهم أعطني كتابي بيمينى . آمين يا الله ». بعد ذلك يغسل الذراع الأيسر ويردد نفس الدعاء ثم يغسل الرأس حتى القفا وهو يقول: « اللهم ضع رأسي في الجنة... »، بعد ذلك يغسل الأذنين لكي تسمعا القرآن في الجنة، ثم يغسل الرقبة ثلاثاً ويقول: « اللهم اعتق رقبتى من النار . آمين يا الله »، بعد ذلك يغسل قدميه ثلاثاً اليمنى ثم اليسرى وهو يقول: « اللهم ثبت قدمي اليمنى على الصراط وألا تزل كما تزل أقدام الكافرين، بل أمر على الصراط كما يمر البرق، وأشهد بكلمة الحق أنه لا إله إلا الله لم يمت وإن يموت ولا شبيه له إلا محمد عبده ورسوله جاء بشريعة الحق. آمين يا الله »، ثم يقول نفس ذلك عند غسل القدم اليسرى (*). يقول المسلمون إن هناك طريقاً يمر فوق الجحيم ويسمى الصراط وإنه رقيق كالشعرة.

الصلاة:

هناك صلاة تسمى صلاة (الصبح). يضع الشخص ملاءة على الأرض ويقف عليها حافى القدمين ويضع كفتي يديه على وجهه ويقول ثلاث مرات (حى) على الصلاة (حى) على الفلاح « نشهد أن لا إله إلا الله » ثم يوجه يديه ناحية الأرض ويقول

(*) النص الإسباني مشوه إلى أقصى حد، ولابد أن برونات هو الذى شوه النص، وقد التزمت غارثيا أريئال بنقل نص برونات دون أن تعلق عليه إلا فى مواضع محدودة (المترجم) .

« الله أكبر. الشكر يا الله؛ أى الحمد لله » ثم يقول « اللهم أرجوك بفضلك ورحمتك أن تغفر لى ولوالدى، وأن تتقبل منى صلاة الشكر هذه كما تتقبلها من عبادك الصالحين وممن يشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. آمين يا الله ». بعد ذلك يعود إلى إسدال اليدين بحيث تكون الكفتان ناحية الأرض ويقول « الله أكبر ». بعد ذلك يضع اليدين على الفخذين ويقول: « الحمد لله رب العالمين. الرحمن ». بعد ذلك يضع اليدين على الفخذين ويقول: « قل هو الله أحد. الله الصمد » ، ثم يضع وجهه على الأرض فوق الملاءة ويردد ثلاثاً « اللهم اغفر لى برحمتك ». بعد ذلك يقف مرة أخرى ويسجد مرة أخرى ثم يجلس على ركبتيه ويقول: « التحيات لله. الزكيات لله » ، ثم ينظر ناحية اليمين ويقول: « السلام... ». هذه الصلاة تؤدى عند شروق الشمس (*) .

صلاة الظهر:

تؤدى صلاة الظهر فى منتصف النهار وهى من أربع ركعات يقال فيها :
« الحمد لله » أربع مرات، وتؤدى مثل الصلاة السابقة وبنفس الكلمات المذكورة .

صلاة العصر:

تؤدى هذه الصلاة بنفس الحركات والكلمات المذكورة. دائماً تؤدى الصلاة والإنسان متجه إلى القبلة ، وهو المكان الذى تخرج منه الشمس ، بعد ثلاث ساعات من طلوع الشمس فى الشتاء.

صلاة الأخيرة:

تؤدى بعد صلاة العصر فى الساعة الرابعة مساءً بنفس الأركان إلا أنها ثلاث ركعات؛ والركعة هى خفض ورفع الرأس.

(*) نفس الملاحظة السابقة. على من يريد الوقوف على كيفية أداء الموريسكيين لشعائر الدين الإسلامى، عليه مطالعة كتاب بدرو لونغاس. وهو يستند إلى مخطوطات الموريسكيين فى معظم الأحوال. (المترجم) .

صلاة العتمة:

تؤدى هذه الصلاة فى الليل، وهى أربع ركعات على النحو الموضح سابقاً

صلاة (الوتر) Tabalquet:

وهى تؤدى بعد كل الصلوات وينفس الطريقة وبها تنتهى صلوات اليوم ، وإذا كان هناك أشخاص كثيرون يقفون فى صفوف ويؤدونها جماعة.

صيام رمضان:

ومدته ثلاثون يوماً، لا يأكل المسلم خلال اليوم إلا فى الليل عند بزوغ النجم ، وفى كل ليلة يتسحر المسلم ، فيأكل بقية ما خلفه فى أكل الليل. يأكل قبل الفجر ويغسل فمه ويؤدى الصلاة، ويتطهر المسلم قبل بدء رمضان. يبدأ الصوم برؤية الهلال وينتهى برؤية الهلال. بعد ذلك ينتظر أحد عشر شهراً، والشهر الثانى عشر يكون هو رمضان^(٢) ، بحيث أن كل رمضان يبدأ قبل رمضان السابق له بنحو عشرة أيام ، إذ هكذا يكون حساب الأهلة.

بعد أن ينتهى شهر رمضان - ومدته ثلاثون يوماً - يحتفل المسلمون بعيد الفطر . وفى أول أيام العيد يقبل الابن المسلم يد أبيه ويطلب منه أن يسامحه، والأبء يباركون الأبناء فيضعون أيديهم على رؤوسهم ويقولون « جعلك الله مؤمناً (أو مؤمنة) صالحاً (أو صالحة) » ، ويطلب كل مسلم من أخيه المغفرة قائلاً: « غفر الله لى ولك » .

عيد الأضحى:

يُحتفل به فى اليوم العاشر من الشهر الثالث بعد شهر رمضان ، ويصوم المسلمون الأيام العشرة التى تسبق العيد فلا يأكلون طوال اليوم حتى دخول الليل ويتسحرون فى الفجر كما ذكرنا عندما تحدثنا عن رمضان. وللاحتفال بالعيد يذبح الموريسكى خروفاً على طريقة المسلمين. ويقول المسلمون إنهم يحتفلون بعيد الأضحى إحياء لتضحية إبراهيم بكبش بدلاً من ابنه.

الليلة الطيبة (*) :

بعد مرور ثمانية أشهر على عيد الأضحى وقبل حلول رمضان بشهر واحد يحتفل المسلمون بمناسبة يسمونها الليلة الطيبة يقولون إن الله يكتب فيها أسماء الذين سيموتون خلال هذا العام . ويؤدى المسلمون الطهارة والصلاة فى تلك الليلة، ويقولون إن عليهم أداء مائة ركعة. فى إحدى هذه الركعات يتلون سورة " الحمد لله " و " قل هو الله أحد " ، ثم « الحمد لله » .

وبعد الوضوء يجلس المسلم جلسة التشهد وينظر إلى ظله ، فإذا ظهر ظل أحدهم بلا رأس فمعنى ذلك أنه سيموت خلال هذا العام.

الجمعة :

يحتفل المسلمون بيوم الجمعة من كل أسبوع وإذا لم يتمكنوا من صلاة الجمعة لأنهم مراقبون فإنهم يؤجلون الصلاة ، ووقتها فى الظهر .

الموتى :

يغسل المسلمون موتاهم أولاً ثم يكفنونهم فى سبع قطع من القماش ثم يضعون شيئاً لتغطية العورة ، لأنهم يقولون إنه بدون الكفن لا يستطيع المسلم الوقوف أمام الله يوم القيامة، وعند التكفين يغطون الجسد كله.

ليلة القدر :

تؤدى صلاة ليلة القدر بخمس عشرة ركعة وتؤدى للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وابنته فاطمة. ويكون ذلك بالنظر إلى الأرض ووضع اليدين على البطن وقراءة « إنا أعطيناك الكوثر ».

(*) يعلم المسلم أنه ليست هناك مناسبة إسلامية بهذا الاسم، ولعل التاريخ الموضح هنا يشير إلى ليلة الإسراء والمعراج، ونظن أن تسميتها بهذا الاسم يعود إلى أثر مسيحى. (المترجم) .

سورة برب الفلق :

تقرأ سورة « برب الفلق » بوضع العينين والأيدى بالطريقة الموضحة سابقاً ، ويقول المسلم : « قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » .

سورة برب الناس :

تقرأ سورة « برب الناس » بوضع العينين واليدين بالطريقة الموضحة سابقاً ، ويقول المسلم : « قل أعوذ برب الناس » . بعد الانتهاء من هذه السور يسدل المسلم يديه ويقول : « نشهد أن لا إله إلا الله ، الله أكبر » . بعد ذلك يعود إلى القيام ويردد نفس الكلمات. بعد ذلك يجلس المسلم على ركبتيه فوق الملاء ويقول : « اللهم إنك وعدت في القرآن الكريم أن تسمع من يدعوك، وأن تستجيب لمن يعبدك. أنا عبد من عبيدك وقفت ببابك أطلب الجنة لى ولوالدى والمؤمنين والمؤمنات » .

الذكاة أو الذبح :

لا يأكل المسلم لحم حيوان مات مخنوقاً ، لكنه يأكل مما ذبح . ولا تستطيع النساء أن تذبح فتحمل المرأة طيورها إلى رجل لى يذبح لها . والرجل حين يذبح الطائر أو الحيوان يوجه وجهه إلى القبلة، ويختبر سكينه قبل الذبح ويقول عند الذبح « بسم الله » .

التعميد :

يضع المسلم حبات من القمح والشعير وقطعا من الذهب والفضة فى إناء ويصب عليها ماءً ساخناً . يضع المولود وهو عارٍ فوق الإناء ويغمر جسده بالماء ثم يوضئه، ثم يلبسه ملابس نظيفة ويطلقان عليه اسماً . بعد ذلك يضعان له غطاء رأس من الحرير ، ويأخذ الموجودون فى الحفل قطع قماش صغيرة ويسألون من يقوم بطهوره عن اسمه ويردد الآخرون الاسم، ثم يرفعون المولود جميعاً ويقولون بصوت عالٍ « لى لى لى لى لى »

وينزعون عنه غطاء الرأس ويضعون كتاباً بالعربية على فم وأنف وعين المولود وهم يقولون : « جعلك الله مؤمناً صالحاً » .

بعد ذلك ينزعون الذهب والفضة من الإناء وتأخذهما امرأة وتلقى بالماء تحت سرير الأم وهي تضحك (لا يتواجد الرجال فى هذا الحفل الذى يُقام فى اليوم السابع للولادة) .

الشهادة:

أى قول : « نشهد أن لا إله إلا الله » ، وهى كلمات يرددونها للمسلم الذى يموت لكى يحصل على الجائزة ويريه الله ملك الحسنات.

الهوامش

(١) انظر المجلد الأول ص. ٥٠٨ - ٥١٣

(٢) الدراسة الأساسية عن أداء الموريسكيين لشعائر الإسلام هي كتاب بدرو لونغاس "حياة الموريسكيين الدينية". وقد نشر غايانغوس - في Memorial Histórico español, V - فصلا لفتحه سيفوييا عيسى بن جابر يتعلق بالأوامر والنواهي الأساسية في القرآن والسنة". انظر أيضا

Credilla " : Ceremonias de moros que hacen los moriscos ", en Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos.

الالتهام والحكم فى قضية نظرتها محكمة التفتيش ضد الموريسكو

فرانثيسكو دى اسبينوسا (كوينكا عام ٦١ - ١٥٦٢)^(١)

فرانثيسكو دى اسبينوسا مسلم متنصر حديثاً . عُرض أمره علينا نحن أعضاء محكمة التفتيش الخاصة بجرائم الإلحاد التى تقع فى كوينكا وسيغوينتا وضواحيها .

.....

حضر أمامنا كل من ممثل الاتهام السيد سانتوس والمتهم فرانثيسكو دى اسبينوسا ، وهو مسلم متنصر حديثاً من أهالى الإقليم .

وقد حضر ممثل الاتهام وقدم اتهامه لفرانثيسكو اسبينوسا المذكور وقال إن المتهم كان مسيحياً يتمتع بكل الامتيازات التى يتمتع بها المسيحيون الكاثوليك إذ أنهم يخافون ربنا وأمه المباركة العذراء، لكنه ألحد وسب عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة، وسب ما نصت عليه كنيسة روما، وارتكب جريمة الإلحاد هذه وتفوه بكلمات مشينة ومنافية للاحترام ، خاصة ما يلى:

١ - بما أن فرانثيسكو دى اسبينوسا المذكور كان مسلماً ثم تنصر وعُمد وعمره عشرون سنة وأنه - بتأثير من طائفة محمد اللعينة التى كان يعتنقها - قال وهو يشتكى زوجته إنه فى أرض المسلمين يتزوج الإنسان خمس أو ست نساء فإذا غضب من واحدة ذهب إلى الأخرى ويقول هذه أحبها وتلك لا أحبها، وأن المذكور كان يوافق عقيدة محمد التى تسمح للإنسان بالتزوج من نساء كثيرات.

٢ - وحيث أن المدعو فرانثيسكو دى اسبينوسا قد تحدث مع أشخاص آخرين عن الحرب التى كان المسيحيون سيخوضونها ضد المسلمين فقال إن هذه الحرب ضد

المسلمين ان تفيد شيئاً؛ لأن المسلمين أكثر عدداً من المسيحيين، ولأن كل مسيحي يذهب إلى الحرب يقابله خمسة عشر مسلماً. قال ذلك وهو مسرور يضحك وسعيد.

٣ - وحيث أنه قد تربي على عقيدة المسلمين، وقد أثبت أنه تظهر منه الأخطاء التي تعلمها قبل أن يتم تعميده إذ إنه حين كان يقول إن المسلمين قد انتصروا على المسيحيين. كان يقول ذلك وهو سعيد وكان يبدو من كلامه أنه مسرور لذلك وللنكبات التي حلت بالمسيحيين. (٧)

٤ - وحيث أنه استناداً إلى عقيدته الباطلة كان يقول - لمن يروى له إن سيدتنا العذراء قد أخرجت أحد الأسرى من أرض المسلمين - كان يردد « إنهم يدعون أن العذراء حررت الأسرى وهم يطلبون منها أن تخرج لهم كنوزاً لكي يدفعونها لمن يذلونهم » .

٥ - وحيث أن فرانثيسكو دي اسبينوسا تحدث عن خسائر المسيحيين في الحروب ضد المسلمين فقال إنه كان يعلم بهذه الخسائر لأن نبوءات القديس إيسيدرو لا يمكن أن تكذب (٣) .

٦ - وحيث أنه عندما كان بعض الناس يتحدثون عن شعائر المسلمين توجه المدعو اسبينوسا إلى شخص من أصل مسلم كان يرافقه وقال له : « ... ذلك كنا نعرفه » . قال ذلك وهو مسرور، ويفهم أنه كان يقصد الشعائر الإسلامية.

٧ - وحيث أنه عندما كان في مكان ما يباع فيه شراب وأحجار وقام شخص باختبار البضاعة بإبرة مر المدعو اسبينوسا وقال لشخص من أصل مسلم كان معه « الآخر» فرد الشخص الثاني « نعم نعم » وقد فهم شخص ثالث رأهما أن ذلك معناه مجوهرات محمد ، لأنه كان قد قرأ ذلك في تاريخ المسلمين (٤) .

٨ - وحيث أن المدعو اسبينوسا عندما كان في أحد البيوت دخل شخص من أصل مسلم وقال إن المسلمين شرفاء، لم يرد عليه المدعو اسبينوسا بل ارتبك . وقد فهم من رأوه أنه ارتبك لما علم أن من سمعه ليس على دينه .

وحيث أن المدعو اسبينوسا عندما كان في زيارة شخص مريض من أصل مسلم قال له المريض: «أهلاً بالمسلم الطيب. لو أن السلطان التركي لديه جنود كثيرون من أمثال هذا المسلم لاستطاع أن يفعل الكثير»، فلم يعترض المدعو اسبينوسا على الكلام الذي وجه إليه.

٩ - وحيث أنه عندما كان يتحدث مع أشخاص قال «لدى قوادتان: الله والخنزير»، وأنه في مرة أخرى قال «لدى قوادتان: الله وأبنائي» .

١٠ - وحيث أنه كجاحد لنعم الله فإنه قال : «ليس لدى الكثير الذي أشكر الله عليه» وأنه رغم أن الله أعطاه أشجار العنب إلا أن أبناءه لا يريدون العمل.

١١ - وحيث أن المدعو اسبينوسا كان موجوداً عندما كان أشخاص يقرءون في أحد الكتب أشياء عن محمد ودينه اللعين وخاصة كيف استطاع محمد أن يتسيد على أراضٍ كثيرة وأن اسبينوسا لما سمعهم سرُّ كثيراً .

١٢ - وحيث أنه عندما كان يتحدث مع أشخاص آخرين روى لهم أشياء عن دين محمد وقدم مدخلاً له وقال - فيما قال - إن المسلمين يسمون العذراء "مريم" وأنه إذا كان الله عظيماً وكريماً فكيف ترك نفسه لكي يصلبه أشخاص دينيون.

١٣ - وحيث أن اسبينوسا كان يتحدث مع آخرين فقال لهم : لولا محكمة التفتيش هذه لخرج الناس كلهم عن الكاثوليكية.

١٤ - وحيث أن المدعو اسبينوسا عندما كان يتحدث مع آخرين سألوهم عما إذا كان للمسلمين صلوات، فطلب منهم أن يتركوه وأن الوقت ليس مناسباً للحديث عن ذلك، ولما كرروا السؤال أجابهم " بكلمات عربية غير مفهومة".

١٥ - وحيث أنه قد أهان هذه المحكمة وكذب عليها حين قال تارة إنه لا يعرف شيئاً عن دين محمد وتارة أخرى قال إنه يعرف.

١٦ - وحيث أنه كان من المتواطئين مع الملاحدة ، إذ كان يعرفهم ولا يبلغ عنهم.

١٧ - وحيث أن اسبينوسا في معرض الحديث عن حروب المسلمين ضد المسيحيين قال إنه سيحين الوقت الذي سيكون السعيد فيه هو من له قريب موريسكي

إذ سيتولى المسلمون الحكم فى غرناطة وإن هناك منجم يقول إن الملك المسلم سيدخل غرناطة من الباب الذهبى، وسيستولى على كل الأراضى، وسيحرق عظام الملكة إيسابيل الكاثوليكية وإنه سينثر الرماد فى الهواء^(٥). ولما قال شخص آخر « لا أراد الله أن تصلوا إلى ذلك » أجابه أسبينوسا « عندما يأتى المسلمون سيكون لمن له صديق موريسكى حظ وافر ». قال ذلك بسرور بحيث يفهم من كلامه أنه يفرح لانتصار المسلمين وهزيمة المسيحيين الكاثوليك.

١٨ - وحيث أن اسبينوسا - المتعاطف مع دين محمد - قال إنه لا يغضب ممن يسميه موريسكياً^(٦).

١٩ - وحيث أنه لما رمى شخص سهماً وقال : « انظروا، هكذا أرمى المسلمين فى الحرب » ورد عليه شخص قائلاً : « أنت مرقى، استدعوا موريسكية فى الرابعة عشرة فهى أفضل رمياً أو أشد قوة » فلما سمع اسبينوسا هذا الحوار غضب وسب الأخير قائلاً : « هل ربى الموريسكى ابنته لكى يحضروها إلى هنا لتخدم ؟ » .

ولما كان اسبينوسا قد قال وفعل جرائم أخرى إلحادية ضد عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة - كما سيتضح عند نظر القضية - لذلك فإن ممثل الاتهام يطلب منا أن نأمر بمحاكمة المدعو فرانشيسكو دى اسبينوسا بكل قوة، وأن نعلن أنه ملحد وأنه متواطئ مع الملحدين؛ ولذلك فهو يقع تحت طائلة عقوبة الكفر الأكبر، وأن نصادر كل أملاكه، وأن نأمر بذلك اعتباراً من اليوم الذى ارتكب فيه هذه الجرائم، وأن نعلن أن أبناءه غير مؤهلين لتولى وظائف مدنية أو كنسية أو أية وظيفة عامة أو شرفية وفقاً لقوانين هذه المحكمة ، كما يطلب - بصفة خاصة - تطبيق أحكام القانون بشكل تام.

ولما تليت على المدعو اسبينوسا مذكرة الاتهام هذه لكى يرد عليها قال إنها صحيحة، وذكر أنه اشتكى من زوجته فقال: " إن فى بلاد المسلمين يتزوج الرجل من خمس أو ست زوجات فإذا غضب من واحدة ذهب إلى الأخرى، ويقول الرجل أحب هذه ولا أحب تلك " ، وأنه لما قال تلك الكلمات كان يعتقد أن الدين الذى يبيع الزواج من نساء كثيرات دين جيد. وذكر أنه قال أيضاً : إنه ليس من المفيد الذهاب إلى الحرب ضد المسلمين لأن المسلمين أكثر عدداً من المسيحيين، وإن هناك خمسة عشر مسلماً

مقابل كل مسيحي وإنه كان مسروراً وهو يقول ذلك. وذكر أنه قال أيضاً إن المسيحيين يدعون السيدة مريم لكي تخرج لهم الكنوز. وذكر أنه أثناء الحديث عن خسائر المسيحيين في الحروب ضد المسلمين قال : " كنت أعلم ذلك لأن نبوءات القديس إيسيدرو لا يمكن أن تكون كاذبة، وهي تقول إنه ستكون هناك حروب". وذكر أنه لا يعرف من اللغة العربية سوى «الحمد لله رب العالمين» وأنه لا يدري معناها (٧). وذكر أنه ليس لديه الكثير الذي يشكر الله عليه لأن الله أعطاه أشجار العنب لكن أولاده لا يريدون الذهاب للعمل، وذكر أنه تحدث كثيراً عن دين محمد، وأنه قدم مدخلاً له وأنه قال إن المسلمين يسمون العذراء "مريم" وأنهم - أي المسلمين - يقولون إذا كان الله عظيماً وقوياً فكيف سمح لحالة البشر بأن يصلبوه وإن هذا ما كان يردده أباًؤه وأجداده. وذكر أنه قال إنه لولا محكمة التفتيش لترك الناس الكاثوليكية.

ولما كنا قد رأينا أن المدعو فرانثيسكو دى اسبينوسا لا يعترف بالحقيقة كاملة فقد أمرنا بإعطائه نسخة من مذكرة الاتهام هذه لعلها تساعد (على التذكر؟)، وقد قرأنا اعترافاته والالتزامات التي قدمت ضده، وقد أجاب وهو راض أنه يؤكد كل ما اعترف به وينكر الباقي... وقد أعلننا الشهود وقدمنا صورة للمدعو فرانثيسكو دى اسبينوسا فاعترف بأنه تحدث مع شخص فسأله ما هو أفضل ما كان لديك عندما كنت تعمل في نقل البضائع؟ أجاب اسبينوسا « كانت لدى قوادتان: إحداهما الله الذي لا يرزقه طعاماً لأبنائه، والأخرى أبناؤه فهم كثيرون » ، وذكر أنه كان يتحدث مع شخص آخر عن حرب موسستان (٨) فقال له « يجب ألا يفكر المسيحيون في محاربة المسلمين... فلا يكفي العالم كله لمقاومتهم » وذكر اسبينوسا أنه ليست لديه أقوال أخرى يضيفها، وأنه يطلب المغفرة من الله ربنا، ويطلب منا أن تكون العقوبة تصحبها الرحمة . وقد قال محامى المذكور إنه اعترف وقال الحقيقة، وإنه يتمسك بها وينكر أى شيء آخر، وإنه ليس لديه ما يضيفه إلى هذه الدعوى.

ولما كانت القضية على هذا النحو ، ولما كنا نرى أن المدعو اسبينوسا لم يعترف بعد بالحقيقة كاملة فيما يتعلق بما ذكره الاتهام وما شهد به عدد كبير من الشهود، الذين يرغبون في خلاص نفوسهم وفي ألا يظل هو حبيس جرائمه... لذلك فقد عدنا إلى تأنيبه، وأفهمناه أنه من الضروري أن يعترف بالحقيقة. وقد تأثر المدعو فرانثيسكو دى

اسبينوسا وأبدى رغبة طيبة وقال إنه يعترف بأنه كان مسلماً حتى اليوم، وإنه كان يعتقد أن الإسلام دين طيب، وإنه يُدخل الجنة، وإن ذلك كان ما يجول في صدره. وقال إنه رغم الذهاب مرات كثيرة لسماع الوعظ إلا أنه كان مسلماً. وقال إن ما ذكره الشهود حق وإنه كان يرى أنه سيدخل الجنة باتباع دين محمد كما أن المسيحيين سيدخلون الجنة باتباع دينهم، وقال إنه اعتباراً من اليوم سيلعن دين محمد وسيبتصل منه؛ لأنه يفهم أنه دين سيئ وإنه يتألم للإهانات التي وجهها إلى ربنا، وإنه يرجو ربنا أن يغفر له ذنوبه، ويطلب منا الرحمة لأنه من الآن فصاعداً يريد أن يعيش ويموت على دين المسيح كمسيحي مخلص... رأينا كل ذلك كرجال قانون وأصحاب ضمانر سليمة، وقد وضعنا الرب نصب أعيننا فهو الحكم الحق والعدل.

الحكم:

نظرنا في هذه القضية ورأينا أن ممثل الاتهام قد وجه اتهامه بشكل جيد، ورأينا أنه ثبت لدينا حُسن نيته، وبناءً عليه نعلن أن المدعو فرانتيسكو دى اسبينوسا كان ملحقاً؛ ولهذا فقد وقع تحت طائلة الحكم بالكفر الأكبر وتحت طائلة العقوبات الأخرى التي يُعاقب بها من يرتكب جريمة الإلحاد، ومنها مصادرة جميع ممتلكاته، وهذا ما أمرنا به أن ينفذ اعتباراً من اليوم الذي ارتكب فيه المدعو هذه الجرائم؛ أي منذ ستين عاماً.

لكننا نريد استعمال الرأفة معه وعدم تطبيق بنود القانون مراعاةً للاعترافات التي صدرت منه أمامنا، والتي أبدى فيها الندم على الجرائم التي ارتكبها، وبناءً على رغبته في التحول إلى عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة وقوله إنه على استعداد لأي عقوبة نصدرها ضده.

ومادام المدعو فرانتيسكو دى اسبينوسا سيتحول إلى عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة بقلب خالص، وبإيمان لا شك فيه. وبما أنه اعترف بالحقيقة كاملة وقد قبلناها منه وقبلنا المصالحة وضمه إلى الكنيسة وإلى المؤمنين المسيحيين، فإننا نأمر بأن تكون عقوبته على جرائمه التي ارتكبها أن يخرج يوم الموكب مع المذنبين الآخرين بملابس صفراء عليها شارة، وأن يتلى عليه هذا الحكم، وأن يتنازل علناً عن الممارسات التي اعترف أمامنا

بها، وعن كل مظاهر الإلحاد. بعد إعلانه ذلك نعلن الصفح، وتلغى إعلان إلحاده. كما نأمر بسجنه، وبأن يرتدى لباس المذنبين فوق أى شئ يرتديه ، وأن يكون حبسه فى سجن هذه المدينة، وأن يذهب كل يوم أحد وكل عيد إلى الكنيسة لسماع الوعظ مع المذنبين الآخرين، وأن يذهب كل يوم سبت فى موكب إلى كنيسة العذراء، وأن يصلى خمس مرات... كما نعلن عدم أهلية المذكور لتولى وظائف كنسية أو مدنية أو عامة أو شرفية، وعدم أهليته لحمل السلاح، ولا ركوب الخيل، ولا ارتداء الحرير أو التحدى بالذهب أو الفضة أو الأحجار الكريمة ولا بأى شئ محرم على فاقدى الأهلية طبقاً لقوانين الممالك أو لقوانين محكمة التفتيش.

هذا ما نعلنه ونأمر به بناءً على توقيعنا

صدر فى مدينة كوينكا فى الخامس من شهر يوليه لعام ١٥٦٢

الهوامش

(١) Archivo Diocesano de Cuenca, Leg. 218, num. 3870

(٢) يشعر الموريسكى أن بيئته الحقيقية هي العالم الإسلامى. سعادة الموريسكى بانتصارات الأتراك كانت تشكل مادة اتهام مستمرة له.

(٣) فسر المسلمون والمسيحيون على السواء نبوءات القديس إيسيدرو لصالحهم ، ففي كتاب *Prodicion y destierro de los moriscos de Castilla* يتحدث غوادالاخارا عن النبوءات التى تبشر بسيطرة المسيحيين على إسبانيا كلها فيقول: لقد تنبأ الكثيرون بذلك ، ومنهم القديس إيسيدرو الذى أساء الموريسكيون تفسير نبوءاته.

(٤) Guadalajara y Javier: *Prodicion y destierro*fol 72.

(٥) كانت النبوءات التى تحدثت عن استعادة السيطرة السياسية كثيرة. لاحظ أن فرانثيسكو اسبينوسا لا يحاكم هنا بجرime ضد الدين بل بسبب آراء "سياسية" ، بسبب شعور مخالف لشعور المسيحيين القدامى.

(٦) يحاول اليهودى المتنصر أن يتخلص من لقبه العائلى، وأن يندمج فى المجتمع المسيحى ، أما الموريسكى فهو يفخر بعائلته.

(٧) كان موريسكيو قشتالة بشكل عام - عدا الوافدين من غرناطة - يجهلون اللغة العربية.

(٨) تقع موستاغانم على سواحل الجزائر ، هى الموقعة التى انهزم فيها الإسبان أمام الأتراك عام ١٥٥٨ .

تنصير موريسكيي فالنسيا

فى الحروب التى دارت فى فالنسيا بين السادة والجماعات كان الموريسكيون - كأتباع للسادة - يعتبرون سنداً للسادة ، ومن ثم كان المتمردون يطاردونهم مطاردة شديدة. كانت إحدى الوسائل التى اتبعها المتمردون هى تعميد المسلمين حتى لا يضطروا إلى دفع الضرائب لساداتهم. ويرى اسكولانو - فى كتابه "عقود من تاريخ مدينة ومملكة فالنسيا" - يروى الأحداث على النحو التالى:

انتشر المتمردون فى تلك القرى بحثاً عن المسلمين وعن ساداتهم للقضاء على الجميع ، ولم يعفوا إلا عن المسلمين الذين كانوا يقبلون التعميد هرباً من الموت. كان أول من عمدهم المتمردون هم أهالى غانديا كباراً وصغاراً: عمدوهم بالسعف المغموس فى ماء ساقية. قاموا بنفس الإجراء فى كل قرى غانديا وأوليا وماركيزيه دينيا ، وكل القرى الأخرى حتى بولوب (١) .

كان موريسكيو ذلك المكان - خوفاً من النهب والتعميد - قد احتموا بالقلعة الحصينة ، وبعد عدة أيام من المقاومة استسلموا بعد أن عاهدهم المتمردون ألا يتعرضوا لهم بأذى إن هم قبلوا التعميد .

بناء على هذا العهد فتح الموريسكيون الأبواب وقبلوا التعميد. وبعد أن تم التعميد قتل منهم المتمردون ستمائة دون مراعاة للعهد الذى أعطوه وقالوا: " هكذا نرسل الناس إلى الجنة، ونرسل النقود إلى الخزانة".

T. II, libro X, p. 690. Véase también García Cárcel y Ciscar Pallares : Moriscos y (١)

agermants ; Piles : Aspectos sociales de las Germanías de Valencia ; Danvilay Collado : Las Germanías de Valencia.

وبعد أن انتهت حروب الجماعات عاد المسلمون إلى دينهم. كانت القضية المطروحة آنذاك هي: هل كان التعميد صالحاً أم لا ؟ وما إذا كان من الواجب ترك المسلمين يعودون إلى دينهم.

في عام ١٥٢٥ حسم كارلوس الخامس القضية حين قرر تنصير مورييسكيي فالنسيا ، وهو ما أدى إلى ثورات بنغواثيل وسيرا دي إسبادان.

اعتباراً من ذلك التاريخ ستطرح للمناقشة بشكل واسع مسألة تعليم المورييسكيين الدين الجديد الذي لا يعلمون عنه أى شيء .

تعليم موريسكيي فالنسيا العقيدة الكاثوليكية
القرارات التي اتخذتها اللجنة التي رأسها فرانثيسكو دي نابارا
بشأن تنصير الموريسكيين عام ١٥٦١^(١)

كانت البنود التي نوقشت بخصوص موريسكيي فالنسيا هي :

- أن يقوم الأعضاء أو ممثلوهم بزيارات كنسية، وأن يقوم بالزيارة في كل أسقفية ممثلاً حتى تنتهي الزيارات بسرعة، وأن يحملوا أثناء الزيارة رسائل من صاحب الجلالة إلى الأعيان بهدف تقديم التسهيلات لهم، وأن يقوم الموظفون الملكيون بمرافقة اللجنة حتى تتم الزيارة على النحو الأكمل ، وأن يجتمع في فالنسيا أو في مكان آخر مناسب كل من أسقف فالنسيا والقساوسة الذين لديهم موريسكيون، وأن تتم الزيارة بشكل رسمي.

- أن يحمل الممثلون أمراً بوعظ وإقناع الموريسكيين بأن يعترفوا بذنوبهم، وأن يُعاملوا بكل رحمة .

- أن ينبه الممثلون الموريسكيين إلى أنه من الآن فصاعداً يجب ألا يصلوا صلاة المسلمين ، وألا يصوموا رمضان ، وألا يختنوا أبناءهم ، وألا يحتفلوا بالزفاف على الطريقة الموريسكية ، وألا يقيموا أية احتفالات موريسكية أخرى ، لأنهم إذا فعلوا غير ذلك ستعاقبهم محكمة التفتيش بمقتضى ما ارتكبه من جرائم. سيكون من المفيد أن يتمكن الممثلون من إيفاد أشخاص إلى الأماكن الرئيسية لسماع اعترافات الموريسكيين، والصفح عن ذنوبهم.

- أن يتوخى الممثلون القيام بهذا العمل برقة بحيث لا يتأذى الموريسكيون وحتى يعيش هؤلاء كمسيحيين مخلصين ، وحتى يعتنق الموريسكيون العقيدة الكاثوليكية عن حب لا عن خوف.

- يلحق بينود زيارة الكنيسة أو الأديرة ما يلي: أن يصدر الأمر البابوي سريعا بأن تكون لجنة الأديرة متنقلة ، وأن تتوزع اللجان الكبيرة بحيث تكون مساوية للجانب العادية وأن يراعى ما ورد في المجمع المقدس.

البند التاسع " ب " أن يغادر الفقهاء المملكة، وألا يتواجدوا فيها ؛ لأنهم يحبطون عمليات تعليم العقيدة الكاثوليكية، وأن تناقش كيفية طردهم مع النائب. وأن يحدث نفس الشيء مع القابلات ، وعلى النساء الحوامل أن يلدن بمعرفة مسيحية قديمة، وإذا لم تكن هناك مسيحية قديمة فليتواجد القسيس والعريف، وذلك حتى لا يقوم الموريسكيون بختان الأطفال.

- أن يُمنع الموريسكيون من القراءة والكتابة باللغة العربية وأن يُؤمروا بتعلم اللغة الشائعة في المملكة.

نتيجة المشاورات التي أمر صاحب الجلالة أن يجريها كل من أسقف تورثوسا التي تسمى الآن تاراغونا ، والسيد ميراندا عضو محكمة التفتيش مع نون ماكيدا

- أولاً القيام بزيارات كنسية في جميع أنحاء مملكة فالنسيا، وأن يُعين الممثل أو الممثلون باسم صاحب الجلالة لكي ينفذوا أوامر الملك... وأن يكون للممثلين سلطة البابا أو سلطة رئيس محكمة التفتيش؛ لكي يمكنهم الصفح عن الجرائم التي يكون الموريسكيون قد ارتكبوها والعفو عن ماضيهم، وأن يعاقبوا مرتكبي الجرائم فيما بعد بشكل متعقل، وألا يكونوا مجبرين على تطبيق كل بنود القانون.

- أن يحمل الممثلون أوامر من صاحب الجلالة إلى كل الحكام ورجال القانون والضباط الملكيين والسادة وآخرين لكي يقدموا التسهيلات والمساعدة لإتمام الزيارة بحيث لا يسمحوا بأن تُقام في محال سلطاتهم - ولا من قبل رعاياهم - حفلات المسلمين، وأن يأمرؤا بذلك، وأن يُعاقب المخالفون.

- أن يذهب الممثل وهو يحمل صفة عضو محكمة التفتيش، وأن يصحب معه الحجاب والمستشارين ، حتى لو كانوا من خارج محكمة التفتيش، وأن يذهبوا وهم يتمتعون بصلاحيات رئيس محكمة التفتيش، كما حدث في السابق، ذلك حتى يكون لهم الاحترام الواجب، وحتى لا يتهاون أحد.

- أن يذهب المفتشون مع الممثلين (كل في أسقفية) أو من يقوم مقام الأسقف، حتى يزوروا معاً الأماكن التي يجب زيارتها؛ ذلك لأنه لو لم يذهب الممثلون فلن يكون للزيارة الاحترام الكافي، وهذا ما نعلمه بحكم التجربة.

- أن يقوم الممثلون - بصحبة زائري الكنائس - بزيارة الأديرة والأماكن المتواجدين فيها لكي يروا ما إذا كانت هذه الأديرة ظاهرة ، إذ إنها عندما بُنيت أتفق على أن تتم زيارتها لإبداء الرأي حول ما يجب تغييره وما إذا كانت ظاهرة.

- التحرى عما إذا كان المسؤولون مقيمين وما إذا كانوا أشخاصاً شرفاء وأكفاء، وما إذا كانت الكنائس مزخرفة وبها الأشياء اللازمة لأداء العبادة ، ويراعى عزل المسؤولين الذين ليسوا أكفاء وتعيين غيرهم من نوى الكفاءة ، و تزويد الأماكن القديمة بمن يتولى إقامة الشعائر.

- التحرى عن الإيرادات التي كانت تدخل المساجد سابقاً ، والتي هي حالياً فى حوزة السادة وأشخاص آخرين ، وقد خُصصت هذه الإيرادات بعد تنصير المسلمين للكنائس. إعادة هذه الإيرادات، وتقديم حائزها للمحاكمة إن هم رفضوا إعادتها، واتخاذ إجراء مع كل من يعرف شيئاً عن هذه الإيرادات ولا يبوح به .

- زيارة المنتصرين حديثاً، والوقوف على طريقة معيشتهم، والقضاء على الشعائر الإسلامية التي يؤدونها ، وهى شعائر ثبت أنهم يؤدونها ، وذلك من خلال زيارة قام بها ميراندا عضو محكمة التفتيش، وإقناعهم بتعميد أبنائهم وبألا يختنهم ، وبألا يطلقوا عليهم أسماء إسلامية وأن يعترفوا وأن يذهبوا لسماع الوعظ ، وأن يحتفلوا بالأعياد التي وضحت لهم عند تعليمهم العقيدة الكاثوليكية ، وأن يعيشوا كمسيحيين ، وأن يُعاقب الفقهاء ومن يجرون عمليات الختان ومن يفدون من الجزائر و غرناطة وقشتالة وأراغون.

- إصدار الأوامر بأن يتعلم المنتصرون حديثاً العقيدة المسيحية على يد القساوسة، واستدعاء الأطفال - بل والكبار إذا أمكن - فى ساعة معينة من النهار لتعليمهم.

- تعيين الحُجاب والنُّظار لمراقبة تنفيذ التعليمات المذكورة ، وأن يتمتع هؤلاء الحُجاب والنُّظار بحماية محكمة التفتيش والممثلين ، وأن يتمتعوا كذلك بكل مزايا نظرائهم ، وذلك بمنحهم مرتبات مجزية، والحق فى قبض ربع الغرامات التى يحصلونها.

- إصدار الأمر ببناء كنائس فى القرى التى ليس بها كنائس يلقى فيها الوعظ، وتزويد هذه الكنائس بالقساوسة والخدم، وإذا كانت القرى خطرة فتسلم الكنيسة إلى سيد القرية مع اتباع الاحتياطات التى أمر بها ميراندا عضو محكمة التفتيش لدى زيارته الكنسية.

- أن تكون للممثلين سلطة توقيع الغرامات على المجرمين، وأن توجه حصيلة هذه الغرامات لبناء الكنائس وللصدقات على فقراء القرى؛ حتى لا يظن المسلمون أننا نفعل ذلك للاستيلاء على أموالهم، ولكى يخافوا من العقوبة.

- بما أن بعض المنتصرين حديثاً هم من وجهاء القوم ويرغبون فى أن يتمتعوا بحماية صاحب الجلالة وحماية محكمة التفتيش ، وحيث أنهم عنصر جذب لترغيب الناس فى اعتناق المسيحية وبدونهم لن تتم الزيارة على الوجه الأكمل ، فمن المناسب أن يكون من بين المتعاونين معنا بعض هؤلاء الوجهاء ، لأن هؤلاء الوجهاء يؤثرون فى حياة العامة.

- أن تكون للممثلين سلطة توقيع الجزاء على المسيحيين القدامى إذا أهانوا المسيحيين الجدد وأطلقوا عليهم لقب " المسلمين الكلاب" بدلاً من " الموريسكيين" وهذا قد حدث وعلمنا به .

- أن يُعاقب الممثلون بعض السادة الذين يقيم رعاياهم حفلات الزفاف وغيرها على الطريقة الموريسكية، والذين لا يسمحون لخدم الكنيسة بإبلاغ محكمة التفتيش عن ذلك (٧) .

- أن يستعلم الممثلون عن الأسلحة التى يمتلكها المنتصرون حديثاً ، إذ يُقال إنه بعد جمع السلاح منهم ظلت هناك أسلحة كثيرة مخبأة.

- حيث أنه فى بعض القرى التى يقيم بها متنصرون حديثاً قد شيدت مساجد وزوايا يجتمع فيها الموريسكيون، ويؤدون شعائهم، ويقومون ببعض الأعمال المحظورة يعصون فيها الله وصاحب الجلالة، ويضرون فيها بمصلحة هذه المملكة، فيجب أن يكون للممثلين سلطة هدم تلك الأماكن أو تحويلها إلى كنائس أو أى شىء آخر يرونها، وأن يمنعوا اجتماعات الموريسكيين، وأن يصادروا منهم المصاحف وكتب السنة وكل الكتب والأدوات الممنوعة والتى يؤدون بها شعائهم.

- أن تبدأ الزيارة الآن فى الشتاء فى الأماكن القريبة من البحر ، وأن تستمر فى الصيف فى الأماكن البعيدة عن البحر تجنباً للأخطار الموجودة فى السواحل.

- أن يصطحب الممثلون معهم أثناء الزيارة مبشرين مسيحيين وأشخاصاً من الوجهاء ومن يعرفون اللغة العربية ، فإن لم يجدوا فليبحثوا عنهم فى أماكن أخرى، حتى يقوم هؤلاء الأشخاص بتعليم الموريسكيين العقيدة الكاثوليكية، وأن يراعوهم فيما بعد ، رغم أنه يمكن الاستعانة بالأديرة الموجودة فى هذه المملكة وهى كثيرة ، كما يمكن الاستعانة ببعض فى إخبار الممثلين بما يقع لاتخاذ الإجراءات اللازمة.

- أن يجرى الممثلون التحريات فى الأماكن التى يزورونها طبقاً لنموذج التحريات الموجود لدى ميراندا عضو محكمة التفتيش، وألا يوجه الممثلون أسئلة سطحية لا تتعلق بمهمتهم كما رأينا سابقاً، وإذا رأى الممثلون إضافة أو حذف سؤال فيمكنهم ذلك بحيث لا يتعارض ذلك مع محكمة التفتيش، وبحيث لا يضر ذلك بالسادة ولا بالمتعاونين ، فكل هؤلاء يجب أن يكونوا راضين عن هذا العمل.

- أن يهتم الممثلون بالمدرسة التى أمر صاحب الجلالة بتشبيدها فى مملكة فالنسيا لتعليم أبناء المتنصرين حديثاً من أبناء هذه المملكة، وأن يسألوا المعلم، وأن يتحروا عن الأطفال وعما يعرفونه والمواد التى يدرسونها، وحيث أن بعض الآباء وبعض الأشخاص قد حاولوا ويحاولون إخراج الأطفال من هذه المدرسة بحيث يذهبون إلى قراهم ويعودون إلى ممارسة دين آبائهم فعلى الممثلين تنبيه الآباء إلى إعادة الأبناء والأمر بأن تقبلهم المدرسة وأن يهتموا بهذه المدرسة حيث أنه قد ارتكبت أخطاء فى الماضى ولم يتم الاستفادة من المدرسة على الوجه الأكمل.

- حيث أن الممثلين الذين عينهم صاحب الجلالة كانوا دائماً من المقيمين فى مدينة فالنسيا ولم يقوموا إطلاقاً بزيارة القرى الموريسكية، مما أدى إلى نتائج سلبية ، فيجب من الآن فصاعداً ألا يكتفى الممثلون بالإقامة فى فالنسيا، بل عليهم أن يذهبوا لزيارة قرى الموريسكيين فى هذه المملكة لأن هذا الإجراء مفيد.

- على الممثلين عند زيارتهم للقرى أن يحملوا معهم نقوداً لتوزيعها على فقراء المنتصرين حديثاً ؛ لأن ذلك سيرغبهم فى اعتناق المسيحية.

- أن يعين الممثلون فى كل قرية يزورونها شخصاً من المسيحيين القدامى إن وُجد، فإن لم يوجد فليكن شخصاً من المنتصرين حديثاً، يقوم على أمر تشييد الكنائس والدخول إليها والخروج منها بالتنسيق مع خادم الكنيسة ، وأن يكون لل اثنين إذن بجمع الصدقات لتشييد الكنائس فى زمن حصاد القمح والعنب وجمع الزيت والحريز، وأن يساعد المنتصرين حديثاً.

- أن يكون للممثلين تصريح من قبل جلالة الملك حتى يتمكنوا من الإذن للمنتصرين حديثاً - ممن ذهبوا إلى بلاد المسلمين - بأن يعودوا إلى مملكة فالنسيا إذا أرادوا أن يعيشوا كمسيحيين، بأن يعودوا دون خوف على حياتهم أو على ممتلكاتهم، وأن تكون للممثلين سلطة الصفح عن الجرائم التى يكون الموريسكيون قد ارتكبوها رغم أى حظر سابق ، على أن يعترف الموريسكيون بما فعلوه؛ وأن يببوا الندم على ما فعلوه فى الماضى.

نعرض فيما يلى أحد التقارير التى أرسلت من مدريد إلى مجلس القساوسة وعلماء اللاهوت المجتمعين فى القصر الملكى فى فالنسيا . يلخص هذا التقرير الخطوات التى تم تنفيذها من أجل تعليم الموريسكيين العقيدة الكاثوليكية، والخطوات التى يجب اتخاذها اعتباراً من الآن للحصول على أفضل النتائج.

بعض الوسائل المفيدة لتنصير موريسكيى فالنسيا (٣)

أولاً : من الضرورى جداً أن يكون من يتصدى لمباشرة عملية التنصير مقتنعاً بإمكانية ذلك (٤) ، لأن عقيدتنا المقدسة قوية جداً وتتحدى برحمة الرب العظيم، وفى كل

الاماكن التى اتبّع فيها هذا المنهج قد حركت قلوب الملّحين والكافرين ، كما يحدث الآن فى أماكن كثيرة وكما حدث فى هذه المملكة مع الموريسكيين الذين استجابوا لوعظ بعض المبشرين المتدينين ، رغم أن هذه الاستجابة قد اختفت سريعاً لعدم اتخاذ الوسائل المناسبة.

إذا قيل إن هذا المنهج قد اتبّع معهم بوسائل كثيرة وطيبة، وإنه رغم ذلك لم يفد، نجيب أن هذا ليس سبباً كافياً لليأس من إمكانية علاج هؤلاء المرضى ، فمن المؤكد أنه لم تتخذ الإجراءات المناسبة ، بل كان العلاج خاطئاً ، فرغم أن المرض كان فى القلب إلا أن العلاج قد وضع فى مكان خارجى آخر، وهذا ما أبطل مفعول العلاج ، بل جعل المرض يستفحل . وهكذا فإن إجبارهم على سماع الوعظ وأمور أخرى لا يُجدى إلا إذا كسبنا قلوبهم، بل على العكس فإن إجبارهم على سماع الوعظ قد أغضبهم أكثر وحملهم على الثورة، وهذا ليس غريباً، فإذا كانوا غير مؤمنين فإن جعلهم يسمعون الوعظ لا يُعتبر طاعة لله، بل هو إهانة خطيرة للدين.

ولكى نفهم ذلك بشكل أفضل وباختصار فإننا سنسرد هنا ما اتبّع مع الموريسكيين. فى عام ١٥٢٥ أمر الإمبراطور كارلوس الخامس طيب الذكر بأن يخرج كل المسلمين من هذه المملكة فى ظرف شهر إذا كانوا لا يريدون التنصر. ولما كان الخروج من المملكة يضرهم أرسلوا اثنى عشر مسلماً إلى صاحب الجلالة للحصول على فترة سماح أخرى متعللين بأن الكثيرين منهم سيتنصرون بشرط ألا تتدخل محكمة التفتيش فى شئونهم لمدة أربعين عاماً، وهذا ما سمح لهم به السيد ألونسو مانريكى أسقف أشبيلية ورئيس محكمة التفتيش ، وعلى ضوء ذلك فقد تم إرسال ممثلين فى زيارات كنسية للقرى الموريسكية.

ولما كان زعماء الموريسكيين قد قالوا إن الموريسكيين جميعاً يريدون التنصر؛ فقد عمدهم بشكل جماعى دون محاولة تعليمهم بشكل فردى ودون معرفة رغبتهم الحقيقية، بحيث أن البعض منهم - كما هو ثابت - قد أقام دعوى أن ماء التعميد لم يمسه لأن القسيس كان ينثره عليهم جماعة. بهذه الطريقة كانوا يتركون الموريسكيين دون قساوسة ودون مبشرين؛ ولهذا ظلوا متمسكين بدين محمد اللعين كما كانوا من قبل.

بعد ذلك فى عام ١٥٢٣ أرسل إلى الموريسكيين ممثلين رسوليين فعمدوا ١٢٢ شخصاً، وأعطوا كل شخص ثلاثين جنيهاً ، لكن الموريسكيين لم يقبلوا وحتى اليوم لم يستلموا النقود. بعد ذلك عقدت جلسات لمناقشة كيفية معالجة هؤلاء الناس التمساء، ولم يحدث أبداً أن تم تنفيذ وسائل للتنصير ؛ وهكذا فإنه بشكل عام لم يتم تعليمهم الإنجيل وفق احتياجاتهم ، بل لم يتم التركيز سوى على إجبارهم على سماع الوعظ، وعلى أمور خارجية، وكانوا يجبرون على ذلك بالسباب، وبتوقيع العقوبات عليهم وبإعدام بعضهم. من هنا نفهم بوضوح أن عدم علاج هؤلاء المرضى حتى الآن لا يمكن تفسيره باستحالة علاجهم بل بخطأ نوع العلاج. وهكذا يتضح أيضاً أن من عليهم القيام بهذه المهمة لم تنته مسؤوليتهم أمام الله بعد، لأنهم لم يتخذوا الوسائل التى أمر الله باتخاذها لعلاج هذا المرض. وحتى لو لم ينتج عن أداء المهمة شئ آخر سوى تبرئة القائمين على المهمة أمام الله لكان من الضروري بذل كل الجهود اللازمة لذلك ؛ لأن سبب وجود هذا المرض يعود إلى عدم اقتناع القائمين على هذه المهمة بهذا الأمر.

يجب أن ننتبه أيضاً إلى أنه برغم أن المهمة ليست مستحيلة إلا أنها صعبة التنفيذ؛ لأن الموريسكيين أشد عناداً من مسلمى البربر ؛ فقد صمموا على انتهاك الحرمات المقدسة وعلى ارتكاب الذنوب المخالفة لعقيدتنا المقدسة؛ ولهذا فمن الضروري اتخاذ وسائل أكثر فعالية من الوسائل التى تم اتخاذها حتى الآن، وعلى كل المسؤولين - صغاراً وكباراً - أن يتحدوا من أجل هذا الهدف وإلا فلن نجنى من أى نشاط سوى إضاعة الوقت.

الوسيلة الأساسية التى حددها ربنا للتنصير هى التبشير بالإنجيل ، وقد أمر بأن يستعمل الناس هذه الطريقة، وهذه هى الطريقة التى استعملها ربنا كما هو ثابت فى إنجيل مرقس. من هنا نفهم بوضوح أن ربنا يريد أن نستخدم هذه الطريقة نفسها الآن لتنصير الناس فى الهند(*) وفى أماكن أخرى. وكذلك يجب البحث عن مبشرين نوى عقيدة قوية، ومن نوى السمعة الطيبة، ومن المخلصين للتبشير، ومن ليس لهم

(*) هى أمريكا الجنوبية وكانت تسمى الهند لاعتقاد كولون أنه وصل إلى الهند (المترجم) .

هدف آخر سوى تنصير الكفار والمذنبين، وأن يعظوهم بحب ورفق وبما يتفق مع احتياجاتهم؛ أى أن يضع المبشر فى اعتباره أن هؤلاء الناس لا يؤمنون بعقيدتنا بل يخالفونها؛ أى أن تكون هناك طريقة خاصة لتنصير الموريسكيين لأن الطرق المتبعة حتى الآن فى الكنائس لم تحقق أية فائدة. سيكون من المفيد كذلك أن يصطحب المبشرون معهم بعض الموريسكيين ممن تعلموا فى مدرسة (فالنسيا). إن وجودهم سيكون ذا فائدة نظراً لإجادتهم اللغة العربية، ولأن الموريسكيين يحبونهم لأنهم من أهلهم، وبما أن هذه الوسائل تتطلب مصروفات فمن الضروري أن يأمر صاحب الجلالة الكنائس بالإتفاق لأنها مجبرة على ذلك.

ومن أجل مقابلة التاس - وهو أمر ضرورى لإتمام هذه المهمة - يجب أن نضع فى الاعتبار أن أسقفية فالنسيا وحدها بها ١٤١٠٠ أربعة عشر ألفاً ومائة موريسكى موزعة على ٣٩٩ قرية منها قرى مجاورة للوديان ، ٤٦ منها يختلط الموريسكيون فيها بالمسيحيين القدامى، وأن هناك ١٨٥ لجنة مخصصة لكل هذه القرى.

من المهم جداً للحصول على فائدة من عمليات التبشير أن تتم العمليات فى وقت واحد حتى لو تطلب ذلك استدعاء مبشرين من ممالك أخرى؛ ذلك لأنه لو تم الأمر بالتدريج فإن المسلمين الذين ينتصرون فى مكان ما سيحاولون - بالدهاء والتخويف - إثناء الناس عن التنصر ، وهذا نعلمه بحكم التجربة. ولأن بعض الموريسكيين - بحكم عملهم فى نقل البضائع - سيمشون بين بنى قومهم لإقناعهم بعدم التنصر فسيكون من المفيد حظر انتقال الموريسكيين من مكان إلى آخر خلال فترة التبشير.

سيكون من المهم كذلك أن تقوم محكمة التفتيش باعتقال الفقهاء قبل بدء عملية التبشير ؛ حتى لا يتسبب هؤلاء فى إحباط العملية، وألا يعتقل أشخاص آخرون خلال عملية التبشير بل أن يكون الجو كله وداً، فإذا أبدى أحد الموريسكيين معارضة شديدة فليُعتقل - ولكن بتهمة أخرى - بحيث لا يُنظر إلى التبشير على أنه شيء بغىض.

ولكى تؤتى عملية التبشير ثمارها فسيكون من الضروري أن يتمتع المبشرون بالصلاحيات الثلاث التالية :

أولاً: أن يكون من حقهم عدم شكوى الموريسكيين إلى محكمة التفتيش إذا شاهدوا أو سمعوا شيئاً ، وأن يعلنوا للعامة أن هدفهم ليس تقديم الشكاوى ضدهم بل معالجة أسباب الشكوى إن أمكن ، وإخلاص أرواحهم، وأن يكون من حق المبشرين التعامل بحرية مع الموريسكيين والرد على أسئلتهم دون أن تقدم ضدهم شكوى ، وأن يتحدث المبشرون مع زعماء الموريسكيين، فى لقاءات خاصة ، وأن يردوا على شبهاتهم ؛ لأنه لو تنصر الزعماء فسيكون من السهل جداً تنصير الباقين.

ثانياً: أن تكون للمبشرين صلاحية الصفح عن كل الذنوب الخاصة بالضمير ، لأننا لو قلنا لمن يريد أن يتنصر إنه يتحتم عليه أن يعرض على محكمة التفتيش لكي يعترف ويبرأ من تهمة الكفر فسيرد بأنه لن يذهب إلى محكمة التفتيش إطلاقاً لأنه يخشاهما، وإذا حكى هذا الشخص ذلك للآخرين قلن يأتى أحد للاعتراف إلا إذا كان للخداع وإخفاء الحقيقة، وهكذا سيكون الموريسكيون مقتنعين بأن العملية مجرد تبشير واعتراف كذريعة لتقديمهم إلى محكمة التفتيش.

ثالثاً: أن يكون من حق المبشرين إعفاء من يتنصر من واجب إبلاغ محكمة التفتيش عن أخطاء الآخرين ضد عقيدتنا المقدسة ؛ لأن القسيس عندما يقول للموريسكى إن عليه واجب الإبلاغ عن أخطاء الموريسكيين فسيخاف ، لأن هؤلاء أهله وأصدقائه ، وسيبلغون أهلهم وأصدقائهم وسيؤدى ذلك إلى بث الرعب لدى الناس؛ لذلك من المهم إعفاء الموريسكيين لبعض الوقت من هذا الواجب. من المناسب كذلك أن يكون بإمكانهم الاعتراف أمام الممثلين دون أن يتعين على الموريسكيين الذهاب بعيداً. إذا لم تُمنح هذه الصلاحيات الثلاث بأمر من البابا أو من رئيس محكمة التفتيش، فمن المؤكد أن أى شخص عاقل لن يذهب للتبشير، وإن ذهب فسيعود محملاً بالأحزان والتحفظات.

سيكون من المناسب أن يُزود المبشرون بكل ما هو ضرورى بحيث لا يتحمل الموريسكيين أية تكاليف ، لأن هؤلاء المساكين إذا رأوا أن هناك من يستغلهم فسيظنون أن عملية التبشير تتم من أجل مصالح خاصة ، ولما كان ذلك عائقاً أمام اعتناق

المسيحية، فسيكون من المفيد تخفيف العقوبات المادية، وعدم بناء كنائس على نفقة الموريسكيين، وألا توجه تركات ذويهم إلى الكنائس أو إلى الأعمال الخيرية، لأنهم يتضررون من ذلك، وأن يتعقل السادة عند فرض الضرائب ، بل يجب أن يحمل المبشرون معهم صدقات لتوزيعها على فقراء الموريسكيين. من الضروري - خاصة إذا تعين على هؤلاء دفع مبالغ مادية كتكفير عن ذنب ارتكبه مخالف للدين - ألا يُسمح لهم بذلك بل أن يُشرح لهم أننا لا نسعى إلى تحصيل أموالهم بل إلى خلاص أرواحهم. إذا فشلنا في ذلك فقد خسرنا كل شيء لأنهم حينئذ سيفهمون أن التنصير يهدف إلى الاستيلاء على أموالهم.

من الضروري كذلك أن يأمر صاحب الجلالة السادة الذين لهم نفوذ لدى الموريسكيين بأن يولوا هذا الأمر اهتماماً شديداً، وأن يتواجدوا في قراهم أثناء فترة التبشير، فإذا لم يتمكنوا من ذلك طيلة الوقت فلينبئوا عنهم أشخاصاً من نوى الورع والقوة، وأن يمنحهم صلاحياتهم، وعلى هؤلاء - بالحب وبتقديم النموذج - أن يحاولوا أن يحضر الجميع الوعظ - خاصة النساء فهن أكثر عناداً - وأن يوقروا من يُبدى دلائل على اعتناق المسيحية، خاصة من يقنعون غيرهم باعتماد المسيحية. ذلك لأننا نخشى ألا يساهم السادة في عمليات التبشير ظناً منهم أن الموريسكيين لو ظلوا على وضعهم الحالي فسيكونون أكثر فائدة لهم. من المناسب أن يفهم السادة أن الموريسكيين سيتم طردهم إن هم لم يتنصروا.

إذا حدث أثناء عملية التبشير إن أبدت قرية بكاملها رغبة في التنصر الجماعي فسيكون من المفيد أن يُطرد من القرية الأشخاص الذين لم يرغبوا في التنصر، وإذا كان الذين يتنصرون قليلين فسيكون من المناسب إقناعهم بلطف بالانتقال إلى مكان آخر يكونون فيه آمنين ويُستقبلون فيه بترحاب ، وسيكون من المناسب لهم جميعاً أن يتقبلوا القربان المقدس لكي تكون لهم القوة المعنوية للصمود أمام إغراءات الشيطان، وإذا حدث أن انتهى الوقت المناسب للتبشير وظل هناك بعض المعاندين فيجب أن يُعاقبوا، أو يطردوا من إسبانيا؛ لأنهم في وقت وجيز سيهدمون كل ما فعله المبشرون في وقت طويل ، ويجب كذلك أن يُنزع من هؤلاء المعاندين أطفالهم الذين لم يبلغوا سن

الرشد، والأولاد الذين بلغوا سن الرشد، ويريدون أن يتنصروا، وإذا ظل بيننا أشخاص مسلمون فيجب التفكير فى الطريقة التى يقدم لهم بها قربان الزواج، وكيف يحضرون الوعظ مع أنهم ملحدون، وكيف يُدفنون فى مدافن المسيحيين، وكيف نترك لهم الأولاد الذين تم تعميدهم والذين هم فى عهدة الكنيسة، مع العلم بأنهم سيحاولون التشويش عليهم وأن هذا الوضع سيؤدى إلى زيادة انتهاك الحرمات المقدسة، وإذا لم يُعالج الوضع فيخشى أن يرسل الله ربنا على إسبانيا عقاباً كبيراً.

ولكى تتم عملية التبشير بشكل جيد ولكى تستمر فائدتها فمن المناسب استعمال وسائل خاصة أخرى: منها تعيين قساوسة من نوى العقيدة القوية والأخلاق القويمة، وهذا لن يحدث إلا إذا نفذنا قرار منح المنتصرين مكافآت، وهو قرار اتخذته قداسة البابا وصدق عليه.

ينبغى تشييد كنائس ولو متواضعة تكون صالحة وبها زخارف ؛ لأن وضع الكنائس حالياً يدعو إلى فقد العقيدة لمن هو غير راسخ فيها بدلاً من اكتساب العقيدة لمن هو فاقدها؛ ولذلك يلزم تخصيص ثلاثين ألف بوقية وافق عليها قداسة البابا وصاحب الجلالة لهذا الغرض. كما يجب أن يكون فى كل كنيسة ومدفن مقبرة أو مقبرتين لدفن موتاهم، وهكذا تنتهى الشعائر اللعينة التى يؤديها الموريسكيون عند دفن الموتى. يجب زيادة دخل المدرسة الموجودة هنا لتعليم أبناء الموريسكيين، وتشييد مدارس أخرى فى أسقفيات أخرى، وأن يُعهد بها إلى اليسوعيين ، فهم سيديرونها بلباقة وحب بحيث تعود بالفائدة على مدارسهم فيما بعد. كما يجب أن يقيم فى كل قرية بعض الأسر المسيحية القديمة يكون من بين أفرادها معلم يعلم الأطفال القراءة ومعلمة تعلم البنات الأعمال المنزلية، ويقوم هؤلاء بتعليم العقيدة الكاثوليكية بعد ذلك. ينبغى أن يستفيد السادة والمسيحيون القدامى من أبناء المنتصرين حديثاً، وأن يعاملوهم بلطف وأن يختاروا من بينهم خدماً للكنيسة.

لكى يتم تنفيذ كل ذلك فمن الضرورى بعد إتمام عملية التبشير تعيين عدد من الزائرين يتجولون فى القرى الموريسكية، ويسجلون أمام كاتب شرعى بيوت المنتصرين

حديثاً وأسماء الأشخاص الذين يقيمون فيها، وأن يسألوا كل شخص عن أمور العقيدة، لا عن الصلوات فحسب. يجب أن يعهدوا أمر من لا يعرفون إلى القسيس فيكتبون له قائمة بهم، ويحتفظون هم بنسخة من القائمة. يجب أن يقوموا بزيارة بيوتهم، وأن يضعوا لهم تماثيل فيها، وأن يعطوهم صدقات، وأن يجمعوهم في الكنيسة لتعليمهم مبادئ العقيدة المقدسة. يجب أن يعود الزائرون بعد ذلك لسؤال القسيس عن تطور عملية التعليم. يجب أن يقوم الزائرون والقساوسة بإزالة أى أثر للمساجد بحيث لا يبقى لها ذكر، وكذلك الحمامات في البيوت ومحال الجزارة الخاصة بالمسلمين إن كانت لا تزال موجودة، وإزالة أى شئ قد يؤدي إلى قيام الموريسكيين بأداء شعائرهم الضالة.

يجب أن يكون هناك حُجَاب من بين المسيحيين القدامى لهم سلطات أوسع من السلطات التي يتمتعون بها حالياً. يجب أن يكونوا معروفين لدى محكمة التفتيش، وأن يقوموا - مع القساوسة - بتسجيل أسماء الأطفال الذين يتم تعميدهم، وأن يفحصوهم بين الحين والآخر لأن كل الأطفال تقريباً في الوقت الحاضر قد أجريت لهم عملية الختان. وفي شهر رمضان يجب أن يدخل الحجاب والقساوسة فجأة ساعة الغداء فإذا لاحظوا أن أهل البيت يصومون فعليهم إبلاغ محكمة التفتيش. يجب أن يكون الحجاب مفوضين من قبل المحكمة لتنفيذ ما يرى القساوسة أنه ضروري لمصلحة المنتصرين حديثاً.

وبما أن البعض قد يتهاون في القيام بالأعمال التي يؤمر بها فمن الضروري تواجد مبعوث رسولى يخصص له راتب - بمعرفة الأسقفيات - يراقب ما يمكنه مراقبته ويستعلم عما لا يعرفه، ويحاول معالجة الأخطاء بإخلاص وحمية دينية، ويحاول تنفيذ كل ما سبق.

سيكون من المفيد كذلك الاطلاع على بعض التعليمات التي أصدرها في هذا الشأن بعض القساوسة الذين اجتمعوا منذ سنوات هنا وفي أماكن أخرى ، واستطلاع رأى الذين يتعاملون مع موريسكيين ، فلا بد أنهم يعلمون الكثير عن هذا الأمر رغم أن التعليمات السابقة لو نفذت بغيره دينية وتقوى لوهبنا الرب أضواء جديدة في هذا

الشان، كما أن التجربة نفسها ستساعد. ندعو أن يجعل الرب كل شيء يسير بحيث يؤدي إلى خلاص نفوس هؤلاء التعساء، ويؤدي إلى حلول الأمن في إسبانيا. آمين.

المذكرة التي قدمها الراهب نيكولاس ديل ريو إلى فيليبس الثالث والمؤرخة في فالنسيا في ١٣ يونيو عام ١٦٠٦ بشأن تعليم الموريسكيين العقيدة الكاثوليكية وتصرفاتهم مع محكمة التفتيش^(٥)

مذكرة

سيدى التقى :

فى مرات كثيرة ومتعددة ، لما رأى الملوك الكاثوليك وسادتنا كارلوس الخامس وفيليبى الثانى طيب الذكر - بغيرتهم على الدين وبقلبهم المسيحى، يحركهم نشر عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة وديننا المسيحى - لما رأوا بوضوح عناد المنتصرين حديثاً فى مملكة فالنسيا هذه وفى أراغون وقطالونيا ومرسيه، وأنهم متمسكون بعقيدتهم السيئة، فقد حاولوا علاج الأمر، ومن أجل ذلك عُقدت اجتماعات عديدة ، خاصة ذلك الاجتماع الذى دعا إليه صاحب الجلالة فى مدريد عام ١٥٦٤ . ورغم أن هذه الاجتماعات قد تمخض عنها صدور قرارات تهدف إلى تعليم الموريسكيين العقيدة المسيحية، وتزويدهم بمن يعلمهم، إلا أننا رأينا أن ذلك كله لم يكن له أثر كبير لأنهم فى الحقيقة يعيشون الآن متمسكين بعقيدتهم السيئة علانية، ويسخرون من مقدسات الكنيسة كما يتمسك المسيحيون بعقيدتهم الكاثوليكية المقدسة. إن حياتهم السيئة وصلت إلى حد أنهم لهم مساجد مليئة فى القرى يذهبون إليها - كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً - لممارسة شعائهم، وأساءوا شئاً وأشد إيلاماً للنفس هو أن قدامى المسيحيين والمسيحيات يذهبون إلى هذه المساجد ويشوش الموريسكيون على أفكارهم فيتحولون إلى الإسلام ، وهناك حالات كثيرة من هذا النوع أمام محكمة التفتيش. إن

الموريسكيين يقومون بذلك بمهارة لدرجة أن من يعلمون بهذا الأمر لا يستطيعون البوح به إلا بدموع حارة، ولما كان مندوبو محكمة التفتيش يعلمون ذلك ويرونه بأعينهم، ولما كنت أريد طاعة الرب وجلالة الملك ومصلحة المسيحية فقد تجرأت على كتابة هذه المذكرة لكي تتفضلوا سموكم بالاطلاع عليها ومعالجة هذا الأمر وإلا أكون قد برأت ساحتي ولهذا أقول ما يلي:

رغم أن هذه الاجتماعات تمخض عنها اتخاذ قرار بإمدادهم بالمعلمين لوضوح أهمية ذلك، ولأن الموريسكيين أنفسهم كانوا يقولون إنهم ليس معهم من يعلمهم ، وهذا لا يجب أن يصدقه أحد لأنهم لو كانت لديهم الرغبة في الإيمان بالرب فلديهم خدم للكنيسة في كل مكان، ولأن أكثر الناس دراية بأمور عقيدتنا المقدسة هم الفقهاء وهم الذين يساندون المسلمين، ولو أننا زدناهم بمعلمين فقد رأينا أن ذلك لم تكن له فائدة ، وهكذا نرى عناد الموريسكيين، فرغم حصولهم على قرارات لصالحهم إلا أن عدد من أرادوا التنصر والاستفادة من المنح لم يزد على ستة أفراد ، بل وقد لوحظ أن هؤلاء الأفراد كانوا يعودون إلى الإسلام كما أتوا منه ، كما لوحظ أن اعترافاتهم كانت مزيفة، فكانوا لو اعترفوا بممارسة شعيرة يخفون ممارستها لشعائر أخرى كثيرة وإذا اعترفوا على أنفسهم كانوا يخفون ممارسة النساء والأبناء والأقارب والجيران لنفس الشعائر. من كل هذا يتضح أن السبب يكمن في عناد الموريسكيين وليس في عدم وجود معلم معهم. أستطيع أنؤكد لسموكم أنني في خلال الثمانية والعشرين عاماً التي قضيتها في العمل لم أر شخصاً (موريسكياً) واحداً يمكن أن أثق فيه.

هناك في محكمة التفتيش طرق عديدة لتحديد الأسباب وخطوات العلاج ؛ من هذه الطرق أن يأتي بعض الأشخاص ممن يخشون أن يُتهموا، ويعترفون اعترافاً مزيفاً، فإذا اعترفوا بالصيام لا يعترفون بممارسة شعائر أخرى، ولا يتحدثون عن أسرهم ولا عن أي شخص آخر. يتم التصالح مع هؤلاء الذين يعترفون ثم يعودون إلى بيوتهم مسلمين كما كانوا من قبل.

وهناك أشخاص آخرون يتم إلقاء القبض عليهم ولا يوجد سوى شاهد واحد، فيخضعون لعملية تعذيب ثم تسقط القضية. هؤلاء يعودون إلى قراهم ويخبرون الآخرين

أنه حتى لو ألقى القبض عليهم فلا يجب أن يعترفوا ، فمن الأفضل تحمل ساعة من التعذيب خير من السجن إن هم اعترفوا .

وهناك أشخاص آخرون يشهد عليهم أربعة أو خمسة شهود ويتعرضون للتعذيب ثم يودعون في السجن لمدة ثلاث أو أربع سنوات، بعد ذلك يعودون إلى بيوتهم ويعتبرهم الناس أبطالاً ورموزاً^(٦) . وهناك أشخاص يقدمون اعترافات ناقصة ويتم التصالح معهم ويودعون في السجن الدائم ويعيشون في السجن بشكل أسوأ مما يعيشون في بيوتهم، لكن أشخاصاً آخرين من المقتنعين بالإسلام يهونون الأمر عليهم قائلين إن من يُعاقبون لأنهم مصممون على الإنكار قليلون. وهكذا يضيق منهم الخوف واحترام الله ومحكمة التفتيش. ولكي يوجد هذا الخوف ولا يُهان الرب على مرأى من الكاثوليك فسيكون من المناسب الاستماع إلى شهادة أشخاص متدينين وذوى مصداقية مثل أعضاء محكمة التفتيش، والكتبة الذين يعملون لدى محكمة التفتيش، أما في القرى التي يسكنها الموريسكيون فيمكن الاستماع إلى شهادات وجهاء ومثقفين يعرفون الموريسكيين ، وعلى هؤلاء الوجهاء إبداء رأيهم في تدين الموريسكيين وحسن سلوكهم.

يمكن لأعضاء محكمة التفتيش اختيار ثلاث أو أربع شهادات ، فلديهم علم بكل الشهادات، وكل شيء يوجد شاهد واحد عليه. يجب جمع هذه الشهادات وبناءً عليها يجب أن يُعذب المتهم ، لأنهم لا يعترفون على أنفسهم كما يفعل الآخرون. يجب أن يُودع كل منهم السجن وقتاً مناسباً، وأن يأمر صاحب الجلالة قادته بإطلاق سراحهم عندما يطيعون الأوامر، وأن يُطرد البعض خارج المملكة لأن أقسى عقوبة لهم في الحقيقة هي طردهم من أرضهم وديارهم.

يجب أن يكون هناك سجن دائم للنساء والضعفاء لا يخرجون منه أبداً لأي سبب إلا بأمر سموكم... ويجب على كل من يخرج من السجن السرية إذا كان غنياً دفع غرامة قيِّمة لكي نبني في السجن كنيسة يلقي فيها الوعظ ولتعيين معلم ذى خبرة وحسن خلق لتعليم الناس ومراقبة نشاط الجميع ، ويجب تعيين عمدة للقرية من بين من تثق فيهم ، وأن يتقاضى الجميع مرتبات يدفعها الموريسكيون.

إذا رأيتم بناء السجن وشراء بيوت مملوكة لمحكمة التفتيش - وهي رخيصة لأنها موجودة في أفقر أراضى فالنسيا وبها أفنية وهي مجاورة لمحكمة التفتيش - فليكن بالسجن قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء.

يمكن أن يُشيد هذا السجن دون أن تتحمل محكمة التفتيش شيئاً لأنه في الوقت الحالي هناك رجال ونساء من نوى الثروة يمكن أن تعرض عليهم غرامات تزيد على ألفى بوقية سيدفعونها عن طيب خاطر حتى لا يودعوا السجن أو يُطردوا ، ويمكن إلقاء القبض كل يوم على أشخاص آخرين.

إذا قال الموريسكيون إنه لا يمكن فرض عقوبات عليهم بناء على اتفاقهم مع محكمة التفتيش فهذا الاتفاق ضارٌّ لأنه يؤدي إلى أن يعيشوا بشكل سيء كما يعيشون الآن. إن تقسيم محكمة التفتيش به ٢٤٢٦١ بيت يعيش فيها ٩٨٩٠٨ شخص (هذا إحصاء السيد/ فيليبى دى تاسيس ممثل محكمة التفتيش عام ١٥٩٤) .

هذه البيوت تدفع كل عام ضرائب قدرها خمسين ألف راتب أى ٢٦٣٠٠ ريال تقريباً ، ورغم أن القرى التى لا تدخل فى الاتفاقية قليلة جداً ، ورغم أن الضرائب التى يدفعها كل بيت لا تتجاوز ريالاً ونصف ريال تكون الأسرة بمقتضاها أمنة من نزع ملكيتها وتستطيع العيش بحرية وتمارس شعائرها الإسلامية علانيةً، فحتى لو حصلت غرامات لبناء السجن فهذا لن يمثل شيئاً ، خاصة إذا كان البيت ملكهم.

سيكون من المفيد جداً تحصيل ما يدفعه المحكوم عليهم بالسجن ثم الطرد مقابل إطلاق سراحهم.

يجب أن يراعى خادم الكنيسة أن يعيش المعاقبون بشكل مسيحي وأن ينبه على الذين لم يعترفوا بعد لكى يعترفوا، لأنهم لو اعترفوا بذنوبهم وأرشدوا عن إخوانهم فستستعمل سموك معهم الرأفة وسنخرج بعضهم من السجن لتشجيعهم. هكذا سيتقدم الكثيرون للاعتراف وسيكون ذلك مفيداً جداً وسيقتصر الكثيرون ممن لم يجد معهم التعنيف، وممن يأملون فى تفضل سموكم ومنحهم الحرية، وسيعتقون عقيدة ربنا .

من الواضح أن الموريسكيين لا يخشون شيئاً إلا الخروج من أرضهم وديارهم ، فلو هُددوا بذلك فسيؤدى التهديد إلى أن يعيشوا خائفين ومتدينين. ورغم أن ذلك لا يبدو أنه يمثل علاجاً وعقاباً لمن يستحقون العقاب ، إلا أنه علاج مناسب لحين وجود علاج أنسب.

أهم إجراء ينبغي اتباعه مع الموريسكيين هو انتزاع الفقهاء والفقهاء منهم ، وهم موجودون بكثرة، وكذلك القابلات ، لأن هؤلاء جميعاً هم الذين يشجعون المسلمين ، وانتزاع الكتب والأوراق العربية منهم حتى لو كانت خاصة بالطب. وأن تعين محكمة التفتيش حجاباً يتمتعون بسلطات أعضاء المحكمة.

يبدو أن محكمة التفتيش عاجزة عن إلقاء القبض على الفقهاء فى الواقع لأن الحاجب عندما يذهب إلى أى قرية لإلقاء القبض على فقيه فإن القرية يكون لديها علم فينتقل الفقيه من قرية إلى أخرى ، ونظراً للمعاملة الطيبة التى يتبادلونها بينهم فإن القرية الجديدة تخفى الفقيه بحيث تعجز محكمة التفتيش عن إلقاء القبض عليه ، ومن المؤكد أننا لو ألقينا القبض على الفقهاء فسيكون أمر تنصير الموريسكيين سهلاً.

يوجد فى دائرة محكمة التفتيش هذه قرية اسمها شيا لا يعيش بها مسيحي واحد. لها بابان يغلقان عليها وبها مرتفعات يستخدمونها للمراقبة ، والبيوت ينفذ بعضها إلى بعض ، ورغم وجود شهود كثيرين فليس من الممكن إلقاء القبض على أحد ولا يجرؤ عضو محكمة التفتيش على الدخول إلى القرية ولو دخل فسوف يقتلونه. إن سكان القرية على درجة من العناد، حتى أن حاجباً من طرويل معه أمر من محكمة التفتيش أفلت منهم بأعجوبة بعد أن أصابوه بجروح بالغة. وإذا ألقى القبض على أحد من القرية فذلك لأنهم يلقون القبض عليه وهو فى طرويل أو فى البرازين. وهذه هى الصعوبة فى إلقاء القبض على الفقهاء فى قرى المسلمين.

إن أسوأ شئ يجب أن تتفضل سموكم بعلاجه هو أن محكمة التفتيش لديها علم بأنه لا أريد إلقاء القبض على بعض الفقهاء والموريسكيين الآخرين هدد سادة القرى أعضاء المحكمة بأنهم لو ألقوا القبض عليهم فإن رعاياهم سيقتلونهم، فهذا ما يفعله

الموريسكيون، والشئ الواضح والحقيقى هو أنه لو أن أحداً أخبر عنهم محكمة التفتيش فإنهم يقتلونه بعد ذلك بأيام قليلة ، وقد حدث فى عيد القديسة لوثيا الماضى أن قتلوا معلم سوت ، ومنذ سنوات قليلة قتلوا شخصاً من كوفرينتيس، وقبل ذلك قتلوا أشخاصاً فى غانديا وأوندا وفى أماكن أخرى لدرجة أن أحداً لا يجرؤ على الحضور للشهادة أمام محكمة التفتيش ، وهكذا يكون من الصعب إلقاء القبض على المتهمين إذا كانوا من الفقهاء.

ولكى تستطيع محكمة التفتيش القيام بمهامها المقدسة والضرورية فسيكون من المفيد أن تفضلوا سموكم بمعالجة الأمر فى قرية شيا المذكورة؛ وذلك بمراعاة أنه إذا تم إرسال أعضاء محكمة التفتيش والحجاب لإلقاء القبض على شخص ما ولم يمكن إلقاء القبض عليه أن يتم التنبيه على رجال القانون ومسئول الجماعة بضرورة تسليم المتهم وإلا توقع عليهم غرامة قدرها مائتا بوقية، أو العقوبة التى ترونها ، على أن يتم تنفيذ العقوبة بصرامة ، وعلى أن يكون من حقهم تحصيل الغرامة من الشخص الذى كان مطلوباً، وأن يُنفذ هذا الإجراء مع الموريسكيين حتى لو كانوا من الفقهاء.

كل من لا يمثل أمام محكمة التفتيش - سواء من قرية شيا أو من القرى الأخرى، خاصة الفقهاء والفقهاء - يجب أن يقوم أعضاء محكمة التفتيش بمحاكمتهم غيابياً، ويعاقب من تشملهم الاتفاقية بغرامات تحصل لصالح سجن الرأفة ، أما من لا تشملهم الاتفاقية فتكون عقوبتهم مصادرة ممتلكاتهم، وأن تُنفذ العقوبة بشكل صارم ، لأنهم إذا علموا بأمر البحث عنهم فإنهم يتغيّبون ويختبئون فى منازل مجاورة، بل فى منازلهم دون أن يعاقبوا ، وهذا شئ لا بد من تجنبه.

إذا وافقتم على طلبنا ألا تتم محاكمة الموريسكيين أمام محكمة تفتيش فالنسيا بشكل علنى، بل إذا كانت هناك عشرة قضايا أو اثنتا عشرة قضية يتم الحكم فيها داخل الكنيسة، فإن ذلك يسهل الأمور كثيراً ويوفر النفقات التى يتكلفتها عقد المحكمة بالخارج.

رغم أنكم قد ترون أن طريقة السجن هذه شائكة إلا أنها فى الحقيقة ليست كذلك، بل هى سهلة ، لأن محكمة التفتيش هذه بها الآن ستمائة سجين منهم مائة وخمسون فقيهاً وفقية من المشهورين . ورغم أن بعضهم لم يشهد عليه إلا شاهد واحد إلا أن هذه الشهادة معتمدة ، فإذا ألقينا القبض على الكثيرين فإنهم سيعترفون وسيشردون عن آخرين. والآن يوجد من بين السجناء نفر من الأثرياء يريدون تجنب مصادرة ثرواتهم إن هم أودعوا السجن العادى أو إذا تم نفيهم... هؤلاء لن يرفضوا دفع الغرامات.

فى الحقيقة فإن سجن الرأفة التابع لمحكمة التفتيش هذه يحتاج إلى النظر فيه بشكل ضرورى، لأن الأشخاص الذين يودعون فيه يعيشون فيه بنفس الحرية التى يجدونها فى بيوتهم ويمارسون شعائهم، لأنهم لا يجدون من يمنعهم من ذلك ولأنهم جميعاً مسلمون ، أما النساء اللاتى يودعن فى هذا السجن فيفقدون شرفهن وتتحول بعضهن إلى بغايا ، ولذلك فإننا لا نجرؤ على إيداع النساء السجن.

ها أنا قد تجرأت على طرح ذلك أمامكم وإعلامكم بمدى الحرية التى يعيش فيها هؤلاء المسلمون ، ولا يقتصر الأذى الذى يسببونه على إقناع كثير من المسيحيين القدامى باتباع دينهم السيئ. أسأل الرب ألا يكون من يتعاملون معهم من النبلاء ، لأن المصلحة الخاصة والرذيلة يؤثران كثيراً.

الراهب نيكولاس ديل ريو.

الهوامش

- (١) انظر كتاب برونات Los moriscos espanoles ، الجزء الأول ص. ٤٢٥ - ٩٢٥ . حول تعليم المورييسكيين العقيدة الكاثوليكية راجع كتاب مارتين دى أياالا .
- (٢) كان سادة أراغون وفالنسيا يحمون رعاياهم المورييسكيين مما سبب لهم مشاكل عديدة مع الحكومة المركزية ومع محكمة التفتيش
- (٣) . Boronat: Los moriscos espanoles....t. II, p. 493 - 99 .
- (٤) لاحظ البداية الغريبة للنص. كان المسيحيون القدامى على وعى بفشلهم فى عملية تنصير المورييسكيين.
- (٥) Boronat: Los moriscos espanoles....t. II, pp. 444 - 49 .
- (٦) كانت العلامة التى يجبر المورييسكيون على وضعها مثار فخر لهم ، فهى تعنى ثباتهم على دينهم الإسلامى .

قضية السيد/ سانشو دي كاردونا

نسخة من القضية التي نظرتها محكمة التفتيش في فالنسيا ضد السيد/ سانشو دي كاردونا أدميرال أراغون المتهم بحماية المورييسكيين وإيقائهم على دينهم الإسلامي^(١).

تبدأ هذه القضية الشهيرة بنقل شهادات قديمة كانت لدى محكمة التفتيش ضد أدميرال أراغون السيد سانشو دي كاردونا. كان الشاهد الأول هو السيد/ لويس مانريسا الذي أكد في ١٤ أغسطس ١٥٤٠ أن السيد/ خوان دي كاردونا شقيق الأدميرال تحدث معه لكي ينفي ما كان قد اعترف به، وذكر أنه قد استجاب له، رُفِي السابع والعشرين من شهر مارس عام ١٥٤٠ أحضر من السجن وأدلى بشهادته من جديد. رأى السادة أعضاء المجلس في ٩ سبتمبر ١٥٤٠ أنه يجب أن يعدل عن شهادته. وفي رسالة أخرى بتاريخ ٢٥ نوفمبر قالوا: اطلعنا على شهادات كل من السيد/ فيرناندو دي إبخار والقاضي ميديس حول ما حدث في البلدية وما نتج عنه ضد الأدميرال ، وسيكون من المناسب أن نضيف هذا إلى ما ذكره مانريسا وأن نحفظ هذه المعلومات إلى أن يحين وقت الحاجة إليها، من المهم جمع كل المعلومات الممكنة حول هذا الموضوع ضد أي شخص ، وذلك لرفع دعوى ضده في الوقت المناسب ، وإذا كان ميديس أو الأدميرال أو أي شخص آخر قد قال إنكم يا دكتور أورتيث قد حصلتم على معلومات من هذا المجلس ضد زميلنا ، فهذه المعلومات غير صحيحة؛ ولذلك فلدينا أسباب للشك فيها.

نفى ميغيل دي ميديس أنه أدلى بأقوال أمام خوان غونثاليث عضو محكمة التفتيش تتعلق بالأدميرال. إن غونثاليث نفسه هو مصدر هذه المعلومات.

(١) Apud Boronat: Los moriscos españoles.....,pp. 443 - 469

وقد أعلن ميغيل ثاراغوئا فى ٦ مارس ١٥٤٢ أنه يقوم بتعليم المنتصرين حديثاً فى بال دى ألكالا منذ ست سنوات وحتى الآن، وأن هناك قريتين مجاورتين لبال دى ألكالا تتبعان الأدميرال، وفى الوقت الذى كان فيه سكانهما مسلمين كان الناس يؤدون الصلاة فى مسجد بال دى ألكالا ، وبعد أن عُنِ الشاهد كمعلم حاول جلب الناس لحضور الوعظ مثل غيرهم من سكان بال دى ألكالا ، كما سعى إلى أن يعمدوا أطفالهم. ولما كان الشاهد يضغط عليهم لتعميد أطفالهم فقد لجأوا إلى الأدميرال وطلبوا منه أن يتفضل بمخاطبة النائب العام لكى يوافق على ذهابهم إلى بال دى سيتا لسماع الوعظ ولتعميد الأطفال؛ وهو مكان بعيد عن القريتين، وليس به خدَم كنيسة ولا يعمدون فيها أحداً، ولا يلقون فيها وعظاً ، وقد وصلت إليه هذه المعلومات لأن كاتباً شرعياً من بناغيلا يدعى فينويار أخبره بكتاب من النائب العام يأمر فيه بالاً بتدخل أحد فى شئون القريتين، وأنه منذ بضع سنوات حتى الآن وُلد فى القريتين أطفال ويعلم أنهم لم يُعمدوا ، ولما أراد أن يستعلم عن الموريسكيين فى بال دى سيتا قالوا له إنه منذ سنوات لا يدخلها قسيس ولا يعمد فيها أطفال، وأضاف أن كل المنتصرين حديثاً فى هذه المملكة والمسلمين والعرب الذين يأتون من الجزائر يصلون أولاً إلى بال دى سيتا لدى السيد/ رودريغو دى بيامونتى للاسترشاد فيرشدهم المدعو رودريغو ، وهكذا يصلون إلى هنا ثم يتوجهون إلى بالوب حيث يرشدهم السيد/ غاسبار سانس ومن بالوب يبحرون، وهذا عرفه الشاهد لأنه عاش فى بال دى ألكالا التى يصلون منها إلى بال دى سيتا ورأى أكثر من ألف شخص يمرون من خلالها إلى بال دى سيتا ورأى أشخاصاً يصلون من بال دى سيتا وغواداليت إلى بلانيس لكى يرافقوا بعض موريسكيي قرية مارغاليدا (التابعة لبال دى بلانيس) وقد رآهم الشاهد يذهبون إلى بلانيس ويعودون برفقة أهل القرية وهم يحملون الأسلحة . وقد رأى الشاهد كذلك تصريحاً وقعه السيد/ رودريغو دى بيامونتى فى حوزة موريسكى من أوليبا سافر إلى الجزائر. إن كل الموريسكيين الذين يتحدثون يقولون إنه أمرٌ معلوم تماماً فى هذه الناحية أن كل من يسافرون يرشدهم السيد/ رودريغو دى بيامونتى أو السيد/ غاسبار سانس وبعد ذلك يستقلون قوارب فى الليل من هناك حتى سيفغوربى طبقاً لما سمعه من الموريسكيين أنفسهم ، فهم يقولون إن القوارب تضىء البحر ليلاً

وإن النار ترد على موقع فى جبل غواداليت يُسمى أيتانا ، وهذا الجبل تنبعث منه نار زُداً على نار تنبعث من سيتا ويلانيس، ومن هذا الجبل إلى أماكن أخرى حتى سيغوربي. يقول التصريح « أنا/ رودريغو دى بيامونتى نائب عام بال دى سيتا وغواداليت - بناء على أوامر سيدى الأدميرال - أمر بعبوركم بصحبة الزوجة والأبناء والملابس منطقة بال دى سيتا وغواداليت لكى تأتوا للعيش فيها... » ، وهكذا يصلون ويستقرون إلى أن يجنوا فرصة لركوب السفن والمغادرة، وهذا ما يحدث يومياً بحيث لا يبقى أحد يعيش فى هذه الناحية . وأنهى الشاهد حديثه قائلاً: إن هذه السفن تحصل مبلغ بوقية واحدة أو اثنتين أو ثلاثة حسب شخصية الراكب. وذكر الشاهد أنه قسيس من ألكالا.

فى ١٧ يولييه عام ١٥٤٤ أدلى بالشهادة الراهب بارتولوس دى لوس أنخيليس، مبشر ومترجم وموفد إلى المتصرين حديثاً ، فقال إنه لدى وصوله إلى غورغا ، وهى بلدة الأدميرال كارديونا ، للتعديد ولزيارة المورييسكيين تحدث مع السيد رودريغو دى بيامونتى، وأفهمه أنه سيقوم بالتعميد فى الناحية فأرسلوا إلى المورييسكيين فى مليانة ، وقد أخبرته ليكون شاهداً على التعديد والتبشير ، وبينما كنت أسير برفقة ابن السيد رودريغو ويدعى السيد/ بدرو قالوا له إنهم مشمنزون من مجيئه ، وبعد أن أطلعهم على القرارات التى كان يحملها قالوا له إنهم يرغبون فى حضور الأدميرال ، وقد أرسل الشاهد رفيقيه لكى يخبر أسقف سيغوبيا . وقد حدث مع الأدميرال أنه لما كان الشاهد فى قرية تابعة لكوتثينتاينا اسمها مورو جاء شخص يدعى فينويار خادم الأدميرال قال له إنه جاء لكى يمنع التعديد والتبشير . ولما سئل عن السبب أجاب: لأنهم يظنون أنكم ما جئتم إلا لتعميدهم وذبحهم، فإذا عمدوهم الآن فسيغادرون المكان، وسيفقد الأدميرال دخله وسيفقد صاحب الجلالة أحد كبار رعيته كما سيفقد خمسين فارساً وخمسين مقاتلاً راجلاً كان سيقدمها إليه سيدى عند الطلب، وقال الشاهد إن عليه إتمام عملية التعديد حتى لو انهار العالم ، وهكذا انصرف وذهب إلى التبشير. أخبره مويان بلقائه مع الأسقف ، ولما سأل ميغيل فينويار لماذا لا يذهبون للتعديد فى بالوب فقد ساروا إلى هناك ، وفى الطريق التقوا بمورييسكى من القرية وافق على التعديد . وهكذا وصلوا إلى القرية وعمدوا أهلها جميعاً وعادوا إلى مكانهم وقال فينويار للشاهد

«يا سيدى لقد عُمدنا» . طلب منه قائمةً بأسماء المعمدين ونظر فيها وحملها معه . وسار نحو قرية بال فوجد مائة وثمانين شخصاً لم يُعمدوا، ورافقه السيد/ بدرو دى بيامونتى وقال له : « لقد قال هذا إنكم لن تأتوا إلى هنا مرة أخرى ولكى لا تدخلوا إلى هنا فقد جمع من القرية مبلغ ٢٨٠٠ دوقية ، ولما رفضوا الدفع فى البداية قال لهم: ادفعوا ، ادفعوا فقد طردت لكم الراهب من هنا، ولن تتعرضوا لمحكمة التفتيش ولن يأتى إلى هنا راهب آخر ولا أدميرال آخر لكن افعلوا لى لكى أحرركم، ولكى تعيشوا كما تحبون» . وقال لهم الشاهد فى أول موعظة ألقاها فى مليانة مساء يوم أحد « قال لكم ميغيل فينويار إننى لن أتى ولن أجرؤ على الدخول، هاأنتم تروننى هنا، حيث جئت بفضل الله، قولوا له يأتى لكى يمنعنى فأنا لا أخشى الأدميرال، ولا أخشى أى شخص آخر إلا الله، وحتى لو أمر الإمبراطور بالآ أبشر فلن أترك التبشير». فى تلك الليلة بقى الشاهد للمبيت فى بال دى سيتا وقال السيد/ بدرو « حتى الآن كان الشيطان ينام على هذا السرير، والآن ينام الملك » . قال ذلك لأن فينويار هو الذى كان ينام قبل ذلك ثم نام الشاهد.

هذه الشهادة أكدها خادمه خوان دى ميراندا وعمره تسعة عشر عاماً.

وأكد غابرييل مونيوت فى ١٢ مارس عام ١٥٦٣ - كخادم لأدميرال أراغون - أن الأدميرال لم يعترف منذ عشرين عاماً ، وأنه عندما كان يحين الأسبوع المقدس كان يذهب إلى مكان اسمه بيتشى، وكان يعود ليلة العيد.

وأعلن ميغيل خوان دى توريس أنه فى بال دى غواداليت وفى القرى الأخرى المجاورة يعيش المنتصرون حديثاً كمسلمين، وأنه كان لهم مسجد فى مكان ما فى بال دى غواداليت اسمه أدثانيتا . وكانوا يذهبون إليه لأداء الشعائر الإسلامية.

وأكد أنطونيو خوان أثنار - قسيس وراعى بال دى سيتا - أن كل الموريسكيين المقيمين فى دائرته يعيشون كمسلمين ، وأن مسجد أدثانيتا قد أُعيد بناؤه بأمر من الأدميرال. وكان الشاهد قد رسم عدة صلبان فى المسجد، وعلى إثر ذلك كانت له حوارات مع الأدميرال. وأضاف أن المسلمين فى هذه القرى يمارسون شعائرهم بثقة لا مثيل لها فى هذه المملكة، ويقيمون احتفالاتهم، ويوقرون أعيادهم علانية، وكلهم - كباراً وصغاراً - مختتنون ويؤدون شعائر المسلمين دون خوف.

وأكد فيرناندو دى أوردونيا خادم الأدميرال أن هذا الأخير قد أصدر أمراً بإعادة بناء مسجد ادثانيتا، كما أكد أن الموريسكيين فى هذه القرى يعيشون كمسلمين ويؤدون شعائر المسلمين .

أما فرانتيسكو بيريث دى تيران - كاتب بيتشى الشرعى - فلم ير الأدميرال يعترف، ويضيف أن موريسكى بيتشى يعيشون كمسلمى الجزائر.

ويؤكد بدرو سانشو - وهو كاتب كنسى - أن الأدميرال لا يعترف منذ سنوات بل إنه لم يعترف طوال حياته.

وقال ميغيل دى براديس إنه عندما اعتقلت محكمة التفتيش بعض الفقهاء وأحرقتهم ابتعد الموريسكيون عن بعضهم البعض، ولم يكونوا يجتمعون أبداً كما كان يحدث فى السابق، وكانوا أذلاء، وعندما سافر بعض الأعيان إلى العاصمة لرفع المعاناة عنهم نشطوا وعادوا للاجتماع كما كانوا يفعلون من قبل. إن هذه الحماية كان وراءها كل من الأدميرال والسيد / خايمى ثينتياس والسيد / فرانتيسكو دى بورخا وبوق سيغوربى الذى يثق فيه الموريسكيون جداً.

وأكد خوان خوست - وهو قسيس من بلدة بيا إيرموسا - قضية إعادة بناء المسجد، وأن بعض الموريسكيين من سيغوربى كانوا يذهبون للسهر فى المسجد.

ويصف فرانتيسكو أنطونيو - وهو من مدينة الجزائر - الشعائر التى كان الموريسكيون يؤدونها، وكيف كانوا يعلمون أبنائهم.

واعترف فرانتيسكو ريباس ، وهو تونسى متنصر حديثاً، ومن بلدة بناغواثيل ، بأنه عندما ذهب إلى غواداليت أدبى الشعائر الموريسكية، وصلى صلاة الحمد فى المسجد.

وقال فرانتيسكو تاريفا وهو دكتور فى القانون إنه عندما تحدث مع السيد / سانشو دى كاربونا حول تعليم المتنصرين حديثاً والموريسكيين من أبناء هذه المملكة، رأى أن الأدميرال فكر فى أن يسافر أحد رهبان دير المبشرين - من أبناء المدينة ومفاوض جيد - أن يسافر على نفقة الموريسكيين إلى روما لى يعلم صاحب القداسة أن تعمد الموريسكيين كان تعميماً إجبارياً، وذلك حتى لا تتخذ إجراءات محاكمتهم أو محاكمة الآخرين. وإنه سمع من الأدميرال أنه قرر أن يسافر موريسكى اسمه نابارا

- وهو مسلم صفحت عنه محكمة التفتيش وقدم إلى قشتالة هذه الأيام - أن يسافر إلى السلطان التركي لكي يحاول أن يوجه السلطان رسالة إلى البابا يقول له فيها إنه بما أنه يسمح للمسيحيين بأداء الطقوس المسيحية، فمن المنطقي أن يدع المسيحيون المسلمين يؤدون الشعائر الإسلامية، وأنه إذا لم يحدث ذلك فسيضطر إلى أن يجبر المسيحيين في تركيا على اعتناق الإسلام... وأنه لما تحدث عن أمور فرنسا قال: «لو أن لى أراض مجاورة للحدود الفرنسية حاولت معالجة أوضاع الموريسكيين، وذلك بالسماح بدخول الثائرين هناك - اللوثريون على ما أذكر - فإذا دخلوا إلى إسبانيا وقاموا بنشاط فلن يتحدث أحد عن نشاط الموريسكيين» .

فى ٢٥ مايو عام ١٥٦٨ اعترف لويس نابارو المنتصر حديثاً بصحة واقعة أن موريسكيين من هذه المملكة قدموا إلى هذه المدينة للحديث مع كونت بنابنتى ومع الموريسكيين الآخرين لكي يأذنوا لهم بالذهاب لتقديم شكوى إلى صاحب الجلالة يقولون فيها إن تعميدهم تم بشكل قسرى ، وإنهم لا يريدون أن يكونوا مسيحيين (رغم أن ذلك لا يقولونه بشكل مباشر واضح) ، وأضاف الشاهد أن الأدميرال نصحهم بالذهاب إلى الملك لطلب العدل، وذكر أن الملك سيستمع إليهم فإذا لم يستجب لطلبهم فليذهبوا إلى البابا. وفى شهادة أخرى بتاريخ ١٩ يونيه أضاف الشاهد - بخصوص بالتاسار تامورا - أنه لما تحدث مع الأدميرال قال الأدميرال : « إن الموريسكيين لا يجيدون التعامل مع القضية » ، وسأله ماذا يجب أن يفعلوا ؟ فأجاب «عليكم بالثورة» واكتفى خادم تامورا بقوله إنه لما تحدث مع الأدميرال قال: «فى حوض نهر ميخاريس سيثور بعض الشبان، وسيتسببون فى إلحاق الإضرار* وأضاف لويس نابارو أنه لما سأل كيف سيقومون بالثورة إذا كانوا لا يمتلكون أسلحة؟ رد الأدميرال « لن تنقصهم الأسلحة » وبالفعل كان كلامه - كلام الأدميرال - يعنى أنه سعيد بقيام الثورة.

ويسرد خوان باوتستا سايس محاوراته مع الأدميرال ويؤكد المساعى التى كانوا يريدون القيام بها لدى الملك والبابا. وقد أكد شهود آخرون هذه الوقائع.

وقال السيد ايرناندو دى ابن عامر بعد أن أُخرج من السجون السرية (*) - فى ٢ يونيه ١٥٦٨ إن الأدميرال ذكر له أنه من المفيد إصدار الأمر بذلك والسعى لدى الملك

(*) لاحظ ارتباط هذه القضية بقضية كوسمى بن عامر ، والقضيتان نظرتهما محكمة التفتيش فى فالنسيا (المترجم) .

والبابا... وأنه قال ذلك لأسقف سيغوربي، وأن الأسقف قد نقل الكلام إلى الرئيس الإقليمي. وفي شهادة أخرى بتاريخ ٢٥ يونيو قال إنه عندما أمر صاحب الجلالة بنزع سلاح المنتصرين حديثاً في هذه المملكة فإن المورييسكيين كانوا يقولون بينهم إن الأدميرال هو سبب هذه الفاجعة، لأنه وافق على بناء مسجد في غواداليت يقصده المورييسكيون من كل مكان لأداء الصلاة، وإنهم لهذا السبب كانوا يعطونه عشرة جنيهات كل عام كما كانوا يعطونه في زمن المسلمين.

وقد طلب امانيث في ٢ يونيو ١٥٦٨ أن يودع الأدميرال السجن، وهذا ثابت في قرار بتاريخ ١٢ يناير ١٥٦٩. ولما عرض الأمر على صاحب الجلالة وافق على أن يُسجن في بيت مجاور لمحكمة التفتيش على أن يتحمل السجين نفقات الحراسة، وعلى أن يفتح في البيت باب لدخوله وخروجه إذا استدعى. وقد صدر الأمر بذلك في ٢٤ يناير ١٥٦٩. وفي نفس اليوم تم تعيين الحراس وأقسموا اليمين. وقد عين السيد/ سانشو دي كارودونا الأدميرال أسماء الضامنين له وهم السيد/ خيرونيمو بارودو قائد مونيستا والسيد/ فرانثيسكو بيلاريتشي رئيس بلدة بارونيا دي ثيرات.

وفي ٣١ يناير ١٥٦٩ كان عمر الأدميرال ثلاثة وسبعين عاماً ، وأدلى بشهادته بعد حلف اليمين.

وقد قدم ممثل النيابة مذكرة الاتهام التي نرفق نسخة منها.

حاول المتهم في اعترافاته التنصل من كل التهم التي وجهها إليه ممثل الإدعاء. عين المتهم محامياً عنه هو السيد/ ساراثولا الذي كتب مذكرة الدفاع التي نرفقها. وبناءً على الأدلة فقد صدر الحكم بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٥٦٩ وتم إعلام المتهم بالحكم في نفس يوم صدوره، وكان الحكم هو إلزام المتهم - في حضور اثني عشر شخصاً - على أن يحمل في يده شمعة خضراء ، وأن يتوب عن ذنوبه. من الثابت بعد ذلك أنه تم تنفيذ الحكم، وأن الأدميرال قد تاب عن الذنوب التي اتهم بارتكابها، أو أية تهمة أخرى تتعلق بالإلحاد ، كما هو وارد في سجل محكمة التفتيش الخاص بالتائبين. وقد أعلمه أعضاء محكمة التفتيش أن عليه أن يعترف مرة كل شهر، وأن يتناول القربان المقدس في دير سانتو دومينغو بمدينة كوينكا وذلك طيلة المدة التي يراها مناسبة، والتي يراها المجلس مناسبة. وقد حُكم على المتهم بدفع مبلغ ألفى بوقية، وقد أودع دير سان بابلو

فى كوينكا بتاريخ ٤ مارس ١٥٧٠ . وبناء على أمر أصدره رئيس محكمة التفتيش العامة الصادر فى ٢٠ أكتوبر فقد استبدل الدير المذكور بدير يسوع أو دير مبشرى فالنسيا . وبناء على أمر آخر صدر عن نفس الجهة فى ٢٤ يوليه ١٥٧١ حدث تغيير آخر وأصبحت إقامته محدودة فى مدينة فالنسيا وضواحيها دون الخروج إلى القرى .

السادة المحترمون :

تلقينا رسالتكم المؤرخة فى الرابع من هذا الشهر وبها شهادة ضد السيد/ سانشو دى كاربونا أدميرال أراغون، وقد فتحت الرسالة بحضور الكاردينال رئيس محكمة التفتيش العامة، ويبدو لقداسته ولآخرين ضرورة إجراء مزيد من البحث والتحري وإرسال رأيكم لنا فى أسرع وقت ممكن.

مدريد فى مايو ١٥٦٨ :

منذ أيام ومحكمة التفتيش هذه على علم - بطرق شتى - بأن سادة الموريسكيين يكرمون المسلمين المتنصرين من أجل تسهيل عملية تعليمهم. ليكن ذلك فى الظاهر فقط وبما يتفق مع حسن السياسة. وكنا قد كتبنا إليكم فى هذا الشأن عن تزايد هذا التكريم من جانب السادة ، خاصة ما فعله السيد/ سانشو دى كاربونا أدميرال أراغون الذى تؤخذ عليه بعض الأمور التى تشكك فى حُسن تدينه المسيحى، بل يؤخذ عليه كذلك التواطؤ الواضح مع الموريسكيين فى أمور تتعلق بعبادة الرب بل وتتعلق بعدم الإخلاص فيما ينبغى عليه عمله تجاه صاحب الجلالة ، ذلك أنه يبدو كما لو كان يريد زعزعة الوضع واستقرار السلام فى الممالك من أجل أن يمارس هؤلاء المواطنون دينهم السيئ.

رأينا أن نرسل إليكم المعلومات المتوافرة ضده لدى محكمة التفتيش، ولقت نظركم إلى فكرتنا السيئة عنه ، وكل ذلك يستدعى علاجاً من ربنا الله، ومن صاحب الجلالة ومنكم بحيث لا تمضى المحاولات السيئة للموريسكيين قدماً.

حفظ الله السادة ووفقهم لما فيه طاعته المقدسة.

فالنسيا فى ١٤ مايو ١٥٦٨

يقبل أيديكم كل من

خيروينمو مانريكى وخوان دى روخاس

الاتهام

السادة المحترمون :

يمثل أمامكم الدكتور / مويانو ممثل الإدعاء لدى هذه المحكمة، ويوجه الاتهام إلى السيد/ سانشو دى كاردونا أدميرال أراغون المقيم بمدينة فالنسيا والموجود حالياً.

رغم أنه شريف مسيحي نو نسب عريق، وشخص ينبغي عليه أن يكون قدوة كمسيحي مخلص، ورغم أنه تم تعميده ويتمتع بالمزايا والحريات التي يتمتع بها المسيحيون الكاثوليك، إلا أنه لم يخش الرب، ولم يحترم العقيدة الكاثوليكية المقدسة، ولم يحترم تعاليم الكنيسة، بل شجع الموريسكيين على إقامة شعائرهم والأفكار الإلحادية والأخطاء اللوثرية، فارتكب بذلك جرائم الإلحاد التالية:

إن أراضى الموريسكيين الواقعة فى هذه المملكة، والتي مورست فيها شعائر دين محمد بحرية أكثر، كانت هى المنطقة التابعة للسيد/ سانشو دى كاردونا ، ذلك لأن الموريسكيين وجدوا فيه تحمساً لهذا العمل.

إن كل المساجد الواقعة فى قرى الموريسكيين قد تم إغلاقها بعد تنصر الموريسكيين أو بعد رحيلهم، وتم تحويلها إلى كنائس، كان هذا الأمر معروفاً للكافة، ولا يستطيع أحد الزعم بأنه يجهله. ومنذ وقت طويل كان السيد/ سانشو دى كاردونا فى بال دى غواداليت التابعة له ، وهى قرية يقطنها المسلمون المنتصرون، وكان يتفقد المكان فوصل إلى أدثانيتا ، ورأى بها مبنى مهدماً كان مسجداً فى زمن المسلمين وكان يأتى إليه كثير من المسلمين لأداء الشعائر، ولما سأل السيد/ سانشو ما هذا؟ أجابه الموريسكيون الذين كانوا برفقته أنه مسجد، وسألهم السيد/ سانشو ولماذا هو متهدم؟ فأجابوه أنهم لا يجروئون على إعادة بنائه كمسجد، فقال لهم إنه يصرح لهم بذلك.

فى الوقت الذى لم يكن فيه الموريسكيون فى هذه المملكة قد تم تعميدهم كانوا يجتمعون فى هذا المسجد لأداء الشعائر، زاعمين أن هناك قديس مسلم مدفون فيه .

إن تعلق الموريسكيين الخاطى بهذا المسجد لذلك السبب قد جعلهم يطلبون من السيد/ سانشو أن يصرح لهم ببنائه، وهو قد صرح لهم وأوقع نفسه تحت طائلة العقاب الذى تقرره الكنيسة لمن يقومون ببناء دور عبادة للكفار تضر بعقيدتنا الكاثوليكية المقدسة.

على أثر هذا التصريح قام الموريسكيون المقيمون فى اوثنيتا - يعاونهم موريسكيو بال - بسرعة بتشديد المسجد، ووضعوا له أبواباً رئيسية لأداء الصلاة والوضوء، وكانوا يغتسلون به.

بعد بناء المسجد كان كثير من الموريسكيين فى وقت معين من العام يفدون إليه من بال دى غواداليت ومن غرناطة وقشتالة وقطالونيا وأماكن أخرى رجالاً ونساءً لأداء الشعائر الإسلامية، كما لو كانوا فى فاس، وكان يجتمع هناك أكثر من ستمائة شخص معظمهم حافى القدمين كالحجاج.

إن الوضع المذكور قد استمر عدة سنوات، وكان السيد/ سانشو يعلم بذلك بل ويشجع عليه، ويعلم به الأشخاص الذين عينتهم الحكومة فى بال دى غواداليت وكونفريديس وسيتا، مما أثار فضيحة كبرى فى كل أنحاء المملكة، ولم يكن للناس حديث آخر.

ولما قام أسقف فالنسيا بزيارة هذا المكان بعد علمه بفضيحة بناء المسجد وقنوم الموريسكيين لزيارته، لم يقم بهدم المسجد رغم رغبته فى ذلك ؛ لأنه علم أن ذلك ليس من صلاحياته فاكتفى بوضع علامة الصليب داخل المبنى، حتى يعلم خدم ورجال السيد/ سانشو انه من الآن فصاعداً لا يجب أن يسمحوا بإقامة الشعائر المحمدية ريثما يتم حسم الأمر.

بعد وضع علامة الصليب داخل المبنى المذكور حزن الموريسكيون كثيراً لدرجة أنهم ذهبوا لتقديم الشكوى إلى السيد/ سانشو ، وقد تأثر هو لذلك ، لدرجة أنه تحدث مع شخص وأبدى حزنه لوضع علامة الصليب وحظر إقامة الشعائر ، ولم يكتف السيد/ سانشو بتوجيه السباب للأسقف، ولشخص كان برفقته بل قال إنهما فعلا ذلك من أجل مصلحتها الشخصية .

ورغم أن على السيد/ سانشو واجب الطاعة الكاثوليكية المقدسة لصاحب الجلالة الإمبراطور، لأنه الملك الطبيعي، ولأن يده الملكية قد قدمت للمسيحية فوائد كثيرة من خلال حروبه ضد الكفار وإنزال العقاب بالمحدين، رغم ذلك إلا أن السيد/ سانشو قد عصى أوامر صاحب الجلالة بقوله إنه يبدو له أن قرار صاحب الجلالة بتعميد الموريسكيين في هذه المملكة قد أضر المملكة ، وهى كلمات تحمل معنى انتهاك حرمت الدين، وهو عصيان يستحق أقصى العقوبات.

ورغم أن توافد الموريسكيين من هذه المملكة ومن قشتالة وأراغون وقطالونيا إلى هذا المسجد لأداء الصلاة، ومعهم فقهاء يرتدون ملابس خاصة خلال فترة ما من كل عام، رغم أن ذلك استمر عدة سنوات وسط استهجان المملكة فإنه لا السيد/ سانشو ولا الأشخاص الذين عينوا لمراقبة الأوضاع فى الأماكن التى شيّدوا فيها المسجد قد جاءوا لعرض الأمر على محكمة التفتيش، بل وافق المذكورون على استمرار الوضع امتهاناً لعقيدتنا الكاثوليكية المقدسة.

كان أمر تشييد المسجد معلوماً ، وكان وفود الموريسكيين إليه معلوماً، وكانت الفضيحة كبيرة وصلت إلى مسامع أسقف فالنسيا، ثم إلى مسامع جلالة الملك فيليبي سيدنا، ويأمر صاحب الجلالة - كمسيحي مخلص - هُدم المسجد، ورغم هدمه فقد استمر قائماً كمكان يعيش فيه الموريسكيون بدعم من السيد/ سانشو. إن رعايا السيد/ سانشو من المتنصرين قد واصلوا أداء شعائر طائفتهم الخاصة بالزفاف والزواج، والخاصة بصيام رمضان، والاحتفال بالأعياد التى يحتفل بها المسلمون، وختان الذكور كباراً وصغاراً.

بعد أن أدرك صاحب الجلالة ضرورة أن يدخل المسلمون المنتصرون من هذه المملكة إلى حظيرة العقيدة الكاثوليكية المقدسة، وضرورة ابتعادهم عن أخطائهم المحمدية، أمر بأن يجتمع قساوسة المملكة للاتفاق على ما يجب عمله بشأن تعليم الموريسكيين. وبناءً على طلب صاحب الجلالة فقد أصدر قداسة الباب أمرًا إلى الكاردينال رئيس محكمة التفتيش العامة بأن يحضر جميع المنتصرين في هذه المملكة في وقت وجيز للاعتراف بأخطائهم، على أن يتم التصالح معهم والصفح عما ارتكبوه. وقد أصدر صاحب الجلالة أمرًا تفضل فيه برد ممتلكات الموريسكيين المصادرة إليهم والتي صودرت بناءً على ارتكابهم جرائم الإلحاد.

إن هؤلاء المسلمين المنتصرين حديثاً - والذين يدعمهم بعض أصحاب السلطة ، وخاصة السيد/ سانشو دي كارديونا - لم يقوموا بالرد المناسب على رحمة البابا، ولا على تفضل صاحب الجلالة ، بل قالوا علناً إنهم يريدون أن يكونوا مسلمين لا مسيحيين، وأرسلوا أشخاصا كثيرين من هذه المدينة يحملون توكيلات من أبناء القرى لتشجيع الموريسكيين الآخرين على التمسك بطائفة محمد الخاطئة . وكان السيد/ سانشو المذكور يتصل بالقرى الأخرى ويحضهم على أن يكونوا مسلمين لا مسيحيين ويقول لهم إنهم لم يُعمدوا بشكل صحيح ويحضهم على الثورة . ولكي يدفعهم إلى ذلك كان يقول إنه يعلم أن الموريسكيين سيثورون في بعض نواحي المملكة وأنهم لن يلحقهم أذى بسبب ثورتهم ، وبهذا الشكل لم يكتف بارتكاب جريمة ذات بُعد ديني، بل ذات بُعد إنساني أيضاً حيث أنه شجع على الثورة لكي يتحول الموريسكيون إلى مسلمين.

إن السيد/ سانشو كانت رغبته صادقة في أن يتحول الموريسكيون إلى مسلمين لدرجة أنه كان يرفض أي شيء يبعدهم عن ذلك ، ولما رأى أن تعليم الموريسكيين العقيدة الكاثوليكية يحظى بتأييد جلالة الملك راعى المسيحية تجراً على عصيانه، وعلى القول بأن صاحب الجلالة أخطأ فيما يتعلق بالموريسكيين ، وهو قول يستحق عقوبة شديدة.

ولما سأل أحد الأشخاص السيد/ سانشو وهو يحرض الموريسكيين كيف سيقومون بالثورة وهم لا يحملون أسلحة أجابه - كشخص محرض يعلم أن هناك أسلحة مخبأة في مكان ما - بأنه لن تنقصهم الأسلحة.

إن المنتصرين قد وجدوا تأييداً كبيراً من الأدميرال لكى يؤدوا شعائرهـم الإسلامية، فلم يقتصر الأمر على الإذن لهم بتشييد مسجد فى غواداليت وكونفريوس وسيتا وأداء الشعائر فيه، بل إنه فى بيتشى - وهو مكان تابع للسيد/ سانشو، ويقيم فيه أكثر مما يقيم فى مكان آخر- يعيش الموريسكيون كما يعيش المسلمون فى الجزائر: يؤدون شعائر المسلمين، بل والأكثر إيلاماً للنفس أن لهم مكاناً عاماً فى بيتشى يؤدون فيه الصلاة ، وهو أمر لا يستطيع السيد/ سانشو الزعم بأنه يجهله، ولم يعالج مساعدوه الوضع.

لم يكتف السيد/ سانشو بعدم معالجة الوضع وإقناع الموريسكيين بالتخلى عن ممارسة حياة المسلمين علانية، بل إنه شجعهم على أن يكونوا مسلمين كشخص لا يشعر بسعادة فى اعتناق عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة، ولما عثف أحد الأشخاص رعايا السيد/ سانشو؛ لكى يبتعدوا عن أخطاء محمد، ولكى يكونوا مسيحيين - وكان السيد/ سانشو حاضراً- وأجابه الموريسكيون بأنهم لا يريدون أن يكونوا مسيحيين بل مسلمين فإن السيد/ سانشو سكت بهذا يعنى أنه راضٍ عن إجابة الموريسكيين ، مقتنع برغبتهم.

فى معرض الحديث عن المنتصرين حديثاً والسيطرة عليهم قال السيد/ سانشو إنه من المناسب أن يتظاهروا باتباع المسيحية، وأن يكونوا مسلمين فى الحقيقة، وأن يعيشوا كما يرغبون فى السر، وهو هكذا يُبدى بوضوح رغبته فى احتفاظهم بدينهم، على الأقل سرّاً ماداموا لا يستطيعون ذلك فى العلن، ولما قيل له إن كلامه إلحاد لأن العقيدة المسيحية يجب أن تُمارس فى السر وفى العلن سكت السيد/ سانشو.

كان السيد/ سانشو يحزن لتعليم موريسكى هذه المملكة الدين المسيحى، لدرجة أنه كان دائماً يخترع عوائق تحول دون ذلك، ولدرجة أنه تحدث مع شخص لكى يخبر قداسة البابا بأن الموريسكيين قد عمدوا قسراً بقتل بعضهم، وبالتأثير على بعضهم الآخر وتهديده لكى يتعمد. وقد أفهم السيد/ سانشو الشخص المذكور ما يجب أن

يقوله البابا حتى يعلن أن موريسكي هذه المملكة قد عمّدوا قسراً، وأن بإمكانهم العيش كما يرغبون.

كان السيد/ سانشو يقول إنه إذا لم يستجب قداسة البابا لطلبه فسيتوجه برسالة إلى السلطان التركي يخبره فيها بالوضع، ويطلب منه أن يكتب إلى قداسة البابا وإلى صاحب الجلالة ويقول لهما إنهما قد أضرا بالمسلمين بتعميدهم قسراً، وبمطاردة محكمة التفتيش لهم، وهذا ضد العدل حيث أنهم ليسوا مسيحيين ولا معمدين، لأن ذلك لم يكن تعميداً، وإن القساوسة الذين زعموا للملك أن المسلمين تم تعميدهم قد كذبوا عليه لكي يحصلوا على مكاسب لهم.

وقد واصل السيد/ سانشو حديثه عن مضمون الرسالة التي سيبعث بها السلطان التركي إلى قداسة البابا وإلى صاحب الجلالة، فقال إن الرسالة يجب أن تتضمن أيضاً أن السلطان التركي بوسعه أن يفعل بمسيحيي ممالكه أكثر من ذلك لكنه يتركهم يمارسون دينهم بحرية دون إجبارهم ، وأن قداسة البابا وصاحب الجلالة لن يسمحا بالضغط على المسلمين، بل سيتركاهم يمارسون دينهم، وأن السلطان التركي سيفهم البابا والملك أنهما إن لم يفعلا ذلك فإنه يستطيع أن يفعل نفس الشيء مع المسيحيين في بلاده، وسيحثهما على معاملة الموريسكيين في هذه المملكة معاملة طيبة.

لم يكتف السيد/ سانشو بقوله إنه سيكتب رسالة إلى السلطان ؛ بل قال إنه سيخبر السلطان التركي في الرسالة بكل ما حدث ضد المسلمين في إسبانيا، سواء من يعيشون في قشتالة أو غرناطة أو في هذه المملكة، وفي مناطق أخرى من إسبانيا ، وقال إن مسلمي هذه المملكة أخطئوا حين لم يعالجوا الوضع بهذه الطريقة.

لم يكتف السيد/ سانشو بقول ما سبق بل قال لهم - لكي يحفز الموريسكيين، ولكيلا تتم السيطرة عليهم - ألا يثقوا بما يقوله ميراندا عضو محكمة التفتيش ولا الأعضاء الآخرون، فهم كاذبون ولا يصدقونهم القول بل يخدعونهم، وأن اغيليرا (عضو محكمة التفتيش) لما زادت جرأته عن الآخرين ضد الموريسكيين، فقد لقي من صاحب الجلالة الجزاء الذي يستحقه.

إن الأدميرال كان راغباً في أن يبدأ هذا العمل لدرجة أنه كافاً من سيقومون به وشكرهم، بل كان يقول إن صاحب الجلالة سي شكرهم على ذلك وسيكافئهم عليه.

إن الأدميرال كان حريصاً على إتمام هذا العمل لدرجة أنه تعهد بإرسال الرسالة إلى السلطان التركي ، ولما فهم أن بعض الموريسكيين سيحصلون على مزايا لكي يتعلموا إرسال الرسالة، فقد طلب بإلحاح أن يحصل الموريسكيون على هذه المزايا، ولما رُفض طلبه غضب ووجه إليهم كلمات جارحة.

في فحوى الرسالة إلى السلطان التركي يكشف السيد/ سانشو بوضوح أنه يرغب في إثارة الناس؛ لإحداث اضطرابات ولتبرير ما يقوله للسلطان التركي في الرسالة (وهو أكبر عدو للمسيحية)، وإحاطته علماً بعدد الموريسكيين الكبير في إسبانيا، وأنهم يعيشون كمسلمين ، وأنهم غاضبون إزاء الرغبة في تنصيرهم. بهذا يبرر للسلطان التركي أن يحدث شيئاً في ممالك صاحب الجلالة من خلال الموريسكيين. نفهم أن قيام الأدميرال بإبلاغ الموريسكيين بذلك يمكن أن يسبب اضطرابات... من هنا يتضح أن السيد/ سانشو ليس مخلصاً لسيده الملك، وأنه بذلك قد ارتكب جريمة ضد صاحب الجلالة.

بما أن السيد/ سانشو قد زعم للسلطان التركي أن الموريسكيين هنا مضطهدون ويُعاملون بقسوة ، وحيث أن السلطان التركي متوحش وطاغية ؛ فقد برر له أن يعامل المسيحيين في بلاده بقسوة ، وهكذا يكشف السيد/ سانشو عدم حبه للآخرين ، كل ذلك من أجل أن يمارس المسلمون في هذه المملكة شعائر دينهم الإسلامي.

كان السيد/ سانشو حامياً للموريسكيين في هذه المملكة وراغباً في أن يعيشوا كمسلمين، لدرجة أنه قال إنه يسره لو أن أرضه متاخمة لأرض اللوثريين، لكي يسهل دخول مسلحين لوثريين إلى إسبانيا؛ وذلك حتى يؤدي دخولهم إلى تخفيف الضغط على الموريسكيين، وحتى يتركبونهم يمارسون شعائر دينهم ، وهكذا فضل ممارسة الموريسكيين للإسلام على طاعة الرب والملك ، مما زعزع استقرار السلام في الممالك المسيحية.

لما كان السيد/ سانشو يرغب فى تعطيل تنصير موريسكى هذه المملكة فلم يكتف بوضع العراقيل أمام ذلك ، بل اخترع عائقاً آخر وخيم العاقبة؛ ألا وهو قوله للمسلمين المنتصرين حديثاً إن محكمة التفتيش عندما تلقى القبض عليهم ويعترفون ستسجنهم إلا إذا قالوا إنهم مسلمون ويرغبون فى العيش كمسلمين، كل ذلك بهدف أن يتمسك الموريسكيون بالإسلام.

حاول السيد/ سانشو - ومعه شخص آخر - خلال السنوات السابقة معرفة سر محكمة التفتيش، وذلك بتحريض أشخاص تم التصالح معهم أن يكشفوا له ما اعترفوا به أمام محكمة التفتيش. ونظراً لإلحاح السيد/ سانشو والشخص الآخر ، فقد اعترف المنتصرون، وهو ما يتعارض مع ما أقسموا عليه، وهو ما يصيب محكمة التفتيش فى أمر جوهري من أمور عملها...

لم يكتف السيد/ سانشو بمحاولة معرفة ما اعترف به المنتصرون أمام محكمة التفتيش ، بل إنه - محاولة منه لتراجع المنتصرين عما اعترفوا به أمام المحكمة - قال لهم كلمات جعلتهم يتراجعون بالفعل، فقد أفهمهم أن ذلك ليس خطراً عليهم.

لما كان السيد/ سانشو يعتقد أن محكمة التفتيش ومهمتها المقدسة تتعارض مع رغباته ، فقد حاول التقرب إلى شخص ما، وأقنعه بأن يحاول معرفة سر محكمة التفتيش وذلك حتى يستطيع أن يعرقل عمل المحكمة.

لما لم يجد فى الشخص المذكور قابلية للعمل فقد أكرم السيد/ سانشو ذلك الشخص، واستمر فى إقناعه ، وكانا يتحادثان بمفردهما لمدة ساعتين ، أو ثلاث ساعات فى بعض الأيام.

بعد أن اعتقلت محكمة التفتيش السيد/ سانشو سأل عما إذا كان الشخص المذكور يعمل فى أمانة سر المحكمة.

منذ وقت طويل وقبل إنشاء كنيسة فالنسيا كان هناك ولا يزال أمر رسولى من قبل قداسة البابا - يعاقب من يخالفه بإعلان كفره - يقضى بالآ يستولى السادة بأنفسهم أو عن طريق آخرين على إيراد الكنيسة.

ورغم أن السيد/ سانشو كان على علم بالأمر السابق، لأنه معروف للكافة في المملكة، إلا أنه استولى - عن طريق آخرين - على إيرادات الكنيسة من بال دي غواداليت، وكان خدمه يستولون على الثمار ويجمعونها مع ثمارهم ، وكانوا يضررون بحرية الكنيسة في العمل.

لما كان السيد/ سانشو ذا سلطان ، فعندما كان يعلم أن شخصاً ما يريد أن يتحدث عن إيرادات غواداليت ، كان يهدده، ولم يكن يراعى ضميره.

ولما فهم أحد قساوسة كنيسة فالنسيا الأضرار التي يسببها مسلك السيد/ سانشو لإيرادات الكنيسة ، وأنه يكون قد استحق عقوبة إعلان كفره ؛ فقد نصحه بترك ذلك، فقال له السيد/ سانشو : إذن ليذهب غيرى لجمع الثمار وسيرون ما يحدث لهم.

لم يشأ السيد/ سانشو أن يؤدي ما عليه من الثمار لأنه شخص لا يهمله انتهاك الحرمات الدينية.

نظراً لأن السيد/ سانشو لم يكن يعتقد في ضرورة اعتراف الموريسكيين - متمشياً مع الأفكار اللوثرية - فقد استمر لمدة عشرين عاماً لا يعترف.

وحتى لا يفهم أحد أن السيد/ سانشو لا يعترف في الأيام التي تحددها الكنيسة وهي خلال أسبوع القدا س - عندما يذهب السادة الآخرون الأتقياء للاعتراف ، مقدمين بذلك القدوة لغيرهم كوجهاء - فقد كان السيد/ سانشو يذهب إلى قرية مورييسكية أخرى تابعة له حتى يتجنب الاعتراف ، وكان يعود إلى المدينة ليلة العيد ، ولم يكن يعترف في أى مكان لأنه كان يسوءه الالتزام بتعاليم الكنيسة.

حيث أنه في هذه المدينة قد تم نشر إعلانات كنسية ضد الأشخاص الذين لا يعترفون في الوقت الذي تحدده الكنيسة والجميع يعلم ذلك ، ولما كان الأمر كذلك فإن السيد/ سانشو رغم علمه - ورغم التحذيرات الواردة في الإعلانات - إلا أنه أصر على عدم الاعتراف؛ وذلك لشعوره بأن أوامر الكنيسة غير ملزمة.

لذلك فإنه بناءً على اعترافات السيد/ سانشو أدميرال أراغون فإننى أطلب منكم اتخاذ الإجراءات ضده ، وإعلان إلحاده، وإعلانه كمناصر للملحدين ولن يمارسون شعائر محمد، وبناءً عليه يكون قد تورط فى الخروج على تعاليم الكنيسة ؛ ولهذا يستحق أن تُصادر ممتلكاته لصالح صاحب الجلالة ، وأن تُوقع عليه العقوبات المنصوص عليها فى القانون ، وأن يُنفذ كل ذلك فى حقه وفى حق ممتلكاته، وكذلك أطلب منكم أنه - إذا اعتبرت أن أدلتى ناقصة - أن يتعرض المذكور للتعذيب حتى يقر بالحقيقة.

توقيع الدكتور مويانو

رأى أسقف سيغورى فى الموريسكيين

” رأى السيد مارتين دى سالباتيرا أسقف سيغورى حول وضع الموريسكيين
(نسخ مستخرجة) ^(١)

من الملاحظ ومما لاشك فيه أن موريسكى غرناطة عام ١٤٩٢ وموريسكى فالنسيا عام ١٥٢٤ ، قد علموا من خلال الأوامر التى أصدرها كل من الملكين الكاثوليكين ، والإمبراطور كارلوس - خالدى الذكر - أنهم إذا كانوا يريدون البقاء فى إسبانيا فعليهم أن يكونوا مسيحيين معمدين ، وأنهم إذا لم يفعلوا ذلك فسيطردون من إسبانيا ، وقد هُذبوا بالفعل بمصادرة أموالهم التى تعادل حياتهم ، وبالطرد من الأراضى التى عاشوا فيها ومنها هم وأجدادهم ، مع ما يصحب ذلك من عبور البحر المتوسط ، ومعهم النساء الحوامل والشيوخ الكبار والأطفال الصغار . كل ذلك كان يمثل بالنسبة لهم تهديداً يعترفون به اليوم.

وتنفيذاً من الموريسكيين لتعاليم طائفة محمد فقد قاموا بما يلى :

لم يعترف موريسكى واحد - ولا يعترف - بارتكاب أى ذنب كبيراً كان أم صغيراً مع أنهم - كما هو معلوم - أهل معصية ويخالفون الوصية السادسة بشكل خاص تقليداً لمحمد الذى يأمرهم بغسل الأيدي والرأس والأرجل ؛ لأن ذلك يغفر لهم الذنوب الصغيرة ، أما كبائر الذنوب فتغفرها التوبة.

ويستطيع الموريسكيون أن يتزوجوا بأى عدد من النساء يمكنهم إعالاته ، ويمكنهم أن يطلقوهن متى شاءوا بدفع صداقهن ، وإذا قتل الموريسكى مسيحياً فإنه يدخل

(١) Boronat: Los moriscos españoles.....pp. 619-633.

الجنة ، وإذا سبب الموريسكى الأذى لمسيحي فإنه يرتفع قدره فى نظر محمد ، وهم يخالفون الوصية السادسة بارتكاب جريمة القتل باستمرار فى حق المسلمين والمسيحيين ، ويخالفون الوصية السابعة بارتكاب جرائم السرقة والربا والمعاملات غير المشروعة ، ويخالفون الوصية الثالثة بعدم توقير الأعياد ، وعدم الذهاب لسماع الوعظ إلا بالقوة وخشية العقوبة. كل هذا دليل على أنهم لا يعتبرون ما ذكر ذنباً . هذا هو نفس شعورهم تجاه تعليمات الكنيسة ، فهم لا يصومون صيامها ، ولا يعتبرون عدم الصيام المسمى ذنباً ، ولا يعتبرون الزواج من الأقارب ذنباً ، ولا يعتبرون ذنباً ، ولا يعتبرون مخالفة وصايا الرب والكنيسة ذنباً ؛ فهم يخالفون كل الوصايا ، ولا يعترف أى واحد منهم ، وهذا ما يؤكد القساوسة . وأنا أقول نفس الشيء ؛ فقد اعترف أمامى كثير من الموريسكيين فى أراغون وفى فالنسيا ، ولم يعترف أى واحد منهم بارتكاب ذنب كبير ، وهذا دليل على عدم إخلاصهم ، وعلى احتقارهم لقربان التوبة. إن اعترافاتهم كاذبة ، ولا تستحق أن تُمنح الغفران. لهذا السبب ، ولعدم تواجد الإيمان الحقيقى عند الموريسكيين ، فإن القساوسة فى مملكتى فالنسيا وأراغون وبقية أنحاء إسبانيا لا يستطيعون تقديم القربان المقدس لهم ، ولا يستطيعون كذلك أن يتركوه لهم فى الكنائس الموجودة فى قراهم تجنباً لاستهزاء الموريسكيين به ، وقد علمنا بالخبرة أنهم يفعلون ذلك ، ويؤيدون شعائر محمد .

هناك أمر لاشك فيه ونراه عادةً فى محاكم التفتيش فى إسبانيا وهو أن الموريسكيين الذين يودعون السجن - الشباب وكبار السن على السواء - قد تم ختانهم ، هذا ما أمر به محمد تطبيقاً لتعاليم موسى لكى يجذب اليهود إلى دينه . وهم يعترفون بالختان ، ويقول كبار السن إن عملية الختان قد أجريت لهم وهم أطفال ، وإنهم لا يتذكرون من الذى أجراها لهم . وأطفالهم مختنون أيضاً ، وقد وجدت اليوم بعض الأطفال مختنتين ، ولما سألت آبائهم عن ذلك قالوا إنهم ولّوا هكذا . ورغم أن ذلك قد يحدث كحالة استثنائية ؛ إلا أنه لا يمكن أن يكون أمراً شائعاً . ولعله من الواضح للموريسكيين أن الختان عمل من أعمال الكفر ، وأنه لا يجب إلا التعميد ، ولا يستطيع الموريسكيون التعلل بالجهل ، ولا يستطيعون كذلك الإدعاء بأنهم لم يتعلموا مبادئ العقيدة المسيحية ؛ لهذا فمن الواضح أنهم قد خرجوا بذلك عن عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة وعن الدين المسيحى .

وهذا يتأكد أكثر لأن كل الموريسكيين - رجالاً ونساءً وأطفالاً ، سواء في مملكة فالنسيا أم في مملكة كاستيا وأراغون - يستعملون أسماء المسلمين في بيوتهم وفي اجتماعاتهم السرية ، وهم يتخذون هذه الأسماء بعد أن يتم تعميدهم في الكنيسة الكاثوليكية ، وهذا ما يلاحظه كل المسيحيين القدامى الذين يتعاملون مع الموريسكيين ، لأنهم إذا سألوا النساء والأطفال بدهاء عن أسمائهم المسيحية يتكفون أنهم لا يعرفونها .

ولو ركزنا الانتباه سنلاحظ أنهم حين يتناون فيما بينهم فإنهم يستعملون الأسماء الإسلامية . والأسماء المسيحية هي الموجودة في السجلات ؛ لأن الأسماء المسيحية أطلقت عليهم بعد تعميدهم بعد الولادة مباشرة ، وهذا يعنى بالضرورة أنهم بعد تعميدهم قد اتخذوا أسماء المسلمين ، وأنهم لكي يتخذوا هذه الأسماء فإنهم أقاموا شعائر المسلمين ، وأجروا عمليات الختان ، وهكذا سخروا من قربان التعميد . هنا لا يمكن قبول تغلل أحدهم بالجهل ، بل يتضح عصيانهم .

من الواضح كذلك ، ومن المعلوم للكافة بين المسيحيين القدامى الذين يتعاملون مع الموريسكيين أو يجاورونهم أن الموريسكيين لا يطلبون ولا يتقبلون قربان التأكيد ، ولا قربان التوبة ، وهذا ما يؤكد القساوسة والمشرفين المكلفين برعاية الموريسكيين ، وهذا دليل على كفرهم ، وعلى أنهم لا يؤمنون بمقدسات الكنيسة ؛ بل يسخرون منها ، فهم لا يستعملونها ولا يطلبونها ، ولا يؤدون أى عبادة مسيحية يمكن أن تدل على وجود الإيمان والحب في قلوبهم نحو الدين المسيحي أو نحو عقيدتنا الكاثوليكية كما ينبغى أن يكون عليه وضع أى مسيحي مخلص .

وهذا يتضح لأنه من المشهور أنهم لم يصوموا أى صيام مسيحي ، بل يصومون صيام المسلمين ، خاصة ما يسمى برمضان ؛ فعندما يحل موعد هذا الصوم فإنهم لا يذبحون ماشية في قراهم لأنهم لا يأكلون ، ونعلم أنهم لا يأكلون في بيوتهم لأنهم لا يشعلون موقداً ، ولا يخرج دخان من مداخنهم. ولكي يخفى الموريسكيون ذلك فإنهم يذهبون إلى مزارعهم ، ويقضون وقتهم هناك إلى أن يحل الظلام ، فيعون عشاءهم وطعامهم في سرية ، ويؤدون بقية شعائرهم كالصلاة والوضوء ؛ وهى شعائر يأمر بها محمد في القرآن .

تُؤدى شعائر الصلاة والوضوء خمس مرات فى اليوم ، ويقولون إنهم يحمون الله الأكبر الذى لم يلد ولم يولد ، وهذا كفر بعقيدة التثليث . وهكذا يبدو من اعترافاتهم أمام محاكم التفتيش ، وهكذا يأمرهم محمد الذى يريد تقليد اليهود والأرمن واجتذابهم إليه ؛ وهذا ما يفعله أتباعه .

وهذا يتضح ، كما تتضح سخريتهم من الدين المسيحى ومن الكنيسة ومقدساتها وصلواتها ؛ فلم يرههم أحد - ولن يراهم - يدخلون الكنائس فى أيام العمل أو فى أيام العطلات . إنهم لا يذهبون لسماع الوعظ إلا وهم مضطرون ؛ لأن عقائد شيوخهم وأسلافهم ترى السخرية بالمقدسات المسيحية عملاً طيباً أمام محمد وتقول إنهم يستطيعون أن يكفروا بـ محمد فى الظاهر مع التمسك به فى القلب . وفى مدريد وطليلة وألكالا ، وأوكانيا ، وتالابيرا ، وأماكن أخرى يكثر فيها الموريسكيون لا تراهم يذهبون إلى الكنيسة ، وهم يعيشون كأغنام بلا راعٍ ؛ وهذا يدعو إلى الحسرة .

وهناك دليل آخر على كفرهم ؛ وهو أنهم لا يحبون أن يدفنوا موتاهم فى الكنيسة ، بل فى الحقول وفى الأراضى البكر ، وهم يتجنبون بأى شكل أن يدفن موتاهم فى مدافن قديمة حتى لو لم يُدفن فيها أحد منذ سنوات ، وهذا واقع لدرجة أنه لو كانت هناك أماكن فى المدافن القديمة فإنهم يطلبون مدافن جديدة ؛ وهذه شعيرة من شعائر محمد التى يأمر بها فى القرآن . وهذا واضح وأنا شاهد عليه لأننى رأيته ولمسته عند موريسكى فالنسيا وأراغون عدة مرات ؛ وهذه شعيرة يهودية ، وقد أخذها محمد عن اليهود لكى يجتذبهم إليه ، والمسلمون يحافظون عليها لأنها من تعاليم محمد .

من المعلوم فى إسبانيا كلها أنه لم يوص أى موريسكى بأى شئ للكنيسة ، ولا تصدق فى الكنيسة على موتاه ، ولم يبن أحد منهم شيئاً فى الكنيسة ، ولم يطلب أحد منهم إقامة قداس على روح ميت ، رغم أنهم أثرياء ويرون كيف يؤدى المسيحيون هذه الأعمال ؛ وهذا دليل على أنهم يسخرون من كل ذلك ، ودليل على أنهم لا يعتقدون أن الموتى يذهبون إلى المطهر ، ولا يعتقدون أن الصدقات التى يقدمونها إلى الكنيسة يمكن أن تكون عوناً لهم ؛ ولهذا فهم يكفرون بالمطهر ، ويؤكدون أنه لا وجود بعد الموت إلا للجنة والنار ؛ وهذا ما يقول به محمد .

من المعلوم فى إسبانيا كلها أنه لم تبَن فى أية قرية موريسكية صومعة لراهب ، ولم يرفع صليب ، ومن المعلوم كذلك كراهية الموريسكيين للصور والتماثيل ، فهم لا يحتفظون بها فى بيوتهم ، ونفس الشيء يُقال عن الماء المبارك وعن بقية الشعائر المسيحية الأخرى . ومن المعلوم أيضاً أن الموريسكى لا يقيم هذه الشعائر ، وإذا أداها فإنه يفعل ذلك مضطراً أمام المندوب أو الحاجب ، ورغم كثرة عدد الموريسكيين فإنه لم يدخل أحد منهم فى المسيحية رغم طول فترة تعايشهم مع المسيحيين ؛ وهذا دليل على أن الموريسكيين متحذون فى ذلك ، ويتبعون جميعاً دين محمد الذى يخالف شريعة يسوع .

وكل الموريسكيين يجتنبون الخمر ولحم الخنزير ، ومن الواضح أنهم لا يمتنعون عن أكل لحم الخنزير من باب التقشف المصاحب للتوبة عن الذنوب - فهم لا يعترفون أنهم ارتكبوا ذنباً - بل اتباعاً لشريعة محمد لأنهم أتباعه ؛ وهذا الامتناع عن أكل لحم الخنزير أخذه محمد عن اليهود .

ولم يحدث فى كاستيا أو فى أراغون أن شوهد موريسكى يدرس فى الجامعة علماً مسيحياً ، وعزوفهم عن المسيحية يتمثل أيضاً فى الامتناع عن مصاهرة المسيحيين القدامى ، إنهم حتى لا يطلبون منهم صدقة ، وفى ذلك امتثال لتعاليم القرآن .

يعتقد الموريسكيون - نقلاً عن شيوخهم وأسلافهم - أنهم إذا ألحقوا ضرراً بالمسيحيين فإنهم يدخلون الجنة ، ويعتقدون كذلك أنهم يدخلون الجنة إذا دافعوا عن دينهم بالسلاح ، وأنهم إذا أُجبروا على الكفر فبإمكانهم فعل ذلك فى الظاهر وكتمان الإيمان فى القلب ، وأنهم هكذا يدخلون الجنة .

ورغم أنه من التصرفات الخارجية لبعض الموريسكيين فى أراغون وفالنسيا ، يبدو أن هؤلاء مسيحيون أكثر مما هم مسلمون إلا أنهم عند الوفاة أعلنوا أنهم مسلمون ، وأنهم عاشوا كمسلمين طوال حياتهم. يفعلون ذلك علانية حتى يشجعوا أبناءهم ، وأقاربهم على اتباع دين محمد . لقد لوحظ ذلك فى محاكم التفتيش فى فالنسيا وسرقسطة وأماكن أخرى .

يتأكد عدا الموريسكيين للديانة المسيحية ولأتباعها ، فرغم أن الموريسكيين مكثوا ثمانمائة عام فى إسبانيا ، ورغم أنهم تعاملوا مع المسيحيين إلا أنهم بعيدون عن

المسيحية ، ونرى بوضوح كراهيتهم وعداءهم لها : فبالإضافة إلى أنهم قتلوا عدداً كبيراً من المسيحيين خلال عامى ٢٢ ، ٢٣ أثناء ثورتهم فى مملكة فالنسيا ، وبالإضافة إلى العدد الكبير الذى قتلوه فى عام ١٥٧٠ خلال ثورتهم فى مملكة غرناطة ، فإنهم أحضروا عدداً كبيراً من الأتراك ومسلمى البربر ؛ لكى يعيدوا غزو إسبانيا ، وقد أحرقوا عدداً كبيراً من الكنائس ، وانتهكوا الحرمات ، وقتلوا القساوسة ورجال الكنيسة ، وأحدثوا أضراراً بالغة بالعالم المسيحى وبالممالك الإسبانية ، وكان ذلك تحذيراً من الله لصاحب الجلالة لكى يطرد هؤلاء الناس من مملكته ، وهذا ما فعله بعد ثمانين عاماً من التفانى فى تعليم المسيحية من قبل القساوسة ، وبعد كل الجهود الذى بذلته الكنيسة لتنصيرهم . ورغم أن المورييسكيين استحقوا عقاباً كبيراً نظير جرائمهم إلا أن صاحب الجلالة استعمل الرأفة معهم ، وأعطاهم الأراضى الكثيرة فى أندلوثيا وطليلة ، لكن المورييسكيين استمروا فى جرائمهم ، وقتلوا عدداً كبيراً من المسيحيين وقطعوا الطريق . وقد اجتمع عدد كبير من المورييسكيين فى أشبيلية ، وتدارسوا دين محمد ، كما هو ثابت فى ملفات محكمة التفتيش فى أشبيلية .

وثبت من واقع ملفات محكمة التفتيش فى أراغون خلال عامى ٧٥ ، ٧٦ أن هؤلاء المورييسكيين حاولوا القيام بثورة أخرى كثورة غرناطة ، وأن لهم اتصالات مع الملحدين فى فيرنا ، وهو مكان يسعوا إلى الإقامة فيه ، وقد حملوا إلى هناك مبالغ كبيرة .

وفى عام ٨٤ قام مورييسكيون من قرى مملكة فالنسيا التابعة للسيد ميغيل دى مونكادا بالاتصال بوالى الجزائر الذى قدم ومعه قوات فحمل معه فى السفينة ألفين وخمسمائة شخص دفعوا ٢٥٠ بوقية قشتالية نقداً .

تؤكد بوضوح هذه الحقيقة الخاصة برغبة هؤلاء الناس فى الإضرار بالديانة المسيحية . يتضح ذلك من خلال ما لوحظ فى مدينة طرويل ، فالمورييسكيون يقيمون فيها منذ مائتى عام وحتى الآن - خاصة فى حى سان بيرناردو - وقد اعتنقوا المسيحية وعمدوا . منذ ذلك الحين والجميع يعتقد أنهم مسيحيون مخلصون ، وهذا ما أظهره فى تصرفاتهم ، فقتلوا عن رى المسلمين ، وهجروا اللغة العربية ؛ بحيث لم يعد هناك فرق بينهم وبين المسيحيين القدامى فلما أمرتم جلالتم بنزع أسلحة مورييسكيى مملكة أراغون أراد البعض تنفيذ الأوامر فى طرويل ، فرفع المورييسكيون شكواهم إلى جلالتم ، وذكروا أنهم كاثوليك مخلصون ؛ وهذا ما أثبتوه

من خلال تصرفاتهم ، وطلبوا أن تصدروا جلالكم الأوامر بالآ تطبيق قرار نزع الأسلحة عليهم ، وأن تترك الأسلحة التي يستعملونها مثل المسيحيين القدامى فاستجبتهم لطلبهم . رغم كل ذلك إلا أنه في العام الماضي - عام ٨٥ - تقدم كثير من المورييسكيين إلى محكمة التفتيش في فالنسيا ، واعترفوا بأنهم قد عاشوا حياة المسلمين دوماً ، وأنهم اتبعوا معتقدات محمد ، وأقاموا الشعائر الإسلامية ، وأن التصرفات المسيحية التي أظهروها كانت كاذبة ، وأنهم فعلوها خوفاً من العقوبة ، وأملأ في خداع المسيحيين القدامى ، ورغبة في السخرية من الكنيسة ومقدساتها . لقد اعترف بذلك كل سكان طرويل من المورييسكيين فعاقبتهم محكمة التفتيش . إن هذا يدعونا إلى الاعتقاد بأن كل مورييسكي هذه المملكة ومملكة فالنسيا ، وكاستيا يحافظون على تعاليم محمد ويؤنون شعائر المسلمين .

من المعلوم كذلك أن المورييسكيين يتصلون ببلاد البربر والقسطنطينية ، ويفيدونهم بمعلومات ضد صاحب الجلالة وممالكه ، ويخبرونهم بالثغرات الموجودة في القلاع والحصون ، خاصة تلك الموجودة على ساحل البحر المتوسط، ويخبرونهم بالنقص الموجود في السفن الملكية ، ويعدد المسلمين الكبير الموجود في هذه الممالك والسلاح المتوافر لديهم. وأنا شاهد على أنه في عام ٨١ اكتشفت في منزل لمسلم من خيا دي البراثين أسلحة كثيرة ومختلفة (وقد أخبرتكم بها) ، كل ذلك من أجل إقناع السلطان التركي وأتباعه بالقدوم إلى هنا واحتلال هذه الممالك. إنهم يريدون أن تقوم الحرب فينتقمون من المسيحيين ، كما فعلوا أثناء ثوراتهم في فالنسيا وغرناطة ، وهذا ما يستطيعون القيام به حالياً ، فقد تضاعف عددهم ، وهم يقيمون في أفضل محافظات إسبانيا ويعلمون عنها - كأعداء داخليين - نقاط الضعف الموجودة فيها ويستغلون وظائفهم (خاصة تلك المتصلة بالمؤن ، فمنهم البستاني والسقاء ، والخباز ، والنجار ، والبناء وغيرهم ، وهي وظائف تتحكم في أموال البلاد ، ويحرص المورييسكيون على شغلها لكي يحرموا المسيحيين القدامى من الغذاء وسبل الحياة فيجبرونهم على الذهاب إلى العالم الجديد وإلى الحروب) . وبالإضافة إلى كل ذلك فإن التجربة تعلمنا أن بعض المورييسكيين الموجودين في كاستيا ممن قدموا من غرناطة قد أثروا لدرجة أنه في غوادالاخارا ، وباسترانا ، وسلمنكا ، وغيرها هناك مسلمون لديهم

ما يزيد عن مائة ألف بوقية ، وإذا لم تقم جلالتم بوضع حد لذلك ففى بضع سنوات سيتزايد عدد الموريسكيين لدرجة أن يزيديا عن المسيحيين القدامى ، سواء من حيث العدد أو من حيث الثروة ، خاصة فى الذهب والفضة : فلقد استولى الموريسكيون على كل الذهب والفضة ، وهم لا ينفقون شيئاً ، إذ لا يأكلون ولا يشربون ولا يلبسون ولا ينتعلون [بشكل لائق] فإذا وجدوا أنفسهم كثيرين فى العدد وفى الأموال - بالإضافة إلى أنهم أذكىاء ، وإلى كونهم أعداء للمسيحيين والديانة المسيحية - فمن الخطر أن يتركوا يتصرفون كما تصرفوا حتى الآن .

يتضح من كل ما ذكر أن الكنيسة والمقر البابوى وصاحب الجلالة ، وراعينا الإمبراطور كارلوس ، والملوك الكاثوليك خالدى الذكر ، وكل القساوسة والمبشرين فى إسبانيا على مدى قرون كثيرة - رغبة من الجميع فى طاعة الرب ، وإنقاذ هؤلاء الناس من الضلال - قد علموا الموريسكيين العقيدة المسيحية باللفظ وبالفعل ، خاصة ضرورة الإكثار من تقديم القرايين والتضحيات والأعمال التطوعية والصوم والتوبة وأعمال البر الأخرى التى لا أستطيع ذكرها الآن لكثرة عددها ، وهذا وحده يكفى لتعليم هؤلاء المسلمين عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة والديانة المسيحية ، وهم مجبرون الآن على المحافظة عليها ، وإلا كانت عقوبتهم بخول النار كاليهود والوثنيين الذين سمعوا بالمسيحية التى بشر بها يسوع المسيح ، وعرفوا الحقيقة والديانة المسيحية ، وعقيدتنا الكاثوليكية المقدسة التى تنسخ شريعة موسى التى حلت محلها شريعة المسيح. إن شريعة المسيح تبطل كافة الشرائع الأخرى ، وخاصة شريعة محمد الضالة الحافلة بالكاذيب والتزييف الذى يتعارض مع المنطق الطبيعى .

لكل ما ذكر لا يجب أن تقبل الأعذار المقدمة من الموريسكيين وممن يحملونهم ، إذ يقولون إنهم لم يتعلموا الدين المسيحى ؛ فمن الواضح أن هذا يتعارض مع الحقيقة. إنهم يقولون ذلك لأهداف خبيثة يخفيها ثوب مستعار من القداسة بهدف الاستمرار فى شرورهم ، وبهدف الحصول على فترة هدنة يستعملونها - كما هو شأن الخونة - فى مواصلة آثامهم. إن سادة الموريسكيين من المسيحيين - رغم أنهم يقومون بذلك بدافع الحرص على الدين المسيحى - يجهلون هذه الجرائم التى يقترفها الموريسكيون ، وأدعو الله ألا يكون دافعهم فى ذلك هو الحرص على مصالحهم الشخصية ، فهؤلاء

الموريسكيون يؤدون للسادة خدمات كبيرة كعبيد ، بأشخاصهم وبأموالهم وبدوابهم ، ومن المؤسف أن السادة يعلمون أن هؤلاء ملحدون - رغم عدم إعلان كونهم كذلك - ومع ذلك فإنهم يصطحبونهم إلى بيوتهم ، لا لتعليمهم شريعة يسوع المسيح ، بل لقضاء مصالحهم الخاصة. إن الله لا يخفى عليه شيء ، ويعلم ما تخفى الصدور ؛ لذلك فعلى السادة أن يحترسوا من استضافة المسلمين في بيوتهم والتعامل معهم ، فكلهم ملحدون ؛ ولذلك فإن التعامل معهم لا يجوز .

لهذه الأسباب يتضح أنه لتتصير هؤلاء المسلمين ليس من الضروري حرمانهم من لباسهم ومن لغتهم العربية ، ولا إخراجهم من محال إقامتهم على ساحل البحر ، لأن مسلمي أراغون وكاستيا يتحدثون الإسبانية بطلاقة ويلبسون زي المسيحيين القدامى ، ويعيشون في أماكن بعيدة عن البحر ، ومع ذلك فإنهم مسلمون كمسلمي بلاد البربر ومسلمي مملكة فالنسيا . لا يكفي كذلك لحل المشكلة توزيع الموريسكيين على قرى المسيحيين القدامى ؛ لأن الموريسكيين الذين يعيشون في فالنسيا وسيغوربي وخاتيا وغانديا وإليسي وأوريغيا وسرقسطة وطرويل وكالاتايد وأرييلا وبايا نوليد وسيغوبيا وأبيلا ومدينا ديل كامبو.... كلهم مسلمون ، بل ويخشى أن تكون أعدادهم الكبيرة في هذه المدن والقرى سبباً في أن يؤدوا شعائر محمد بحرية تفوق حريتهم لو أنهم عاشوا في قرى صغيرة يمكن فيها بسهولة التعرف على حياتهم .

يتضح ذلك من تجارب إسبانيا مع المسلمين الذين أخرجوا من مملكة غرناطة ؛ فبالرغم من مرور سنوات كثيرة على إقامتهم في قرى كاستيا التي نُقلوا إليها وسمعوا فيها تعاليم المسيحية إلا أنهم الآن مسلمون كما كانوا في غرناطة ، سواء من يعيشون في بيوتهم الخاصة أو من يعيشون كخدم في بيوت المسيحيين القدامى. إننا نجد فيهم جميعاً نفس الجرائم: الختان ، وعدم الاعتراف في الكنيسة ، وعدم فهم عقيدة المسيح وحبها ، وعدم كراهية دين محمد .

يتضح من كل ما نذكر أن هؤلاء المسلمين ملحدون وأعداء لشريعة المسيح ولكل المسيحيين الذين يحافظون عليها. إنهم كل يوم يسخرون من عقيدة التثليث ، ومن كل بنود عقيدتنا الكاثوليكية ، ومن الكنيسة ومقدساتها وطقوسها . إنهم يحافظون على شريعتي موسى ومحمد بكل إصرار .

ثم إنهم جواسيس للسلطان التركى عدونا ، وهم قتلة وقطاع طرق ولصوص
ومرتكبوا جرائم ومثيرون للبليلة.

إن كل ما ذكرناه صحيح لا يجب الشك فيه. إن مولانا الملك خايمى طيب الذكر
كان فقيراً ، ومع ذلك فقد طرد من فالنسيا أكثر من مائة ألف مسلم . كان الملكان
الكاثوليكيان فقيرين عندما بدءا فى حكم ممالك إسبانيا ، وكانا مطالبين بنفقات كبيرة
من جراء الحروب فى البرتغال ونابارا وغرناطة ، ولما كانت دخولهما لا تكفى لكل هذه
النفقات كانا يستعينان بأموال المعابد اليهودية وبأموال يهود هذه الممالك ، إلا أنهما
كانا شديدى الحرص على الدين المسيحى لدرجة أنهما ضحيا بمصالحهما الدنيوية ،
وطردا من ممالكهما اليهود الذين كانوا يعيشون فيها ؛ لأنهم بعد قرون من بقائهم
فى إسبانيا لم يعتنقوا دين المسيح ؛ ولأنهم عن طريق الربا كانوا يسرقون أموال
المسيحيين كل ذلك رغم أن اليهود لم يكونوا ملحدين ، ولم يكونوا قد عمدوا ،
ولم يكونوا نوى عادات سيئة كالموريسكيين ، ولم يكونوا جواسيس للأتراك ، ولا قتلة
ولا قطاع طرق كالمسلمين ، ولم يقوموا بثورات فى أى مكان كما فعل هؤلاء المسلمون ،
ولم نخش منهم شيئاً كما نخشى المسلمين ، ولم تكن لديهم أسلحة هجومية أو دفاعية
معلنة أو مخبأة كما للمسلمين أسلحة. إن الملكين الكاثوليكين لم يضعوا فى حسابهما
العدد الكبير من اليهود الذى كان موجوداً - وهو عدد كان يفوق عدد المسلمين
الموجودين حالياً بكثير - بل قلدا النبى إلياس الذى دعا الله أن يربك الأنبياء الكاذبين
الذين كانوا موجودين فى عصره (لكل ذلك لا يجب أن نستمع إلى صوت من ينادى
بالعفو عن المجرمين) . إن الملكين الكاثوليكين لم يضعوا فى حسابهما أنذاك الخدمات
التي كان يمكن أن يؤديها اليهود بأشخاصهم وأقوالهم ونصائحهم للسلطان التركى ،
ولم يضعوا فى حسابهما كذلك الفائدة الدنيوية التي تعود من اليهود عليهما .

إن هذا لا يجب أن يعارضه ما يقوله البعض من أننا نكسب أطفال المسلمين
الذين يموتون على المسيحية. إن الآباء ملحدون ولا يطلبون التعميد ، ولا يؤدون شعائر
الكنيسة بل يؤدون شعائر محمد ، وإن إخوانهم من الشباب لم يطلبوا التعميد أبداً ،
بل يخالفونه كالآباء وهذا ما يمكن أن نقوله عن الأطفال من أبناء المسلمين ،
فسيكونون مثل آبائهم ؛ لأن لهم نفس الطبيعة ، ولأنهم تلاميذهم. وحتى لو كان الأطفال

سيعتقدون المسيحية فإن هذا ليس سبباً في أن نسمح بكفر الكبار، ولا يجب أن تعرض ممالكك يا صاحب الجلالة للخطر بأن يتواجد فيها عدد كبير من الكفار رغم أنهم متعمدون ، خاصة وأنه من المؤكد أنهم مسلمون وملحدون ؛ لهذا لا يجب أن نضع في الاعتبار ما يقوله البعض من أنه لو طُرد المورييسكيون إلى البربر فسيتخلون عن المسيحية ، فقد حدث ذلك بالفعل.

لا يجب أن نضع في الاعتبار كذلك أن السلطان التركي سيقتل أو سيطرد من عنده من المسيحيين لأنه لم يفعل ذلك عندما طرد اليهود من إسبانيا ، رغم أنهم ذهبوا إليه لتقديم الشكوى ؛ ذلك لأن المسيحيين الأحرار الموجودين عند السلطان التركي سيحتفظ بهم السلطان للاستفادة بالضرائب التي يدفعونها ، ولأن هذا الطاغية الكافر سيفضل مصلحته الخاصة على قتل المسيحيين ، الذين لا يعرفهم والذين لا يفيد قتلهم شيئاً .

ولما كان الأمر كذلك ، ولما كانت إرادة الله أن تكونوا يا صاحب الجلالة سيد أكبر مملكة من ممالك المسيحية ؛ فعليكم واجب تطهير هذه الممالك من طائفة محمد ، ومن كل من يحافظ على شعائرها . لكل ما ذكرناه من أسباب تتعلق بطاعة الرب ، وتأمين الديانة المسيحية ، وتأمين الممالك الإسبانية ، ولأن المسلمين أكثر ضرراً من اليهود والأريانيين الكفرة ... فإنه يتعين على جلالتم إبداء الرغبة والحب وطاعة الرب ، كما أظهرتم وتظهرون يوماً رغبتكم في الدفاع عن الكاثوليكية ، وملاحقة الملحدين دون نظر إلى مصالح دنيوية عامة أو خاصة ، فإن هذه المصالح هزيلة ، والرب سيعوضكم عنها . ولو أمرتم جلالتم بذلك فسيتحقق بسهولة بوسائل يمكن لجلالتم اتخاذها . ورغم أنني أفكر في بعض الوسائل إلا أنني لا أستطيع ذكرها ، إذ ليس لدى إذن منكم ، ولأن هذه القضية يجب أن تناقش مع المقر البابوي ؛ لذلك فمن المناسب أن تأذن جلالتم بعقد اجتماع في طليطلة - أو في أي مكان آخر ترونه - لمناقشة هذه القضية . ونظراً لأهميتها الروحية والدنيوية ؛ فمن المناسب أن تنظروا في هذه المبررات التي أسوقها لمعالجة المشكلة التي أدعو الله ألا تزيد حدة... فمن ضمن بنود العقيدة المقدسة أن من يستطيع حل مشكلة واضحة ولا يحلها يثير الشك في أنه يؤيد من قام بها... هذا ما يقوله القديس خيرونيمو . أسأل الرب أن يجزيكم عن كل ذلك خيراً في الدنيا وفي الآخرة .

كل ذلك كتبته بدافع الرغبة فى طاعة الرب وفى خدمة جلالكم ، وقد قدمت ذلك على المصالح الدنيوية ومصالحتي الخاصة ؛ لأنكم لو فعلتم ما أراه فسأفقد ثلاثة آلاف بوقية ، وأرى أن نضحى بذلك طاعة للرب وخدمة لجلالكم . من أجل ذلك أقول لكم - كخادم مطيع ، وكابن بار للكنيسة المقدسة ، وللمقر البابوى ، ولجلالكم - إنه لو كنت فى مذكرتى قد تجاوزت حدودى ، أو أخطأت فإن الخطأ لم يكن عن إرادة منى ، وأترك تصويب ما أخطأت فيه لجلالكم ، وأرجو أن يحفظكم الرب نُخْراً للكنيسة . أمين

أسقف سيغوريى

مدريد فى ٣٠ يوليه ١٥٨٧

قضية نظرتها محكمة التفتيش

ضد السيد/كوسمى بن عامر وهو مورييسكى من فالنسيا

نسخة من القضية المرفوعة ضد السيد / كوسمى بن عامر ، وهو مسلم متنصر حديثاً ومن بلدة بناغواثيل .^(١)

فى فالنسيا وبتاريخ ٣ مايو ١٥٦٧ وأمام السيد/ خيرونيمو مانريكى عضو محكمة التفتيش حضر السيد/ أوبييدو ممثل النيابة لدى المحكمة وقدم المذكرة بالشكل التالى :

« سادتى :

حضرت أنا أوبييدو (ممثل النيابة لدى محكمة التفتيش هذه) أمامكم وأقول ما يلى: إن السيد كوسمى بن عامر ، وهو مسلم متنصر حديثاً من بلدة بنى غواثيل ، مسجل فى سجلات هذه المحكمة على أنه قد عاش حياة المسلمين ، وأدى شعائهم ، وأنه حاول إقناع مسيحي قديم أن يتحول إلى الإسلام ، فشرح له عقيدة محمد التى أتهمه بها . أطلب منكم إصدار الأمر باعتقاله ومصادرة ممتلكاته ؛ وذلك تحقيقاً للعدل . توقيع أوبييدو "

شهادة انخيلا زوجة خامى أليمان :

تشهد أنها - وعمرها ستة عشر عاماً - قد أدت شعائر المسلمين ، فصامت رمضان ، وأنها كانت خادمة للسيد/ خيرونيمو بن عامر فى بناغواثيل بعد أن كانت تعمل خادمة فى بيت هاشم فى سيغورى ، وفى بيت السيد/ خيرونيمو صامت رمضان معه ومع زوجته وأبنائه ، وهم السيد/ كوسمى والسيد/ خوان والسيد/ ايرنانو والسيدة/ أغريدا ، وقد احتفل كل هؤلاء بعيد المسلمين فارتدوا أفضل الثياب لديهم . وهذا ما حدث بالضبط فى بيت هاشم فى سيغورى - والسيد هاشم متزوج من السيدة/ أغريدا ابنة السيد/ خيرونيمو - فلم يكونوا يأكلون طوال اليوم حتى حلول

الليل . تعترف الشاهدة بأنها لا تعرف الصلاة ، بل تعرف بعض الدعوات ، وقد رددتها باللغة العربية .

شهادة بيرنات المعلم :

لما كان مسئولاً عن زهاب الموريسكيين فى بناغواثيل لسماع الوعظ فهو يعلم يقيناً أنهم جميعاً يؤدون شعائر المسلمين ، وقد شاهدتهم يصومون رمضان من أول شهر يوليه ، وقد احتفلوا جميعاً بالعيد فى شهر أغسطس بمساعدة السادة الذين كانوا يحمونهم من محكمة التفتيش ، ورغم أنهم قد تنصروا حديثاً إلا أنهم ليسوا مسيحيين ، ولا يعيشون كمسيحيين ، بل يتعاملون ويعيشون كمسلمين ، وهم الآن فى هذا الوقت بالتحديد أسوأ من أى وقت مضى ، ولا ينقصهم سوى دق الطبول - كما كانوا يفعلون سابقاً - لدعوة الناس إلى الصلاة فى المسجد ؛ لأنهم يمارسون أعمالهم فى أيام الأحد والأعياد وأولادهم مختنون ، بحيث أنهم مسلمون الآن أكثر من أى وقت مضى .

فى مدينة فالنسيا وبتاريخ ٢٢ مايو عام ١٥٦٥ ، أمام عضو محكمة التفتيش بيرناردينو دى اغييرا ، حضر غاسبار كوسكويلا ، وهو تاجر يعيش فى بال دى أوشو فى قرية بنى غافول وقال إنه فى قرية بيو فى سبييرا دى سليدا هناك موريسكى فقيه يدعى آيت ، وفى سوييرا التابعة لسبييرا دى سليدا هناك فقيه آخر يدعى سليمان ، وفى قرية فانسارا التابعة لسبييرا دى سليدا هناك ثلاثة فقهاء هم : عيسى (وينظر إليه الناس على أنه عالم كبير فى الشريعة ، سواء على مستوى القرية أو على مستوى كل مملكة فالنسيا ؛ ولهذا يحضر إليه كثير من الموريسكيين طلباً للفتوى ، وهو يجيب على أسئلتهم ويحل منازلهم ، وهو يعرف اللغة القشتالية قراءة وكتابة ، ويعيش فى كل أموره كمسلم حقيقى) والفقيه الآخر يدعى سليم ، أما الثالث فاسمه توتايال . وفى بال بوخو يعيش الفقهاء الآتى ذكرهم : فى قرية بنى قاعة يعيش الفقيه صديق ، وفى اثانيتا يعيش ابن يوسف خيريت ، وابن فوزى خيريت ، وهما أولاد عم أبواهما أخوان ، وهما شابان ، وفى نفس قرية اثانيتا هناك موريسكى آخر اسمه بيكاثيت يعلم الأطفال اللغة العربية ، وفى قرية ثونيخا هناك فقيه شاب اسمه أدال ، وهو ابن حميمات أول ، والاثتان - الأب والإبن - يعلمان اللغة العربية ، وفى مدينة سيغوربى هناك فقيه آخر اسمه تاسين ،

وفى بال دى سيغو - فى قرية كوارتيل - هناك فقيه آخر اسمه تاوريت ينظر إليه الناس على أنه عالم كبير فى اللغة العربية ، وفى قرية المديخار هناك فقيه يُدعى سليم ويعتبره الموريسكيون عالماً كبيراً . وهناك فى قرية أثوكوا فقيه اسمه يوسف ، وهو ابن فقيه متوفى اسمه محمد ، وفى قرية البلد التابعة للسيد/ خيرونيمو بياراسا هناك فقيه اسمه سعد ، وفى قرية مورو المجاورة لكوثنتاينا هناك فقيه اسمه شوبوش يعتبره الموريسكيون عالماً كبيراً ، ويراها البعض أحد أعمدة الإسلام فى مملكة فالنسيا ، ويتبع الموريسكيون رأيه. كل الأشخاص المذكورين أعلاه يعرفهم الشاهد ويعلم أنهم فقهاء وأنهم يعيشون وفقاً للشرعة المسلمين ، ولا يمارسون أية طقوس مسيحية ، فلا يسمعون الوعظ ولا يعترفون.

وفى كاستيون دى روغات هناك فقيهان اسمهما سعد ومديديت ، وفى قرية كاركرى هناك موريسكى اسمه سليم يراه الموريسكيون عالماً بالشرعة ، وفى غانديا هناك فقيه اسمه ثوميا يعتبره الموريسكيون عالماً ويحترمون رأيه، وفى بال دى مارانين هناك فقيه آخر اسمه تالايما يعتبره الموريسكيون من العلماء. هؤلاء الأشخاص ، وإن كان الشاهد لا يعرفهم بصفة شخصية ، إلا أنه استعلم عنهم من خلال موريسكيين كثيرين ، فقالوا له إن كل هؤلاء الأشخاص فقهاء وعلماء فى الشريعة ودين محمد ، وكلهم يعيشون كمسلمين.

ولما سأل السيد/ خيرونيمو مانريكي عضو محكمة التفتيش الشاهد غاسبار كوسكويما فى (١ فبراير ١٥٦٧) عما إذا كان يعلم أو يتذكر شيئاً آخر ضد الأشخاص المذكورين أعلاه قال:

فيما يتعلق بمحاولة تنصير المسلمين ، أرى أن الشيء الرئيسى الذى ينبغى القيام به هو تنصير سادة الموريسكيين ، لأنهم السبب وهم الذين يحرضون الناس على البقاء كمسلمين ، هكذا يقولون لهم ، وهكذا سمعهم الشاهد ، وقد ذكر الموريسكيون للشاهد أن قرآنهم يأمر بطاعة الملك فإذا ضغط الملك عليهم ودافقوا عن أنفسهم قدر استطاعتهم ومع ذلك استمر ضغط الملك فإنهم لا يستطيعون التخلي عن الإسلام. هكذا يأمرهم القرآن: أن يطيعوا أوامر الملك كما يطيعون الله.

ورغم أن أبناء السيد/ خيروينمو دى ابن عامر وهم السيد / فيرناندو والسيد/ كوسمى والسيد/ خوان وابن أخ لهم اسمه السيد/ خيروينمو ، رغم أن بعضهم تابع لمحكمة التفتيش إلا أنهم أعمدة الإسلام فى هذه المملكة ، فرغم أنهم يقولون إنهم مسيحيون مخلصون إلا أنهم فى داخلهم مسلمون كمحمد . وذات يوم من عام ٥٩-١٥٦٠ قالوا جميعاً - عدا السيد/ ايرناندو - قالوا للشاهد فى بناغواثيل إنهم يعجبون منه ، لأنه رغم علمه بالحقيقة إلا أنه ليس مسلماً ، وقال لهم الشاهد كلاماً معناه أن دينهم سيئ ، وأن محمد مثل مارتن لوثر . وقد تحدث المذكورون مع الشاهد وقالوا له إن دين محمد أفضل من دين المسيحيين ، والشاهد يعلم أيضاً أن المذكورين قد أرسلوا أبناءهم إلى مكان ما فى الفانديغيا لكى يتعلموا القراءة والكتابة باللغة العربية ، وذكر أنهم أرسلوا أبناءهم لكى يتعلموا على يد فقيه اسمه عبد الملك يعيش فى مكان ما فى الفانديغيا التابعة لبال دوخو ، وذكر كذلك أن المسلمين يحترمون الأشخاص المذكورين ، وقال إنه من المعلوم بين الموريسكيين أن الأشخاص المذكورين مسلمون .

ولما سُئل الشاهد عما إذا كان يعلم من هم السادة الذين يقفون وراء بقاء الأشخاص المذكورين كمسلمين قال: نوق سيغوربى والأدميرال والسادة الآخرون ، ورغم أنه لا يعلم شيئاً خاصاً عنهم إلا أنه يعلم ذلك من كلام المسلمين ، فهم الذين قالوا له ذلك . يقول المسلمون إن السادة يوافقون على أن يكونوا مسلمين ؛ ولهذا فمن المناسب تنصير السادة أولاً . ويرى هذا الشاهد أن حرص بنى عامر على التعاون مع محكمة التفتيش إنما ينبع من رغبتهم فى تضليل محكمة التفتيش ، لا من الغيرة على الدين المسيحى .

فى فالنسيا بتاريخ ١٣ فبراير ١٥٦٧ ، وأمام انريكى عضو محكمة التفتيش ، حضر القسيس ميغيل خيروينمو سامبيرى مبشر شيبا وقال: إنه رأى فى قرية شيبا كلاً من السيد/ كوسمى بن عامر ، والسيد/ خوان بن عامر ؛ وهما أخوان مسلمان متصران حديثاً ، ومن بناغواثيل ، وإن الموريسكيين يحترمونهما إلى حد كبير ، وإن لهما معاملات كثيرة مع الموريسكيين ، وهؤلاء يرحبون بهما ، وإن السيد/ خوان عندما يأتى إلى شيبا فإن الموريسكيين يسمونه علياً ويقبلون يديه وثوبه ، وهكذا يفعلون مع السيد/ كوسمى الذى يطلقون عليه اسماً إسلامياً - لا يدري هل هو أحمد أم إبراهيم -

وأنة من المعلوم فى شيبا أن المذكورين يعيشان كمسلمين ، وأن أشخاصاً كثيرين يرونهما وهما يحملان أسلحة فيتعجبون(*)

فى فالنسيا بتاريخ ١٣ يونيه عام ١٥٦٧ قدم ممثل الادعاء لدى محكمة التفتيش إلى انريكى عضو محكمة التفتيش المذكورة التالية:

سانتى:

اوبييدو ، ممثل الادعاء لدى محكمة التفتيش هذه ، يمثل أمامكم ويقول ما يلى:
إننى خلال الأيام الماضية طلبت منكم أن تأمروا باعتقال السيد/ كوسمى بن عامر (من بناغواثيل) ومصادرة ممتلكاته لارتكابه جرائم ضد عقيدتنا المقدسة ، وقدمت معلومات متوافرة لدى إلى هذه المحكمة ، والآن توفرت لدى أدلة جديدة ضد المذكور أقدمها لنفس السبب ، ونظراً لأن معظم الشهود على هذه الأدلة سيودعون السجن ؛ فإننى أطلب تأجيل سجنهم حتى تثبت أقوالى ثم بعد ذلك يسجن الشهود فى أقرب وقت .
« توقيع أوبييدو » .

القرار:

قال خيرونيمو مانريكى عضو محكمة التفتيش عند تقديم المذكرة السابقة : بما أننا طالبنا أعضاء المحكمة بسجن السيد/ كوسمى ولم يصل ردهم حتى الآن، فلتُرسَل هذه المذكرة مصحوبة بالمعلومات المتوافرة عن السيد/ كوسمى إلى السادة أعضاء المحكمة لإبداء الرأى.

فى فالنسيا بتاريخ ٣٠ مايو ١٥٦٧ استدعى مانريكى عضو محكمة التفتيش رجلاً مودعاً بسجن محكمة التفتيش هذه ولما سُئل السجين أجاب أن اسمه المسيحى «خوان باوتستا» وأن اسمه الإسلامى هو أحمد ، وأنه من القاهرة ، ويقيم فى ساينت ، وأن عمره أربعون عاماً ، وأنه مسجون منذ أمس ، وأنه لدى مروره ببناغواثيل تعرّف

(*) من المعلوم أن الموريسكيين كان محظوراً عليهم حمل أسلحة، وذلك بمقتضى قرارات كثيرة صادرة من السلطات المسيحية على اختلاف درجاتها. (الترجم)

على السيد/ كوسمى بن عامر ، وهو ذو بشرة ليست بيضاء جداً وملابسه حسنة ، ويحمل سيفاً ، وتحدث معه عن بلاد البربر ، وذكر له أنها بلاد طيبة ، وأن ثمارها طيبة صيفاً وشتاءً ، وتحدث الاثنان عن القرآن بشكل بدا معه أن السيد/ كوسمى مسلم.

فى فالنسيا بتاريخ ١٢ يونيه ١٥٦٧ أحضر رجل كان مودعاً بالسجون السرية ومثل أمام مانريكي عضو محكمة التفتيش ، ولما سُئل أجاب أن اسمه بدرو ، وهو من ترمسان (تلمسان؟) Tremicen ببلاد البربر ، ويقيم فى بونيول ، وعمره خمسة وعشرون عاماً ، وأنه أودع السجن هذا الصباح ويرى أنه أودع السجن لأنه مسلم ، ولأنه يؤمن بدين محمد ككل أبناء قرية بونيول ، فهم مسلمون ويؤمنون بدين محمد ، ويصومون رمضان، ويؤتون بقية شعائر الإسلام. وفى بناغواثيل يعيش السيد/ كوسمى والسيد/ خوان والسيد/ ايرناندو ، وهم من عائلة ابن عامر، كمسلمين ويؤتون نفس الشعائر ، وهم نصحوا الشاهد بأن يكون مسلماً وأن يترك المسيحية ، وأن السيد/ كوسمى المذكور أرسل إلى بيت مسلمة ساحرة يسميها المسلمون نظارة كي تبحث عن كنز لآلى كان جده القائد قد دفنه فى مكان مجهول، وأن السيد/ كوسمى كان يقرأ القرآن لزوجه ولخدمه ، ويعلمهم مبادئ شريعة محمد ، ويقول لهم إنها شريعة طيبة. والسيد/ ايرناندو ابن عامر شقيق كوسمى مسلم جيد أيضاً رآه الشاهد يؤدى الصلاة ويصوم رمضان مثل كل أفراد أسرته ، ورغم أن لديه زوجة على قيد الحياة تعيش فى بنى زنون ، إلا أنه تزوج بأخرى ، هى فيكتوريا فيلومينا ، طبقاً لتعاليم الإسلام ، على يد فقيه من بناغواثيل يعلم الأولاد الصغار مبادئ شريعة محمد . وبالإضافة إلى ذلك فإن عائلة ابن عامر لديها عبيد - أحدهم عربى واثنان من السود - مسلمون أيضاً يصومون رمضان مع سادتهم . وفى كاستيانو المجاورة لسيغوربى رأى الشاهد شاباً يقوم بختان الأطفال الموريسكيين فى شيلبا وفى قرى أخرى ، والشاب يحصل على قمح ونقود مقابل قيامه بختان الأطفال ، والشاب يجرى عملية الختان باستخدام مقص. وفى شيلبا هناك فقيه اسمه سيسونيت يعلم القرآن والشريعة الإسلامية لأولاد الموريسكيين ، ويحدث ذلك فى بوليت وفى قرى أخرى حيث يوجد فقهاء يجهل الشاهد أسماءهم المسيحية ، وكلهم متقدمون فى السن عدا بوليلة ، فعمره يتراوح بين الثلاثين والخامسة والثلاثين ، وهو يمارس السحر فيحضّر الجان ، ويقوم بعلاج المرضى كطبيب .

فى فالنسيا بتاريخ ٢٨ يونيه ١٥٦٧ مثل بدرو غريغوريو ؛ وهو سجين منذ اليوم السابق ، أمام كل من خيرونيمو مانريكي وخوان دى روخاس عضوى محكمة التفتيش ، ولما سُئل كان جوابه على النحو التالى: إنه من المغرب، ويقيم فى بناغواثيل، وتم تعميده فى لشبونة عندما كان عمره اثنى عشر عاماً. كل سكان بناغواثيل يعيشون كمسلمين ، سواء من حيث العقيدة أو من حيث أداء الشعائر ، فهم يحتفلون بأعياد المسلمين علانيةً ويصومون رمضان ، ويؤدون الصلاة سرّاً فى بيوتهم ، وهذا يحدث أيضاً فى بنى ثانو وفى قرى أخرى فى هذه المملكة. كما أن الأخوين اللذين ينتميان إلى عائلة ابن عامر فى بناغواثيل مسلمان ، ولهما فى هذا السجن ثلاثة من خدمهم مسجونون ، وكانوا قبل ذلك يفضلون الموت على الإدلاء بشهادة ضد ساداتهم. الأخوان هما سادة القرية ويحترهما الجميع ، وربما كان السادة هم الذين علموا الخدم قبل سجنهم حتى لا يفصحوا عن شىء ولا يقولوا الحقيقة أمام محكمة التفتيش هذه.

فى فالنسيا وبتاريخ ٢١ مايو ١٥٦٧ مثل أمام انريكي عضو محكمة التفتيش فرانتيسكو بيبس وهو مسلم مغربى متنصر حديثاً ومودع فى سجن محكمة التفتيش وقال: إنه كان مسلماً فى الحقيقة ، وصام رمضان برفقة السيد/ ايرناندو والسيد/ كوسمى والسيد/ خوان ، وهم أخوة من عائلة ابن عامر . وقد رآهم الشاهد يصومون رمضان ، وهم مسلمون وأن السيد/ ايرناندو اسمه الإسلامى إبراهيم ، وأن المسلمين جميعاً يحترمون عائلة ابن عامر ؛ لأنهم أهل شرف ، ولأنهم يعاملونهم معاملة طيبة. وأنه رأى أنهم يحتفلون بأعياد المسلمين عندما يحين وقتها ، وأنهم يذبحون الأضاحى للاحتفال بالعيد ، وقد رآهم يصلون صلاة "الحمد لله" و"قل هو الله" ، ويتذكر أنه رأى السيد/ كوسمى وهو يقرأ القرآن ، ويقرأ كتباً أخرى من كتب المسلمين ، وكان السيد/ كوسمى يطلب من الشاهد أن يكون مسلماً ، وعندما كان السيد/ كوسمى يقرأ القرآن أمام الشاهد كانت تحضر معه زوجته وابنتاه: الأولى عمرها ١٨ عاماً والثانية ١٥ عاماً ، وهما مسلمتان وتعيشان بشكل إسلامى. والشاهد يتذكر أنه ذهب ذات يوم إلى منزل السيد/ خوان دى ابن عامر فقالت له فتاة موريسكية إنه لا يمكنه الدخول لأن السيد خوان يؤدى الصلاة. ويرى الشاهد أن كل سكان بناغواثيل من أكبرهم إلى أصغرهم مسلمون ، وأن عائلة بن عامر تتسبب فى إلحاق الأذى بالموريسكيين ، فهؤلاء ينظرون

إلى العائلة على أن أفرادها من أهل الشرف والرأى ويأتمرون بأوامرهم. وقد ذهب الشاهد مع السيد/ كوسمى إلى العاصمة ، ورأى أن ميراندا عضو لمحكمة التفتيش عامله معاملة طيبة وعامل الجميع بشكل طيب لكى يحضروا الأسلحة ، بل وجعلهم من المتعاونين مع محكمة التفتيش.

فى فالنسيا وبتاريخ ٢٥ يونيه ١٥٦٧ ، وأمام مانريكى عضو محكمة التفتيش ، حضر انيغو دى مندوثا نزيل سجون محكمة التفتيش وقال: إن أفراد عائلة ابن عامر فى بناغواثيل يعيشون كالمسلمين، بل إنهم يشجعون الموريسكيين لكى يكونوا مسلمين . ولما كان الشاهد فى قرية مورو - وهى قرية موريسكية فى كوثنتيانا يعيش فيها فقيه - مات والد أحد أفراد عائلة ابن عامر واسمه خيرونيمو فاستدعوا الفقيه لكى يقوم بتقسيم الميراث حسب شريعة المسلمين ، وكان الفقيه مسروراً لتوزيع التركة بهذه الطريقة. كانت التركة تتضمن - بين أشياء أخرى - نقوداً تركها السيد/ خيرونيمو بين ذهب وفضة. وقد استمرت عملية إحصاء النقود يومين كاملين ، وقام الفقيه بتوزيع النقود وفق شريعة المسلمين ، وأخرج العُشر لكى ينفقه على تحرير العبيد المسلمين ، وعلى الصدقات لفقراء الموريسكيين . وقد أبدى الورثة بعض التحفظ ، إذ كانوا يخشون أن يؤدى ذلك إلى معرفة أن لديهم ثروة كبيرة فيستولى عليها صاحب الجلالة.

فى فالنسيا وبتاريخ ١٤ مايو ١٥٦٧ كان السيد/ خيرونيمو مانريكى عضو محكمة التفتيش فى صالة السر بالمحكمة ، ولم ينتظر زميله غريغوريو دى ميراندا عضو محكمة التفتيش - الذى ذهب للقيام بزيارة كنسية بناءً على أوامر محكمة التفتيش العامة - فاستدعى أصحاب القداسة السيد/ توماس دى أسيون المرشح لشغل منصب أسقف سائير وبيرناردينو غوميث دى ميديس قسيس فالنسيا ، والقاضى موربيدرو (كمستشارين فوق العادة) ، والسيد ميغيل غوميث دى ميديس ، والسيد كريستوبال رويغ، والسيد خوان دى أغيرى ، والسيد سيمون فريغولا المستشارين العاديين . استدعى الجميع للبحث والتحرى والتفكير فيما يجب عمله إزاء الأدلة المتوافرة لدى محكمة التفتيش هذه ضد السيد/ كوسمى بن عامر المسلم المنتصر حديثاً ، وهو من أبناء هذه المملكة ويقيم فى بناغواثيل. وبعد أن اطلع الجميع على الأدلة وتناقشوا بشأنها كانت آراؤهم كالتالى:

يرى كل من السيد/ توماس دى أسيون المرشح لشغل منصب أسقف سائير والسيد/ بيرناردينو غوميث دى ميديس تأجيل سجن السيد/ كوسمى لبعض الوقت ، أما كل من السيد/ ميغيل غوميث دى بيديس والسيد/ كريستوبال رويغ . وهو من مجلس صاحب الجلالة ، والسيد/ خوان دى أغيرى ، والسيد سيمون فريغولا فقد قالوا إنه بما أن كلاً من السيد/ كوسمى والسيد/ خوان والسيد/ خيرونيمو (الجميع من عائلة ابن عامر) قد تحاوروا مع غاسبار كوسكوبا بهدف إقناعه بالدخول فى الإسلام ، وبناءً على الأقوال الواردة بحقهم ، وأنهم كانوا مسلمين ، فيرون أن يسجنوا وأن تصدر أملاكهم ، وذلك لأن أفراد عائلة ابن عامر المذكورين قد اعتنقوا ديننا المقدس وسمعوا الخطب والوعظ، ويبدو أنه لا ينطبق عليهم المبرر الذى ينطبق على الموريسكيين الآخرين الذين يقولون إنه لم يتم أحد بتعليمهم مبادئ العقيدة الكاثوليكية. من المناسب إذن أن يُسجنوا، وأن توقع عليهم العقوبات التى تتناسب مع جرائمهم ، وهى أنهم قاموا بحمل السلاح ، وأنهم من المتعاونين مع محكمة التفتيش ، فكان يتعين عليهم أن يتصرفوا كمسيحيين مخلصين ؛ فهذا هو ما استحقوا عليه ذلك التكريم، لكنهم خدعوا الناس بالمظاهر الخارجية. من المناسب أيضاً بل ومن الضرورى لكى يتعظ الموريسكيون أن تُنتزع عائلة ابن عامر من بينهم ، وما لم نفعل ذلك فلن يجدى أى شئ آخر.

وقال مانريكي عضو محكمة التفتيش إنه يرى سجن السيد/ كوسمى فقط ومصادرة ممتلكاته ، ولكن بما أن هذا الأمر خطير فنرى مناقشته مع السادة أعضاء محكمة التفتيش العامة لكى يبدوا الرأى فيما يجب عمله طاعةً للرب ، وعليه فإنه يرى أن يناقش الأمر مع السادة الأعضاء قبل أن يتم إلقاء القبض عليه.

فى مدينة مدريد وبتاريخ ٢١ يونيه ١٥٦٧ ، وبعد أن اطلع السادة أعضاء محكمة التفتيش العامة على الأدلة المقدمة ضد السيد/ كوسمى والسيد/ خوان والسيد/ ايرناندو (الجميع من عائلة ابن عامر) المقيمين ببناغواثيل فى مملكة فالنسيا ، قرروا: يُسجن كل من السيد/ كوسمى والسيد/ خوان والسيد/ ايرناندو بن عامر وتُصادر ممتلكاتهم.

فى فالنسيا وبتاريخ ١ يوليه ١٥٦٧ ، وتنفيذاً لأوامر السادة أعضاء محكمة التفتيش العامة ، قرر كل من خيرونيمو مانريكي وخوان دى روخاس عضوا محكمة

التفتيش إلقاء القبض على السيد/ كوسمى والسيد/ خوان والسيد/ ايرناندو بن عامر، وإبداعهم سجن محكمة التفتيش ومصادرة ممتلكاتهم ؛ ولتنفيذ هذا الأمر تم إعلام حاجب محكمة التفتيش .

فى فالنسيا وبتاريخ ٢٨ يوليه وأمام مانريكى عضو محكمة التفتيش حضرت سيدة ، ولما سُئلت كانت إجابتها كالتالى: إن اسمها المسيحى هو فرانتيسكا واسمها الإسلامى فاطمة ، وهى متزوجة من فرانتيسكو بيبيس ، وأنها من بيناغواثيل ، وكانت تقيم بها إلى أن قامت عائلة ابن عامر بطردها منها ، لشكهم فى أن زوجها بيباس (هو بيبيس كما ذكرت فى شهادتها) قد وشى بهم إلى محكمة التفتيش ، حينئذ ذهب الشاهدة إلى ريباروخاس ، وهى بلدة قريبة من بيناغواثيل ، لكن السيد/ كوسمى طردها منها أيضاً لنفس السبب ، ولأنه مسلم ككل إخوته . ويقال عن السيد/ كوسمى إنه ذهب لمقابلة الملك ، ويقول الآخرون إنه ذهب لمقابلة البابا . ويقول آخرون إنه مختبئ فى السهول هرباً من محكمة التفتيش ، لكن المكان الذى تحدثت الشاهدة فيه مع السيد كوسمى هو ريباروخاس ؛ وهى بلدة له فيها بعض الممتلكات.

فى ٢٣ أغسطس ١٥٦٧ أعد السيد/ فرانتيسكو دى إيرموسا حاجب محكمة التفتيش مذكرة كتبها بنفسه ذكر فيها أنه بحث بنفسه، وبمساعدة أشخاص آخرين فى عدة أماكن ، عن السيد/ كوسمى بن عامر فلم يجده فى بيناغواثيل ولا يعلم أحد مكانه.

فى فالنسيا وبتاريخ ٢ نوفمبر ١٥٦٧ قدم ميغيل سيرانو ، ممثل الادعاء لدى محكمة التفتيش، طلباً لهيئة المحكمة يقول فيه: حيث أن حاجب محكمة التفتيش، وبعض العاملين بها لم يتمكنوا من العثور على السيد/ كوسمى بن عامر فيجب استدعائه بإعلان لكى يمثل أمام المحكمة ، ويدفع عن نفسه تهمة الإلحاد والكفر الموجهة إليه ، وقد وافق أعضاء محكمة التفتيش على هذا الطلب ، وتم توجيه الإعلان المطلوب.

فى فالنسيا وبتاريخ ١٢ يناير ١٥٦٨ ، وأمام كل من مانريكى وروخاس عضوى محكمة التفتيش ، مُثِّل السيد/ كوسمى بن عامر ، وهو مسلم متنصر حديثاً ومقيم فى بيناغواثيل ، وقال إنه بينما هو منهمك فى أعماله سمع أن محكمة التفتيش تستدعيه لكى يمثل أمامها ، وقد جاء طاعةً للأمر ومثّل أمام المحكمة ، وقد أمر السادة أعضاء

المحكمة بإيداع السيد/ كوسمى أحد السجون السرية التابعة لمحكمة التفتيش ، وأن يُسلم إلى ميغيل أنخيل أونياتى قائد السجن وقد تولى الأمر بالفعل.

فى فالنسيا ويتاريخ ١٢ يناير ١٥٦٧ وأمام مانريكي عضو محكمة التفتيش مثل السيد/ كوسمى بن عامر بعد إخراجة من السجن السرى ، ولما سُئل كانت إجابته كالتالى:

اسمه هكذا ، وهو من بناغواثيل ، ولا عمل له لأنه يعيش من ماله الخاص ، وعمره ٤٤ عاماً ، وأنه سجين منذ أمس ، أى منذ اليوم الذى حضر فيه ، قرأ على المحكمة « أبانا الذى فى السموات » ، لكنه لم يستطع قراءة صلوات Credo ولا Salve بل اكتفى بالإشارة بعلامة الصليب، قال إنه كان صغيراً عندما تم تعميده وإنهم أسموه كوسمى ، لكنه لا يتذكر ذلك ، ولا يرى أنه مسيحي بل هو مسلم كأبناء مملكة فالنسيا ، وقال إنه اعترف عدة مرات ، وإنه كان يتظاهر باتباع المسيحية، لكنه لم يكن مخلصاً إطلاقاً بل كان مسلماً ، وإنه كان يعترف من باب تنفيذ الأوامر. يجيد القراءة والكتابة باللغة الموريسكية ، لكن ليست لديه كتب إلا دفاتر الحسابات ، كان اسم والده هو السيد/ خيرونيمو بن عامر واسم والدته السيدة/ انخيليا بيتنشى دى ابن عامر وهما متوفيان. له أخوان هما ايرناندو وخوان ، وهما من بناغواثيل ، وله أخت اسمها السيدة / غرايدا وهى متزوجة فى سيفغوربى من بنيت هاشم. هو متزوج من السيدة/ بياتريث خانكور ابنة خانكور، وهو من الكاثار، منذ عشرين عاماً، وله أربع بنات فى سن الزواج؛ هن السيدة/ انخيليا والسيدة/ خايمي والسيدة/ ماريا والسيدة/ أنا وليس له أولاد آخرون ، ولم يتزوج مرة أخرى. تزوج طبقاً للدين المسيحي ، وليس وفقاً للشريعة الإسلامية. عاش طوال عمره فى بناغواثيل رغم أنه غاب عنها فترات قضائها فى قشتالة وأراغون وفالنسيا وأماكن أخرى داخل الممالك التابعة لصاحب الجلالة. إنه حتى الآن عاش كمسلم ، واعتبر نفسه مسلماً، لكنه منذ الآن يريد أن يتتصر ، ويريد أن يفعل ما يأمر به السادة القضاة. علم أن محكمة التفتيش ستلقى القبض عليه وكره ذلك ، لكنه لم يختبئ عند أحد ، ولم يهمل أعباء بيته ، فى النهاية هو لا يتذكر إلا أنه عاش طوال عمره كمسلم وأنه أدى شعائر المسلمين الدينية.

ممثل الادعاء:

فى فالنسيا وبتاريخ ٢٦ يناير ١٥٦٨ قدم ميغيل سيرانو ممثل الادعاء إلى أعضاء محكمة التفتيش مذكرة اتهام ضد السيد/ كوسمى بن عامر جاء فيها:

السادة المحترمون:

أمثل أنا/ ميغيل سيرانو ، ممثل الادعاء، لدى هذه المحكمة أمامكم، وأوجه الاتهام إلى السيد/ كوسمى بن عامر المسلم المنتصر حديثاً، والمقيم فى بيناغواثيل، والموجود فى القاعة. فرغم أنه قد عُمد وتمتع بالمزايا والحريات التى يتمتع بها المسيحيون الكاثوليك المخلصون - خاصة حق حمل الأسلحة ، رغم أنه موريسكى ، والموريسكيون الآخرون فى هذه المملكة محظور عليهم حمل السلاح - فقد سمح له بحمل السلاح ثقةً فيه ، ولعل ذلك يساعد على تنصير الموريسكيين الآخرين فى هذه المملكة ، وظناً منا أنه يخشى ربنا ويحترم أمه السيدة العذراء، لكن المتهم - امتهاناً لعقيدتنا الكاثوليكية المقدسة ، وإيماننا بدين محمد الخاطى - ارتكب جرائم الإلحاد وإقناع الآخرين بالدين الإسلامى ، وهذه الجرائم يأتى تفصيلها على النحو التالى:

١ - قام السيد/ كوسمى المذكور - لاعتقاده فى صحة الدين الإسلامى وبمشاركة آخرين من المسلمين المنتصرين حديثاً - بأداء الشعائر الإسلامية ؛ فصام رمضان ، واحتفل بأعياد المسلمين ، ونبح الأضاحى ، وارتنى أحسن ثيابه ، وأدى الصلاة ، وردد أدعية المسلمين. استمر ذلك حتى يوم اعتقاله فى محكمة التفتيش ، بل ومن المعتقد أنه حتى الآن لا يزال يظن أن عقيدة المسلمين تنقذه من النار.

٢ - لم يكتف بمعرفة مبادئ عقيدة المسلمين معرفة متوسطة ، بل حاول - بحماس شديد كمسلم - معرفة قراءة وكتابة القرآن الذى لا يجيد قراءته إلا الفقهاء ورجال الدين الإسلامى.

٣ - بعد أن أجاد قراءة القرآن وفهمه لم يكتف بأن يفعل ذلك من أجل نفسه ، بل حاول نشر دين المسلمين ، ورد المسلمين المنتصرين حديثاً إلى الإسلام حتى لا يكونوا مسيحيين ، فكان يقرأ عليهم القرآن ويفسر معناه ، وكان يشجعهم على العيش كمسلمين، وكان يقول إن الإسلام دين طيب، ويطلب منهم أن يصدقوا بكل ما قاله محمد.

٤ - لما كان يحب الإسلام فلم يكتف بمعرفة مبادئ دينه بل حاول معرفة أخبار المسلمين في بلاد البربر والشرق لكي يفخر بأن الإسلام منتشر وبأن المسلمين أقوياء ، ولما حاول أن يتحدث شخص عن أمور في القرآن فقد مدح هذا الشخص بحماس .

٥ - لم يكتف بتعليم الدين الإسلامي للموريسكيين وتشجيعهم على التمسك به ، بل حاول - بمشاركة آخرين - إقناع شخص مسيحي ليس من أصل مسلم بالدخول في الإسلام ، وكان يقول له إنه يعجب كيف لا يدخل في الإسلام رغم أنه دين أفضل من دين المسيحيين .

٦ - رغم أن ذلك الشخص المسيحي عارضه ونبهه إلى زيف الدين الإسلامي ، إلا أن السيد/ كوسمي صمم على مجادلته ، وحاول أن يساعده رفاقه في استمالة ذلك الشخص إلى دين المسلمين .

٧ - يعتبره الموريسكيون في مملكة فالنسيا كواحد من أعمدة الإسلام ، ويكونون له احتراماً كبيراً ، ويعتبرونه المرشد الرئيسى لهم ، ويستمعون إلى نصائحه دون تردد .

٨ - بعد أن توفي والده أرسل في طلب فقيه وأحضره إلى بناغواثيل لكي يقسم لهم التركة بينه وبين أخوته طبقاً للشريعة الإسلامية ، وقد حضر الفقيه وقسم التركة وأخرج العُشر منها لإنفاقه على تحرير الأسرى المسلمين والتصدق على الموريسكيين ، لكن السيد كوسمي وآخرين - خوفاً من أن يدرك صاحب الجلالة مدى ثرائهم - حاولوا إخفاء القيمة الحقيقية للعشر ، لكن الفقيه انصرف وهو يحمل نقوداً بين يديه .

٩ - لما كان السيد/ كوسمي مولعاً بالسحر والشعوذة ، فقد استدعى امرأة من اللاتي يحضرن الجان ويسميهن الموريسكيون « النظارة » لكي تستخرج له كنزاً كان القائد الذي هو جد السيد/ كوسمي قد أخفاه تحت الأرض .

١٠ - لما كان السيد/ كوسمي بارعاً في ارتكاب جرائم الإلحاد ومسجلاً في دفاتر وسجلات محكمة التفتيش ، فقد أمره الادعاء بالحضور للمثول أمام المحكمة ، لكنه لم يشأ طاعة الأمر ، بل رفضه خوفاً من أن يناله العقاب الذي يستحقه .

١١ - رغم أن هذه المحكمة اتبعت كثيراً من الوسائل لإلقاء القبض على السيد/ كوسمي إلا أنه لم يمكن العثور عليه ، وإزاء عصيانه كان من الضروري أن يتم استدعاؤه بإعلان لكي يمثل أمام هيئة المحكمة .

١٢ - بعد استدعائه بإعلان واصل عناده ، وتأخر وقتاً طويلاً لى يحضر .

١٣ - رغم اعترافه بأنه تم تعميده إلا أنه قال أمامكم إنه لا يعتقد أنه مسيحى .

١٤ - فى أحيان كثيرة اعترف كذباً لمجرد إرضاء المسيحيين .

١٥ - عند سؤاله أنكر وأخفى أسماء الأماكن التى اختبأ فيها وأسماء الأشخاص الذين اتصل بهم والذين أنفقوا عليه طوال فترة هروبه وغيابه ، ومن المناسب التحرى لمعرفة الحقيقة وحتى يُعرف الذين تورطوا فى هذه الجريمة ؛ لأن هذه المعلومات لو استمرت خافية علينا ، فستكون هناك مشاكل كثيرة .

ولقد ارتكب جرائم أخرى كثيرة كمعلم لمبادئ العقيدة المحمدية وكملحد ، وقد رفض الاعتراف بذلك خلال نظر القضية ؛ ولذلك فابنى أطلب منكم اتخاذ إجراءات ضده ، وإعلان إلحاده ، وإنه - بناء على ذلك - قد وقع تحت طائلة عقوبة مصادرة أمواله ، وإحالة القضية إلى الجهات المدنية لتنفيذ حكم الإعدام ، وأطلب أن يكون تنفيذ النيابة لقرار مصادرة الأموال اعتباراً من تاريخ ارتكابه لهذه الجرائم..... ، كما أطلب إعلان أن ورثته فاقبو الأهلية، والأهم من كل ذلك أطلب بتطبيق القانون فى حقه تطبيقاً كاملاً .

أطلب كذلك - إذا كانت الأدلة التى قدمتها غير كافية - أن يخضع السيد كوسمى للتعذيب بمعرفتكم حتى تتضح الحقيقة .

رداً على الاتهامات السابقة قال السيد كوسمى :

إنه بمقتضى هبة ملكية قد سُمح له وإخوته بحمل السلاح ، صحيح أنه كان من المتعاونين مع محكمة التفتيش ، لكنه قد أوقف هذا التعاون الذى لم يوقع بشأته اتفاقاً ، بل كان بموجب منحة ملكية. صحيح أنه عاش كمسلم منذ أن بلغ سن الرشد وحتى الوقت الحالى ، لكنه منذ الآن يريد أن يكون مسيحياً طيباً. صحيح أنه يجيد القراءة والكتابة باللغة العربية ، لكن ما يفهمه من القرآن قليل أو منعدم ؛ ولهذا فهو لم يقم أبداً بتدريس العقيدة التى يتضمنها القرآن ، ولم يحرض أحداً على أن يكون مسلماً. أما بخصوص البنود ٤ ، ٥ ، ٦ الواردة فى قرار الاتهام، فيقول إنه ينفىها تماماً ، وبخصوص البند رقم ٧ يعترف بصحة أنه من الوجهاء ، وأن الموريسكيين فى مملكة فالنسيا يعاملونه

كذلك نظراً لأنه قدم خدمات للملك أراغون وقشتالة ، وحصل من ملوكها على منح ، وبخصوص البندين ٩.٨ أنكر مضمونهما. بخصوص البند رقم ١٠ فقد اعترف بصحة أن قسيس بناغواثيل قد أخبره بأن أعضاء محكمة التفتيش قد استدعوه ، لكنه لم يحضر لأنه خاف من إلقاء القبض عليه لقلّة معلوماته ؛ ولهذا بقى فى بيته يواصل عمله دون أن يتلقى مساعدة من أحد للاختباء، فلما علم أن أعضاء محكمة التفتيش يلحون فى طلبه عن طريق الإعلان العام اعتقد أنه من المناسب المثول أمامهم ، وبخصوص البنود ١٣ ، ١٤ قال إنه يعتقد أنه تم تعميده ، وأن كل مسلمى المملكة قد تم تعميدهم كذلك ، وقال إنه قد اعترف زيفاً للوفاء بواجبه فى الاعتراف.

أقوال الشهود ضد السيد كوسمى بن عامر:

١ - قال شاهد محلف أدلى بشهادته يوم ١٠ مارس ١٥٥٦: إنه كان فى بعض بيوت بناغواثيل وسيغوربى خلال ثلاث سنوات ، فى تلك البيوت كان يصوم رمضان مع أشخاص ذكر أسماعهم ، وكانوا لا يأكلون طوال النهار حتى يحل الليل ، ورأى كيف يحتفل الناس بأعياد المسلمين بارتداء أحسن ما لديهم من الثياب. يقول الشاهد إن الناس كانوا يؤنون هذه الشعائر ظناً منهم أن اعتناق دين محمد ينجى من عذاب الآخرة ، ويقول إن من بين هؤلاء الناس كان السيد كوسمى بن عامر.

٢ - يقول شاهد محلف آخر أدلى بشهادته فى أبريل عام ١٥٦٠ إن شخصاً ما كان يتولى عملاً فى بناغواثيل على مدى عشرين عاماً ، وإن هذا الشخص قد شاهد الموريسكيين خلال تلك الفترة فرأى أنهم ليسوا مسيحيين ، ولا يعيشون كمسيحيين بل إنهم يتعاملون ويعيشون كمسلمين ، والآن بالتحديد هم أسوأ مما كانوا ، فلا ينقصهم إلا نقر الدفوف للدعوة إلى الصلاة فى المسجد كما كانوا يفعلون من قبل. يضاف إلى ذلك أن المتهمين كانوا يؤنون أعمالاً أثناء الأعياد المسيحية.

٣ - يقول شاهد محلف آخر أدلى بشهادته فى مايو ١٥٦٥ إن السيد كوسمى وآخرين ذكر أسماعهم هم قادة المسلمين فى هذه المملكة ، فبرغم أنهم يقولون فى الظاهر إنهم مسيحيون مخلصون إلا أنهم فى داخلهم مسلمون كمحمد. وذات يوم - نحو عام ١٥٦٠ - قال السيد كوسمى ورفاقه لشخص ما إنهم يعجبون من أنه ليس مسلماً رغم علمه بالحقيقة، وأن ذلك الشخص قد رد عليهم وأفهمهم أن عقيدتهم سيئة ،

وأن محمداً مثل مارتن لوثر ، وقد جادله المذكورون ، وقالوا إن عقيدة محمد أفضل من عقيدة المسيحيين. وقال الشاهد إنه يعلم أن المذكورين قد أرسلوا أولادهم إلى "الفندقية" لكي يتعلموا القراءة والكتابة باللغة العربية على يد فقيه ذكر اسمه ، وقال إن المسلمين يحترمون الأشخاص المذكورين ، فهم مسلمون كما هو معلوم بين الموريسكيين ، وكانوا يحاولون إقناع الشاهد بأن يكون مسلماً ، وكانوا يبدون دهشتهم من أنه ليس مسلماً مع أنه شخص متعلم ، ويرى الشاهد أن السيد كوسمى ورفاقه مرتبطون بمحكمة التفتيش ، وأن هذا الارتباط هدفه السخرية ، وليس الغيرة على الدين.

٤ - وقال شاهد محلف آخر أدلى بشهادته في فبراير عام ١٥٦٧ إنه رأى أن السيد كوسمى ، ومعه بعض المسلمين المتصرين ، يتمتعون باحترام الناس ، ويتعاملون مع الموريسكيين ويتبادلون معهم التحية، وإن لهم أسماء إسلامية ، وإنه من المعلوم أنهم يمارسون شعائر طائفة محمد ويحملون السلاح.

٥ - وقال شاهد محلف آخر أدلى بشهادته في يونيو ١٥٦٧ إن شخصاً ما قد مر ببلدة بناغواثيل ، وكان يجلس على أحد المقاعد في الشارع فرأى رجلاً (السيد كوسمى) يمر وجلس بجواره ، وسأل الشاهد من أين هو وما إذا كانت بلدته طيبة ، كما سأل عن الأماكن التي زارها ، وقد أجاب الشاهد على أسئلة السيد كوسمى بن عامر فقال له إنه زار بلاد البربر ، وإن أراضيتها صالحة وثمارها وفيرة في الصيف وفي الشتاء. كما سأل السيد كوسمى الشاهد عما إذا كان يعرف القرآن ، فرد عليه بالإيجاب وذكر له فقرات منه رأى السيد كوسمى أنها صحيحة.

٦ - وقال شاهد محلف آخر أدلى بشهادته (في يونيو ١٥٦٧) إنه يتذكر أن السيد كوسمى ورفاقه يعيشون في بناغواثيل كمسلمين ، وقد رأهم يصومون رمضان ويؤدون الصلاة ، وقد دعوا الشاهد إلى اعتناق الإسلام، وإلى ترك المسيحية ، وذكر الشاهد أن السيد كوسمى قد استدعى امرأة ساحرة من بال دي إلبدا يطلق عليها المسلمون لقب " نظارة " وقد استضافها في بيته لكي تعثر له على كنز وتستخرجه له من باطن الأرض ، وذكر الشاهد كذلك أن السيد كوسمى من كبار المسلمين ، وأنه يتعامل مع بعض الأشخاص الذين يعتنقون دين محمد ، وأنه يقرأ القرآن أمام أشخاص آخرين ويقول لهم إنه كتاب طيب ألفه محمد وخليق بأن يؤمنوا به.

٧ - قال شاهد محلف آخر أدلى بشهادته فى يونيه ١٥٦٧ إنه رأى السيد كوسمى بن عامر وآخرين يمارسون شعائر الإسلام علانية ، ويحتفلون بأعياد المسلمين، ويأكلون اللحم وهم متوجهون إلى القبلة ، ويتسمون بأسماء إسلامية : كما لاحظ أن المسلمين يحترمونها ، ويظن الشاهد أن أشخاصاً معينين كانوا يأتون إلى محكمة التفتيش وقد تدربوا على عدم الإدلاء بأى شىء يمكن أن يضر المذكورين.

٨ - قال شاهد محلف آخر أدلى بشهادته فى مايو ١٥٦٧ إن شخصاً ما قد صام رمضان برفقة السيد كوسمى وآخرين وهم مسلمون ، وأن المسلمين يجلون السيد كوسمى ورفاقه ، وإنه قد رآهم يحتفلون بأعياد المسلمين عندما يحين موعدها ورآهم يذبحون الأضاحى احتفالاً بالعيد ، ورآهم يؤيدون صلاة "الحمد لله" وصلاة "قل هو" ، ويتذكر الشاهد أنه رأى السيد كوسمى يقرأ فى القرآن ويطلع كتباً أخرى من كتب المسلمين ، كما رآه يحرّض شخصاً على اعتناق الإسلام ، وأنه كان يقرأ القرآن أمام آخرين يستمعون إليه ، ويرى الشاهد أن السيد كوسمى ورفاقه هم الذين يسببون الأذى للموريسكيين ، فهؤلاء يعتبرونهم من أهل الرأى ، ويطيعونهم فى كل ما يأمرهم به ، كما يرى أنهم يخدعون المسيحيين ، وأنهم إذا كانوا من المتعاونين مع محكمة التفتيش فذلك للاحتفاظ بما لديهم.

٩ - وقال شاهد آخر أدلى بشهادته فى يونيه ١٥٦٧ إنه تعرف على السيد كوسمى وآخرين فى بناغواثيل ، وإنهم يعيشون كمسلمين مثل الموريسكيين الآخرين تماماً بل إنهم يحرضون الموريسكيين على الاحتفاظ بالإسلام كما يُقال علناً فى البلدة، وقد سمع الشاهد واقعة أنه عندما مات والد السيد كوسمى أرسلوا فى طلب فقيه يقسم لهم الميراث ، وأن الميراث قد قسم وفق شريعة المسلمين وسنة المسلمين، وأن الفقيه قد أخرج عشر التركة لكى ينفقه على تحرير العبيد المسلمين وعلى فقراء الموريسكيين ، لكن الورثة قالوا إنهم لا يوافقون على ذلك حتى لا يعرف أحد حجم الثروة التى يمتلكونها وحتى لا يستولى صاحب الجلالة عليها. عندئذٍ حمل معه بعض المال.

١٠ - وقال شاهد محلف آخر أدلى بشهادته فى يوليه ١٥٦٧ إن السيد كوسمى وشخصاً آخر كانا فى بلدة روخاس القريبة من بناغواثيل ، ولما ذهب شخص ما للإقامة هناك طرداه وقال له إنهما فعلاً ذلك لأن شخصاً ما قد وشى بهما لدى محكمة

التفتيش ، وذكر الشاهد أن السيد كوسمى وإخوته مسلمون ، ويعيشون كمسلمين ، وأن المسلمين الآخرين يوقرونهم.

١١ - وقال شاهد محلف آخر أدلى بشهادته فى أغسطس ١٥٦٧ إنه يعلم ما يُقال علناً من أن السيد كوسمى بن عامر هارب من محكمة التفتيش وتغيب عن المثول أمامها عندما رآهم يلقون القبض على أحد خدمه.

فى فالنسيا وبتاريخ ١٢ يوليه ١٥٦٨ ، وفى قاعة محكمة التفتيش ، وأمام مانريكي عضو محكمة التفتيش ، أمر بدخول السيد بيثير محامى السيد كوسمى بن عامر فدخل وكان السيد كوسمى حاضراً ، وقد أطلع عضو محكمة التفتيش المحامى على وضع القضية وأمر بأن تُقرأ عليه شهادة الشهود ، فلما سمعها نصح المحامى موكله بأن يقول الحقيقة ، فإن الدفاع الحقيقى يكمن فى قول الحقيقة ، وأنه إذا كانت لديه أقوال أخرى ويريد الدفاع عن نفسه فهو مستعد للدفاع عنه ، وقد رد السيد كوسمى بأنه قد قال الحقيقة ، وأنه ليست لديه أقوال أخرى ، ولا يريد إضافة أية معلومات أخرى ، وأنه لا يريد الدفاع عن نفسه.

فى فالنسيا وبتاريخ ١٥ يوليه ١٥٦٨ - وبناءً على أن قضية السيد كوسمى جاهزة ، ونظراً لأن السجون لا تكفى بسبب الإصلاحات الجارية - ونظراً لأسباب أخرى - أمر السادة أعضاء محكمة التفتيش بأن تتحدد إقامة السيد كوسمى نظير كفالة قدرها ألفى بوقية نظير تكاليف محكمة التفتيش ، وقد أودع المذكور سجن المتعاونين مع المحكمة.

فى نفس اليوم وعد السيد كوسمى بن عامر بأن يكون له سجن فى مدينة فالنسيا لا يخرج منه ، وأن يمثل كلما استدعته محكمة التفتيش ، وأنه إذا تخلف يُعلن خروجه عن المسيحية ويلزم بدفع ألفى بوقية للمحكمة ، ولكى يتم ذلك ؛ فقد ألزم بالتعهد بكل البنود الضرورية ، وقدم أسماء الضامنين له وهما : السيد فرانثيسكو دى بيلاريغ صاحب ثيرات ، والسيد بدرو كاروث شقيقه ، وهما من النبلاء ، وقد حضر الاثنان وقالوا إنهما يضمنان السيد كوسمى بن عامر ، وقد ألزما بالتعهد بالوفاء بالبنود اللازمة.

.. الأصوات :

فى الصالة السرية لمحكمة تفتيش فالنسيا وبتاريخ ٢٥ مايو ١٥٧١ وبحضور السيد خوان دى روخاس عضو المحكمة ، والسيد أغستين فريكسا نائب فالنسيا ، والسيد ميغيل غوميث مييدس ، والسيد كريستوبال روينغ ، والسيد فاوست خوان دى أغيرى ، والسيد سيمون فريغولا ، والجميع من دكاترة ومستشارى محكمة التفتيش ، وقد وجهت الدعوة للاجتماع بعد الاطلاع على ملف قضية السيد كوسمى بن عامر . وقد رأى المجتمعون بالإجماع ضرورة استدعاء السيد كوسمى لكى يتحدث بوضوح ويُدلى بشهادته إزاء التهم المنسوبة إليه (٢) .

طلب ممثل النيابة :

بتاريخ ٢٦ يونيه ١٥٧١ ، وأمام خوان دى روخاس عضو محكمة التفتيش ، قدم ممثل النيابة الطلب الآتى:

السادة الموقرون :

الدكتور خايمى بيريث - ممثل النيابة لدى محكمة التفتيش - يقول أمامكم : لما كان السيد فرانتيسكو كاروث دى بيلارينغ صاحب ثيرات وشقيقه السيد بدرو كاروث وهما من فالنسيا قد أخذوا على عاتقهما ضمان السيد كوسمى بن عامر وفق القرار المعلن ، ولما كان من واجبى أن يعود السيد كوسمى إلى هذه المحكمة فإننى أطلب منكم إصدار الأمر بأن يعيد كل من السيد فرانتيسكو كاروث والسيد بدرو كاروث - أن يعيدا السيد كوسمى بن عامر فى غضون فترة قصيرة ، وإذا لم يعيدا يُعاقبا بدفع ألفى بوقية ، وهى العقوبة المنصوص عليها فى القرار ، وفوق كل ذلك أطلب تحقيق العدل.

توقيع دكتور بيريث

القرار :

اطلع خوان دى روخاس عضو محكمة التفتيش على الطلب السابق ، وأمر بإعلان السيدين فرانتيسكو وبدر كاروث - ضامنى السيد كوسمى بن عامر - بوجوب تسليم

السيد كوسمى بن عامر إلى هذه المحكمة فى ظرف ستة أيام وإلا عُوقباً بدفع غرامة قدرها ألفى بوقية كنفقات لهذه المحكمة.

رد الضامنين:

السادة الموقرون :

لا يستطيع السيدان الشقيقان فرانثيسكو كاروث دى بيلارينغ وبيدرو كاروث تسليم السيد كوسمى بن عامر لأنه - كما هو معلوم - متواجد فى مدريد منذ شهور لإجراء مقابلات مع السيد الكاردينال رئيس محكمة التفتيش العامة ، ومع السادة أعضاء المجلس الأعلى ، وهكذا فإن إعلانه وإحضاره يستغرق وقتاً يزيد عن الثلاثين يوماً؛ لهذا نطلب من حضراتكم سماع الشهود حول صحة ما نقول ، كما نطلب زيادة المهلة المحددة لإحضار السيد كوسمى المذكور.

فالنسيا فى ٨ يونيه ١٥٧١ .

القرار:

فى فالنسيا وبتاريخ ٩ يونيه عام ١٥٧١ علم السيد خوان دى روخاس عضو محكمة التفتيش بأن السيد كوسمى بن عامر متواجد فى بلاط صاحب الجلالة ، ولهذا قرر مد المهلة اثنتى عشر يوماً للضامنين لتسليم السيد كوسمى إلى هذه المحكمة .

طلب من المجلس الأعلى:

السيد الموقر:

قدمت شكوى إلينا من قبل السيد كوسمى بن عامر ، وهو من بلدة بناغواثيل ، تقول : رغم أنه قد [وفق أوضاعه] إلا أنكم لا تزالون تلاحقونه وتلاحقون ضامنيه حتى يعود إلى السجن عليكم إخبارنا بالسبب الذى تطلبونه من أجله ، ولماذا تطلبون من ضامنيه تسليمه. حفظكم الرب.

مدريد فى ١٨ يونيه ١٥٧١ (٣)

مرسل من : السيد رودريغو دى كاسترو

السيد فرانتيسكو دى سوتو

السيد خوان دى أويانو

السيد إيرناندو دى بيغا فونسيكا

إلى السادة الموقرين أعضاء محكمة التفتيش عن جرائم الإلحاد والكفر بمدينة ومملكة فالنسيا .

طلب آخر من المجلس الأعلى

السادة الموقرون :

اطلعنا على خطابكم الذى أرسلتموه، وفيما يتعلق بقضية السيدين كوسمى بن عامر وخوان بن عامر عليكم الالتزام بأوامر المجلس الأعلى ، وعدم إلقاء القبض عليهما ، أو استدعائهما إلا بعد إرسال القضية إلينا ، وتلقى تعليماتنا بشأن ما يجب عمله. حفظكم الرب.

مدريد فى ٧ يولييه ١٥٧١

مرسل من السادة: رودريغو دى كاسترو ، فرانتيسكو دى سوتو سالازار، خوان دى أويانو، غاسبار دى كيروغا إلى السادة الموقرين أعضاء محكمة التفتيش بمدينة ومملكة فالنسيا .

طلب آخر من المجلس الأعلى:

السادة الموقرون:

اطلعنا على ملف قضية السيد كوسمى بن عامر والسيد خوان بن عامر ، وهما مسلمان متنصران حديثاً من بلدة بناغواثيل ، ونرد عليكم بأنه وفقاً لتصويت أعضاء محكمة التفتيش الذى أجرى بتاريخ ٢٥ مايو ١٥٧١ عليكم استدعاء الشقيقتين المذكورتين إلى محكمة التفتيش ، واستجوابهما ، وتوجيه الأسئلة اللازمة لمعرفة الحقيقة

حول التهم الموجهة إلى كل منهما . وبناءً على نتائج الاستجواب يتم الاطلاع مرة أخرى على الملفات بحضور المستشارين ، ويجب عدم تنفيذ القرار الذي تتخونه بل إرساله إلى المجلس الأعلى ، وعليكم إفادتنا هل الشقيقتان المذكوران أو أحدهما يحملان لقب المتعاونين مع محكمة التفتيش ، وهل مازالا يحملان هذا اللقب ، ومن الذي أصدر قرار حملهما هذا اللقب في حينه.

حفظكم الرب.

مدريد في ٣ سبتمبر ١٥٧٧

مرسل من السادة إيرناندو دى بيغا دى فونسيكا ، كاتيمينو ، خيرونيمو مانريكي ،
سالاتار إلى السادة أعضاء محكمة تفتيش فالنسيا .

طلب ممثل الإدعاء:

في فالنسيا وبتاريخ ٥ نوفمبر ١٥٧٧ وأمام بدرو ثاراتى عضو محكمة التفتيش
تقدم خايمي بيريث ممثل الإدعاء بهذا الطلب.

السادة الموقرون:

الدكتور بيريث ممثل الإدعاء لدى هذه المحكمة والمائل أمامكم يقول: "لأسباب تتعلق بعبادة الرب وبخدمة محكمة التفتيش صدر الأمر بأن يمثل أمامكم السيد كوسمى بن عامر المسلم المنتصر حديثاً من بلدة خينوبليس خلال ستة أيام وإلا عوقب بإعلان خروجه عن تعاليم الكنيسة وبغرامة قدرها مائة بوقية. ولم يشأ هو اطاعة الأمر في خلال المدة المذكورة، كما هو ثابت في المحاضر التى أقدمها لكم. وأنا أكرر طلبى ضد السيد كوسمى المذكور بأن يعلن خروجه عن تعاليم الكنيسة ، وأنه قد استحق أن تُوقع عليه غرامة قدرها مائة بوقية . ولما كنتم تريدون استعمال الرأفة مع السيد كوسمى ؛ فقد أمرتم باستدعائه من جديد على أن يمثل أمامكم فى غضون أربعة أيام . ولما كان السيد كوسمى متغيباً ، فقد تم إبلاغ زوجته ووالدتها وزوج أخته بالقرار ، وكانوا متواجدين بمنزله فى ١٢ أكتوبر الماضى. ولما كانت مهلة الأيام الأربعة قد

انقضت ولم يحضر السيد كوسمى فإبنتى أتهمه بالتمرد ، وأطلب منكم إعلان خروجه عن تعاليم الكنيسة ، وأنه يستحق أن يدفع غرامة قدرها مائة بوقية نظير عصيانه

القرار:

فى مقر محكمة تفتيش فالنسيا ، وبتاريخ ١٧ ديسمبر ١٥٧٧ ، وبحضور كل من : بدرو دى ثاراتى ، وخوان دى ثونيغا عضوى المحكمة ، وبعد الاطلاع على الأوامر التى صدرت إلى السيد كوسمى بن عامر لكى يمثل فى هذه المحكمة ، وعلى الإعلان الذى سلم إلى السيد كوسمى نفسه وإلى نويه ، وبناءً على عصيانه وإصراره على عدم الطاعة ، وعدم تنفيذ ما أمر به فى المهلة المحددة ، وبعد الاطلاع على طلب ممثل النيابة ، تقرر تقديم شكوى ضد السيد كوسمى المذكور وإرسال حاجب يأتى بملايس له تعادل قيمتها مائة بوقية (وهى قيمة الغرامة والنفقات اللازمة) ، كما تقرر تفويض الحاجب فى أن يأتى بالسيد كوسمى - إذا وجده - إلى مقر المحكمة.

فى فالنسيا ، وبتاريخ (٢٤ ديسمبر ١٥٧٧) اعترف ميغيل أنخيل أونياتى قائد سجون محكمة التفتيش بأنه تسلم شخص السيد/ كوسمى بن عامر من ميغيل سيرانو لكى يودعه أحد السجون السرية . تم التعرف على شخصية السيد كوسمى ، ووجدت بحوزته مائة ريال قشتالية أودعت طرف مسئول الأمانات نظير غداء السجين .

فى مقر محكمة التفتيش ، وبتاريخ ٧ يناير ١٥٧٨ ، وأمام كل من : بدرو دى ثاراتى ، وخوان دى ثونيغا عضوى محكمة التفتيش ، حضر ميغيل سيرانو ومعه مكتوب يقول فيه إنه نفذ أمر السادة (أعضاء المحكمة) وأحضر السيد كوسمى ، أما المائة بوقية فلم يحضرها ؛ لأن المذكور لم تكن معه ملايس أو أى شىء له قيمة . وقد حدث أن زوج أخت السيد كوسمى - ويدعى بيتنتى بايا وهو تاجر - قد تعهد بإحضار المائة بوقية إلى المسئول فى محكمة التفتيش فى ٢٣ يناير.

فى جلسة ١١ يناير ١٥٧٨ وأمام بدرو ثاراتى عضو محكمة التفتيش أمر بإخراج السيد كوسمى بن عامر من السجن ، وبعد أن أدى اليمين تم استجوابه فأجاب أنه كان قد تزوج فى غانديا وعاش فى خينوبييس لأنه أجرة (البيت) وبعد ذلك رحل إلى بنى فيرون

فى بال دى بالديغنا حيث تمتلك زوجته بيتاً ، وقد أحضره سيرانو مقبوضاً عليه ليلة عيد الميلاد ، وأنه قد ألقى القبض عليه فى منزله ، وأن عمره يتراوح بين الخامسة والخمسين والستين ، وأنه رجل طيب ، ولا يدرى ما هو سبب إلقاء القبض عليه .

فى جلسة أخرى بتاريخ ١٦ يناير ، قال السيد كوسمى إنه خلال السنوات الماضية قد حُوكم أمام محكمة التفتيش وسُجن ، لكنه قد صدر بشأنه عفو عام من قبل الرئيس العام لمحاكم التفتيش السيد دى اسبينوسا ، والسادة أعضاء المجلس الأعلى لمحكمة التفتيش : رودريغو دى كاسترو ، فرانتيسكو دى سوتو سالازار ، إيرناندو دى بيغا ، خوان دى أوباننو ، وقد سلموه شهادات بذلك أحضرها إلى هذه المحكمة وسلمها إلى خوان دى روخاس عضو المحكمة ؛ لأن سوتو كالديرون عضو المحكمة كان حينذاك فى طرويل يرافق دوق سيغوربى ، وبعد أن اطلع روخاس عضو محكمة التفتيش على الشهادات قال للمتهم ولأخيه خوان بن عامر - رغم أن المكان قد أُعدَّ لحرقهما - اذهبا إلى بيتكما فى سلام ؛ فقد عفونا عنكما ، وأننا لا شأن لنا بكما منذ الآن . وقد ذهب بالفعل إلى بيتكما ، بعد ذلك نفذت محكمة التفتيش عدة أحكام بالإعدام ولم يقل لهما أحد شيئاً .

ولما سُئل الشاهد عن القضية التى بينه وبين ممثل الإدعاء لدى هذه المحكمة ولماذا كان مودعاً سجون محكمة التفتيش أجاب أن ذلك موجود فى ملف القضية ، وأنه قد صدر بشأنه عفو عن كل ذلك ، وقد طلب منه أن يقرأ ملف القضية لكى يتذكر ما به ويوجب على الأسئلة ، لكنه أجاب أنه قد صدر بشأنه عفو عن كل ما كان قد ارتكبه قبل تاريخ صدور العفو ، وأنه لذلك غير ملزم الآن بما هو موجود فى الملف .

وقيل للمذكور إننا لا نريد أن نمس العفو الصادر بشأنه ، ولا أن نرهقه ، ولا أن نتقص من الفضل الذى يقول إنه قد أنعم عليه به الرئيس العام لمحاكم التفتيش والسادة أعضاء المجلس الأعلى ، بل إننا سنحافظ على كل ذلك بالنسبة له ، وبالنسبة لكل من يتمتع بهذه الأفضال ، وإننا - بناءً على كل ذلك - سنقرأ عليه الملف ، وإنه يتعين عليه أن يُجيب . وقد قرأنا وقائع الجلسة الأولى المؤرخة فى ١٣ يناير ١٥٦٨ وبقية الملف وقد فهم السيد كوسمى بن عامر ما ورد فيه ، وقال إن كل ما فعله حتى يوم صدور العفو عنه قد صدر عفو عنه ، وعن أخيه السيد خوان بن عامر من قبل جلالة

الملك فيليبى مولانا ، ومن قبل السيد الرئيس العام لحاكم التفتيش والسادة أعضاء المجلس الأعلى لحاكم التفتيش.

وقيل للمذكور إنه فى الجلسة الأولى اعترف بأنه كان مسلماً طوال حياته ، وإنه أدى شعائر المسلمين ، فليقل الآن وليصف ما هى الشعائر التى كان يؤديها عندما كان مسلماً ؛ فأجاب بأنه قد صدر بحقه عفو عن كل ما يتضمنه الملف من أنه كان مسلماً ، وعن كل ما هو مكتوب ، وأنه - بناءً على ذلك - غير ملزم بالرد.

وقد سئل هل بعد اعترافه بأنه كان مسلماً صدر بشأنه عفو عن جريمة الإلحاد التى ارتكبها ؟ وهل تصالحت معه الكنيسة ؟ وهل تبرأ من الخطايا التى ارتكبها ؟ فأجاب بأنه فعل ما أمره به السيد الرئيس العام لحاكم التفتيش والسادة أعضاء المجلس الأعلى والسادة أعضاء محكمة تفتيش فالنسيا وهو إحضار الخطابات التى سلموها إليه فى العاصمة ، وأنه قد سلمها بالفعل إلى السيد خوان دى روخاس عضو المحكمة الذى اطلع عليها وسمح له بالذهاب إلى بيته ، إذ قد صدر عفو عنه وعن أخيه السيد خوان بن عامر.

وقيل للمذكور إن توجيه الأسئلة إليه لا يهدف إلى إلغاء العفو الصادر بشأنه ، بل هو لصالح ضميره ؛ فأجاب بأنه قد نفذ الأوامر الصادرة إليه ، وأنه ليس بإمكانه أن يقول للسادة أعضاء المحكمة ما يجب عليهم عمله فهم مرآة العالم.

وقيل له إننا سنقرأ عليه ما تبقى من ملف القضية والاعترافات التى أدلى بها حتى جلسة ١٥ يوليه ١٥٦٨ حين خرج من السجون السرية التابعة لمحكمة التفتيش ، وبعد أن قرأنا عليه الملف ؛ أجاب بأنه سمع وفهم كل ما قُرى عليه ، وأن التوقيعين باللغة العربية اللذين عُرِضا عليه فى الجلسة هما توقيعاها (*) ، أما ما يتعلق بالأمور الأخرى الواردة فى الملف ؛ فقد قال إنه قد صدر بحقه عفو من قبل صاحب الجلالة ، ومن قبل الرئيس العام لحاكم التفتيش ، والسادة أعضاء المجلس الأعلى ، والسادة أعضاء محكمة تفتيش فالنسيا الموجودين حينذاك.

(*) إن توقيع السيد كوسمى بن عامر باللغة العربية أمام محكمة التفتيش - فى وقت كان يجب فيه أن يتنصل من كل صلة به بالعربية - يؤكد أن الكتابة بالأخمينانية لم تكن إلا لعجز بعض مسلمى الأندلس عن الكتابة بالإسبانية التى كانوا يجيئون التحدث بها . (المترجم) .

وقيل له إنه - وفق ما جاء بالملف - لم تبرأ ساحته بعد من جريمة الخروج على تعاليم الكنيسة ، كما أنه لم يتبرأ من جريمة اتباع ديانة محمد التي ارتكبها قبل العفو عنه، وإن ذلك ضرورى لخلاص روحه ، وإنه لكى يتطهر من كل ذلك يجب أن يعترف بكل جرائمه التي ارتكبها وقت أن كان مسلماً لأن ذلك فيه الخير لنفسه وراحة لضميره ، وفيه استفادة من العفو الملكى وعفو محكمة التفتيش ، فليس هناك تفكير فى إلغاء هذا العفو ، بل النية هى الاستفادة من هذا العفو إلى أقصى حد ، وأنه إذا لم يفعل ذلك بمحض إرادته ؛ فإن هذا دليل على أنه يريد أن يظل خارجاً عن تعاليم الكنيسة ، وأن يظل على نفس الخطأ ، فأجاب أنه قد صدر بحقه عفو من قبل صاحب الجلالة ، ومن قبل محكمة التفتيش عن كل ما ارتكبه من أخطاء ؛ ولهذا فإنه ليست لديه ذنوب يعترف بها ، ولا يحتاج مجرد محام يدافع عنه فى قضية تم العفو عنها رغم أنه - بناءً على إلحاح أعضاء المحكمة - يرغب فى تعيين محام ينصحه ويدافع عنه.

فى مقر محكمة تفتيش فالنسيا وبتاريخ ٢١ يناير ١٥٧٨ ، وأمام بدرو ثاراتى عضو محكمة التفتيش ؛ حضر كل من السيد كوسمى بن عامر المودع فى سجون محكمة التفتيش ، والسيد كريستوبال بيبثير المحامى الذى أبلغ بأن السيد كوسمى يرغب فى أن يدافع عنه ؛ لهذا فسنقرأ عليه ملف القضية لكى ينصح السيد كوسمى بما ينفعه لخلاص روحه ولراحة ضميره. وبعد أن قرأنا على السيد كريستوبال بيبثير كل ما قاله السيد كوسمى بن عامر خلال الجلستين المنعقدتين يومى ١١ ، ١٦ من الشهر الجارى ؛ نبه السيد بيبثير موكله السيد كوسمى إلى ضرورة الاعتراف بالحقيقة كاملة لمصلحته ، خاصة أمام محكمة تتوخى الحقيقة والعدل ، وقد استعمل المنطق فى إقناعه لأن هدف هذه المحكمة هو مصلحة المذكور والعفو عنه.

فى مقر محكمة تفتيش فالنسيا وبتاريخ ٧ فبراير ١٥٧٨ وأمام بدرو ثاراتى عضو المحكمة أحضر السيد كوسمى بن عامر من السجون السرية ، وأعلن أنه الآن يعرف الـ Credo والـ Salve Regina والصلوات التي يجب أن يؤديها المسيحي ، وقد ردها كلها باللاتينية وبالإسبانية بما فيها " أبانا الذى فى السماء " ، وقال إنه منذ أن صدر العفو عنه عاش حياته كمسيحي ، وأنه يؤله أنه ولد فى بيت مسلم ولأباء مسلمين ، وكان يتمنى لو أنه ولد لأبوين من المسيحيين القدامى، وفى بيت مسيحيين قدامى ؛ فذلك

أفضل لروحه ولجسده ، وأن أمه هى التى علمته كيف يؤدى الصلاة وصيام رمضان ومعناه الامتناع عن الأكل طوال ثلاثين يوماً إلا فى الليل كل عام ، وأن أمه علمته الإيمان بآله واحد ، وقالت له إن مريم عذراء وطاهرة لكنها ليست أم الله ، وإن ربنا يسوع (ليس) ابن الله ، وإنما هو رسول الله ، وإنه يجب الإيمان بكل ما قاله ، وإن من لا يؤمن بما يقوله المسيح يائتم ، وأن أمه قالت له إن محمداً رسول الله قوله حق ، وإن من لا يؤمن بما قاله يائتم ، وإنه لأداء الصلاة يجب تلاوة " الحمد لله " و " قل أعوذ " وإن الصلاة يمكن أن تؤدى وقتما يشاء ، وإنه إذا لم يؤد الصلاة يدخل النار ، وإن أمه كانت تنصحها ألا يقتل أحداً ، وألا يتطلع إلى زوجة غيره ، وألا يشهد الزور . قال إن أمه علمته العقيدة الإسلامية عندما كان صبياً فى الحادية عشرة أو الثانية عشرة ، وإنه هكذا كان اعتقاده دائماً إلى أن سجن ، وإلى أن أصدرت محكمة التفتيش عفواً عنه .

يعترف أنه أدى شعائر المسلمين ، وصام رمضان منذ أن علمته والدته ، ومنذ أن عرّفته بشهر رمضان فى كل عام ، وكان يصوم فلا يأكل طوال النهار إلى أن يحين الليل ، وكان عندما يحين الليل يأكل ما يجد ، وقبل أن ينام كان يأكل مرة أخرى إذا رغب فى الأكل ، وهذا ما يسمونه " السحور " . وقد أدى المذكور الصلاة مرات كثيرة خلال العام ، وكان أشد حرصاً على الصلاة فى رمضان وفى أيام الجمع لأن أمه كانت تقول له إن يوم الجمعة يوم مبارك . وكان فى شهر رمضان يؤدى خمس صلوات فى اليوم إن استطاع : صلاة الصبح ، وصلاة الظهر ، وصلاة العصر ، وصلاة المغرب ، وصلاة العتمة . وحين كان المذكور يؤدى الصلاة كان يؤديها بهذه الطريقة : كان يتوضأ فيغسل يديه إلى المرفقين ، وقدميه وعورته ووجهه ، وأنفه ، ورأسه ، وما وراء أذنيه : كل جزء ثلاث مرات ، بعد ذلك كان يضع سجادة نظيفة ، ويقف فوقها ، ويتجه ناحية القبلة ، ويرفع يديه ويخفضهما مردداً " الله اكبر " ، وكان يتلو سورة " الحمد لله " وسورة " قل هو الله أحد " (وقد قرأها باللغة العربية) ، وقال إنه لم يتعلم سوراً أخرى ، وإن أمه لم تعلمه أكثر من ذلك . وبعد انقضاء شهر رمضان كان يحتفل بالعيد يوماً واحداً ، وكان يحتفل بعيد الأضحى وهو ثلاثة أيام ، وكان يذبح أضحية احتفالاً بالعيد .

وقال المذكور إنه لا يتذكر فى الوقت الحاضر أنه أدى شعيرة أخرى من شعائر المسلمين ، وقال إنه عندما كان يؤدى هذه الشعائر كان يؤمن بعقيدة المسلمين ، وكان

يظن أنها تنجيه من النار ، وقال إنه ظل يؤمن بهذه العقيدة طوال حياته إلى يوم إيداعه سجن محكمة التفتيش وصدور العفو عنه ، وإنه منذ ذلك اليوم أصبح مسيحياً ، ويرغب فى أن يكون أكثر مسيحياً ، وأن يعيش ويموت على شريعة يسوع كمسيحى كاثوليكي .

وقد سئل السيد كوسمى بن عامر عن الأشخاص الآخرين الذين علمتهم أمه شعائر المسلمين التى وضعها ، أجاب بأنه لا يدرى لكنه يظن أنه بما أنها علمته هو فلا بد أن تكون قد علمت إخوته فهم أبناؤها ، وقال إنها كانت تعلمه بمفرده ، وإنه كان يؤدى الشعائر بمفرده ، وقال إنه ذات مرة أدى الشعائر برفقة أخيه السيد لويس .

وكانت زوجة السيد كوسمى واسمها السيدة بياتريث خنتور تعلم بأنه يصوم رمضان ، ويعزى تعيين السيد كوسمى كمتعاون مع محكمة التفتيش إلى ميراندا عضو المحكمة فهو - كمبعوث لجلالة الملك إلى المسلمين المنصرين فى هذه المملكة - قد تعرف على السيد كوسمى وعلى إخوته وأحبهم ، وقد وقع ميراندا هذا التعيين بمفرده وصدق عليه نيكولاس بيردون الكاتب الشرعى بهذه المحكمة ، لكن الأعضاء الآخرين لم يوقعوا على التعيين الذى بطل بعد وقت قصير لأن نوق سيغوربى - الذى تعيش أسرة السيد كوسمى فى أراضيه - أسف كثيراً لتعيينهم متعاونين مع المحكمة واستدعاهم ، وقال لهم يتخلوا عن التعيين ؛ فحيث يتواجد هو ليسوا فى حاجة إلى هذا التعيين ، ولو أن الحاكم الإقليمى بسبب لهم أذى فليحضروا إليه وسيزيل عنهم الضرر؛ وعليه فإن السيد كوسمى وأخوته - رغبة منهم فى عدم إغضاب نوق سيغوربى - قد ربوا التعيين إلى ميراندا عضو محكمة التفتيش .

وفيما يتعلق بالميراث الذى تركه والده قال السيد كوسمى إنه لم يحدث مطلقاً أن تم توزيعه ، بل إن الميراث لدى أخوته وهو فى نزاع معهم حول نصيبه فى التركة ، لكنه عندما كان فى العاصمة ماتت أخت له تدعى السيدة ليونور ؛ وهى زوجة خيرونيمو بوثيا دى بنيثانو ، وقد استدعى زوجها صديقاً له لكى يتفاوض مع إخوة زوجته ، وهم أخوة السيد كوسمى ، حول المال الذى دفعته السيدة ليونور لتكاليف الزواج إذ لم تكن هناك أوراق بذلك ، ولهذا فقد حدده ذلك الصديق آدم سبوش الذى أطلق عليه بعض الشهود لقب " فقيه " عند حديثهم عن تقسيم التركة .

ويضيف السيد كوسمى إنه لم يعيش له أولاد ذكور لفترة تزيد عن ستة أشهر ؛ ولهذا فلم يرسل أولاداً إلى الفندقية لكي يتعلموا اللغة العربية .

وقد سُئل عن اسمه الإسلامى وماذا قرأ ، وعم تحدث مع آخرين ، وماذا تعلم من القرآن فأجاب بأنه لم يكن له اسم إسلامى مطلقاً ، وأنه لم يحفظ شيئاً من القرآن ، وأنه لم يتحدث مع أحد عن شيء .

فى صالة السر بمحكمة تفتيش فالنسيا وبتاريخ ١٢ فبراير ١٥٧٨ أمر بدرو ثاراتى بإخراج السيد كوسمى بن عامر من السجون السرية ، وقد طلب المتهم استدعاء محاميه ليتحدث معه ، وتوسل إلى السادة أعضاء المحكمة بسرعة الفصل فى القضية ؛ لأنه يشعر بالإرهاق ويخشى إصابته بمرض يودى بحياته ، وكذلك لأن بيته وأولاده يتعرضون للخطر إن ظل هو فى السجن ، وقد أجبب بأنه لأبد أن يخلص ضميره ؛ فهذا هو واجبه ، وبهذا أعيد إلى السجن.

فى صالة السر بمحكمة تفتيش فالنسيا وبتاريخ ١٩ فبراير ١٥٧٨ أمر ثاراتى عضو المحكمة بإخراج كوسمى بن عامر من السجون السرية ، وبعد أن حلف اليمين سُئل عما إذا كان يتذكر شيئاً يجب أن يقوله لكي يخلص ضميره فأجاب السجن بأنه ليس لديه ما يقوله إلا ما قاله بالفعل. بعد ذلك أمر عضو المحكمة باستدعاء السيد كريستوبال بيبثير المحامى وقرأ عليه محاضر الجلسات التى حضرها موكله كوسمى بن عامر منذ الحادى عشر من يناير الماضى. وقد نبه المحامى موكله كوسمى بن عامر إلى ضرورة أن يقول الحقيقة كاملة ، وأن يخلص ضميره تماماً لأن ذلك فى مصلحته ، فقال ابن عامر إنه قد قال الحقيقة فعلاً ، وليس لديه ما يضيفه ؛ ولهذا فالقضية منتهية تماماً . وبهذا أعيد إلى السجن.

فى فالنسيا وبتاريخ ٢١ فبراير ١٥٧٨ أمر كل من بدرو ثاراتى وخوان دى ثونيغا عضوى محكمة التفتيش بإخراج كوسمى بن عامر من السجن بكفالة قدرها خمسمائة دوقية ، وقد حضر السيد كوسمى بناءً على أمر عضوى المحكمة ، وسُئل عما إذا كان يريد الإخطار عن شيء فى السجن فقال إنه ليس لديه ما يقوله ، وأوصى بعدم إذاعة ما حدث فى القضية وما رآه فى هذه المحكمة ، وعليه فقد اقتيد إلى الدور السفلى لدفع الكفالة. بعد ذلك قال كوسمى بن عامر - أمام بدرو بلانكو سكرتير المحكمة - إنه تطبيقاً لأمر عضوى المحكمة سيكون مقر سجنه هذه المدينة ، ولن يخرج منها

إلا بتصريح ، وإلا عُوِّبَ بدفع غرامة قدرها خمسمائة بوقية نظير نفقات المحكمة. وقدم ضامنين له هم : السيد فرانتيسكو بويل صاحب دايا ، والسيد بدرو كاروث ؛ وهما من الفرسان ، والسيد غابرييل البيطار ؛ وهو تاجر ، والجميع من هذه المدينة، وتم ذلك فى حضورهم ، وقد ضمنوا ذلك بأموالهم وبأشخاصهم .

فى فالنسيا وبتاريخ ٢٦ مارس ١٥٧٩ أمر عضوا محكمة التفتيش بدرو دى ثاراتى وخوان دى ثونيغا بأن يتغير سجن كوسمى بن عامر - نظراً لحسن سلوكه - ليكون فى بيته أو فى أى مكان يختاره بحيث يتواجد كلما استدعته محكمة التفتيش وإلا عُوِّبَ بغرامة قدرها خمسمائة بوقية .

فى نفس اليوم تعهد كل من السيد بدرو كاروث دى بيلارغوت ، والسيد فرانتيسكو بويل صاحب دايا بضمان كوسمى بن عامر أمام المحكمة وتسليمه إليها عند الطلب وإلا عُوِّبَ بإعلان خروجهما عن تعاليم الكنيسة ، وبدفع غرامة قدرها خمسمائة بوقية نظير نفقات المحكمة.

فى مقر محكمة تفتيش وبتاريخ ١٧ يوليه ١٥٧٩ وبحضور كل من بدرو دى ثاراتى ، وخوان دى ثونيغا ، وفيرنان كورتيس أعضاء المحكمة ، والسيد أغستين فريكسا قاضى أسقفية فالنسيا والسادة المستشارين ميديس ، سان خوان دى أغيرى ، فريغولا ، بانياتوس ، فيرير ؛ وبعد الاطلاع على ملف قضية كوسمى بن عامر والتحاور بشأنها كان التصويت كالتالى:

يرى كل من بدرو ثاراتى وخوان دى ثونيغا ، والسيد ميديس أن يتصالح السجين مع الكنيسة بموجب قرار العفو الصادر من المجلس الأعلى.

ويرى كل من فيرنان كورتيس والقاضى أغستين فريكسا ، والسيد سان خوان ، والسيد فريغولا ، والسيد بانياتوس ، والسيد فيرير أن يتعرض السجين للتعذيب.

فى مدينة مدريد وبتاريخ ٢ أكتوبر ١٥٧٩ ، وبعد أن اطلع السادة أعضاء المجلس الأعلى لمحاكم التفتيش على ملف القضية التى نظرتها محكمة التفتيش فالنسيا ضد السيد كوسمى بن عامر الذى كان مسلماً ، أمروا بأن يتعرض السجين للتعذيب، على أن تترك درجة التعذيب لاختيار أعضاء المحكمة ثم يُعاد عرضه على المستشارين ويطبق العدل.

السادة الموقرون:

اطلعنا على ملفات القضايا التي نُظرت ضد السيدين خوان بن عامر وكوسمى بن عامر ؛ وهما من أصول مسلمة ومن بلدة بناغواثيل ونعيدها إليكم. ما هو ثابت سيتم تنفيذه ، لكننا لأسباب عادلة نرى أن تعقدوا جلسات مع المذكورين تعنفونهما فيها لتخليص ضميريهما ، ويجب إقحامهما أن تخليص ضميريهما أمر هام للتمتع بالعفو الذي صدر بشأنهما عام ١٥٦١ . أما إذا استمرا على موقفهما ؛ فيتم تنفيذ ما قرره المجلس. حفظكم الله.

مدريد فى ٢ أكتوبر ١٥٧٩

توقيع: ايرناندو دى بيغا فونسيكا ، خيرونيمو مانريكي ، سالاثار

إلى أعضاء محكمة تفتيش فالنسيا

فى مقر محكمة تفتيش وبتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٥٧٩ ، وأمام بدرو ثاراتى عضو المحكمة تم استدعاء السيد كوسمى بن عامر ، وأمر بعدم الخروج من المدينة إلا بتصريح من أعضاء المحكمة ، وأمر بحضور الجلسات ، وقد تعهد بذلك.

فى نفس المقر وبتاريخ ٢٨ من نفس الشهر ، وأمام عضو المحكمة نفسه تم استدعاء السيد كوسمى بن عامر ، وقيل له إنه كثيراً ما نُصح بأن يعترف بالحقيقة ، وإنه قد استدعى الآن لتأنيبه لكى يخلص ضميره من الجرائم التى أتهم بها ، خاصة تلك التى تتعلق بالأشخاص الذين أدوا معه شعائر المسلمين ، والأشخاص الذين رآهم يؤدون شعائر المسلمين، لأن الاعتراف بذلك ضرورى حتى يكون تحوله إلى المسيحية تحولاً صادقاً وهذا ضرورى للتمتع بقرار العفو الذى صدر بحقه عام ١٥٦١ ، فأجاب السيد كوسمى بأن هذه المحكمة محكمة عدل ؛ ولذلك فإنها لا تستطيع أن تأمره بأن يقول إلا ما هو عدل، وكل ما هو عدل قد قاله بالفعل ، وقال إنه يعلم أن أشخاصاً يتمنون له الشر ، رغم أنه لم يسه إلى أحد ، وقال إنه تمنى من الله لو أنه ولد فى بيت من بيوت المسيحيين القدامى حتى يتعلم شريعة يسوع كاملة. وهكذا نصح بأن يفكر جيداً فى أمره وأذن له بالانصراف.

فى مقر محكمة تفتيش فالنسيا وبتاريخ ٧ ديسمبر ١٥٧٩ ، وأمام بدرو ثاراتى
عضو المحكمة تم استدعاء السيد كوسمى بن عامر ، ثم السيد سارثولا الذى عين
محامياً عن السيد كوسمى ، والذى اطلع على تطورات القضية وعلى اعترافات السيد
كوسمى بن عامر ، وعلى كل ما أراد الاطلاع عليه ، وقد نصح السيد سارثولا موكله
بأن يقول الحقيقة ليخلص ضميره ؛ فهذا ضرورى لإنقاذ روحه ولانتهاء القضية ،
وقد أجاب السيد كوسمى بأنه قد صدر بحقه عفو من الملك ، ومن الرئيس العام لمحاكم
التفتيش ، ومن السادة أعضاء المجلس الأعلى ، وذلك نظير سبعة آلاف بوقية دفعها هو
وأخوته ، وأنه الآن لن يدفع مرة أخرى ثمن أكاذيب الشهود. ولما كان الوقت متأخراً ،
ولم يكن أحد يستطيع الرؤية التى تمكن من القراءة أو الكتابة فقد رفعت الجلسة ،
وغادر المحكمة كل من السيد كوسمى ومحاميه.

فى مقر محكمة تفتيش فالنسيا ، وبتاريخ ٩ ديسمبر ١٥٧٩ ، وأمام بدرو دى
ثاراتى عضو المحكمة حضر كوسمى بن عامر ومحاميه السيد سارثولا ، وطلبوا
الاستماع إلى الشهود لأنهم يتهمون السيد كوسمى كذباً ، وقد سلم عضو المحكمة
إلى السيد سالاثار ورقتين تتضمنان أقوال الشهود، وذلك حتى يستخدمهما فى الدفاع
عن موكله.

فى نفس مقر المحكمة وبتاريخ ١٥ ديسمبر ، وأمام عضو المحكمة نفسه ، تسلم
السيد سالاثار نسخة من عريضة الاتهام ومن الأقوال التى أدلى بها موكله، وذلك حتى
يستخدم هذه المعلومات فى الدفاع عن موكله.

أمامى أنا بدرو بلانكو دى سالتينو.

الهوامش

(١) Apud Boronat: Los moriscos españoles.....pp. 540-569

(٢) من بين أوراق قضية كوسمى بن عامر هناك رسالة إلى محكمة التفتيش صادرة عن المجلس الملكى تتضمن شهادة لصالح بنى عامر.

(٣) وصلت إلى محكمة التفتيش فى الثانى والعشرين من يونية .

شكوك حول الموريسكيين

خلال القرن السادس عشر كانت هناك شكوك مستمرة حول ثورات موريسكية أو اتصالات للموريسكيين مع سلطان المغرب أو مع سلطان تركيا. وهناك وثائق كثيرة جداً يبيو فيها الموريسكيون في نظر معاصريهم كمتآمرين ضد المسيحيين القادمين وضد الأمن الداخلي والخارجي لإسبانيا. نقدم الآن نمونتين:

١- مذكرة لمجلس الدولة رُفعت إلى صاحب الجلالة في ٢٨ يناير ١٦٠١ بشأن تحذير من موريسكيي إسبانيا أرسله الضابط بارتولومي دي يانوس الأركون من تطوان حيث كان أسيراً.^(١)

٢- محضر جلسات نواب قشتالة المحرر في ١٢ سبتمبر عام ١٦٠٧

سيدي :

يكتب إليكم الضابط بارتولومي دي يانوس الأركون من تطوان رسالة بتاريخ ١٥ نوفمبر من العام الماضي ؛ فقد ذهب في خدمتكم إلى نابولي وهو يحمل أوسمة تفضلتم بها عليه. أسره موراتو الرئيس وهو يحمل بريدكم ، وقد علم يقيناً أن موريسكيي إسبانيا ينوون التمرد ؛ ولهذا فهم يتصلون بملك المغرب ، والآن هناك في الجزائر موريسكي من قرطبة في سفارة إلى السلطان التركي يفره بسهولة عملية غزو إسبانيا لأن فيها خمسمائة ألف مسلم. ورغم أنهم رحبوا به في البداية إلا أنهم فيما بعد صرفوه باشمئزاز ، إذ بدت لهم العملية صعبة. إن هذا الموريسكي يقوم برحلات عديدة ، وهذه الاتصالات يشترك فيها أهل أراغون وفالنسيا التي يخرج منها يومياً إلى الجزائر كل من يريد. إنه يطلب منكم تأييد مهمته والأمر بمحاولة فك أسره ، إذ ليس لديه ما يملك إلا أنه خدمكم طوال حياته.

إن التعامل مع قضية الموريسكيين هو أهم ما يمكن عمله من أجل أمن هذه الممالك ، فليس هناك شك في أنهم أعداء ؛ ولهذا فإنهم سوف يستغلون أي فرصة تلوح لهم ،

وخاصة موريسكى فالنسيا ، فهم مسلمون حقيقيون ، ففي خلال مدة الإعلان لم تحضر سوى امرأة واحدة للتصالح مع الكنيسة ، ولما كانت فترة الإعلان تنتهى فى العاشر من الشهر القادم فيبدو للمجلس أنه من المناسب أن تتعامل اللجنة التى أمر صاحب الجلالة بتشكيلها بحذر شديد وهى تقرر ما يجب عمله مستقبلاً حتى لا يحدث أى خلل (وهو ما يخشى وقوعه) لأن أعضاء محاكم التفتيش سيبدعون محاكمتهم ، ومن الواجب تجنب المشاكل التى قد تحدث.

ولكى يأمر كاردينال غيبارا أعضاء محكمة التفتيش فى قرطبة بمحاولة معرفة موضوع الموريسكى الذى ذهب فى سفارة إلى سلطان تركيا - لكى يأمر الكاردينال بذلك فقد قدمنا له معلومات عن الموريسكى .

والى جانب ذلك فإنه يبدو للمجلس أنه يليق بجلالتكم التفضل على الضابط الذى أرسل التحذير وفك أسره ، وقد اقترح الكاردينال أنه فى حالة موافقتكم سيخرج ثلاثمائة أو أربعمائة توكية مخصصة للقديس بنيتو ، وهو أمر يحدث عادة ، فلتأمروا بجلالتكم باستدعائه وإصدار الأمر الذى ترونه.

مدريد فى ٢٨ يناير ١٦٠١

توقيعات

كان يُعتقد دائماً أن الموريسكيين عبارة عن جواسيس لأى عدو قوى^(٢) ، ففي مذكرة مجلس النولة الموقعة فى مدريد بتاريخ ١٠ أغسطس ١٦٠٠^(٣) عبروا عن مخاوف من حدوث اتصالات^(٤) بين موريسكى أراغون وفرنسا.

... إذا كان لموريسكى فالنسيا اتصالات مع فرنسا فيقول إنه حاول التحرى عن ذلك باهتمام ؛ لكنه لم يجد شيئاً ذا قيمة رغم أن موريسكى فالنسيا ساخطون وغاضبون إزاء القرار الذى صدر بشأنهم. لكننا علمنا على وجه اليقين أنهم يجرون اتصالات مع السلطان التركى ، ويبدو أن هذه الاتصالات وثيقة الآن ، فالآخرون يلحون عليهم. إذا كانت لهم اتصالات مع الفرنسيين ؛ فهذه الاتصالات تتم عبر موريسكى أراغون، فقد اتصل بهم ملك فرنسا فى الأعوام الماضية ، وهناك عدد كبير من الفرنسيين فى مملكة أراغون ، أما فى مملكة فالنسيا هذه فهناك أربعة عشر أو خمسة

عشر ألفاً . هذه المملكة محط الأنظار وموضع اهتمام ، فلو أن الموريسكيين تلقوا مساعدة - حتى لو لم تكن كبيرة - فسيكون هناك خطر ... يجب أن تكون المملكة مستعدة بالسلاح وبحماية الحصون ، رغم أن ذلك قد يؤدي إلى زيادة غضب الموريسكيين .

لما اطلع المجلس على هذه الرسالة وتجاوز بشأن مضمونها ، رأينا من المناسب أن نذكر جلالكم بأن هذا هو أهم موضوع ، ويجب النظر فيه على وجه السرعة ؛ لأن هؤلاء الأعداء الداخليين عددهم كبير ، وهم إسبان لا نشك في أنهم سينفذون مخططاتهم السيئة عندما تحين الفرصة لكي يُحسنوا أوضاعهم ، وهذا ما أثبتته التجربة في مملكة غرناطة ، فلو كان هناك غزو خارجي للمملكة فإنه سيكون من الخطأ الثقة في هؤلاء الناس ؛ ولهذا يطلب المجلس من جلالكم إصدار الأمر بمعالجة الوضع والاطلاع مرة أخرى على المذكرات التي حررت ؛ والتي هي في حوزة جلالكم وإصدار الأوامر المناسبة. ويحذر المجلس من أن تأخير النظر في هذا الموضوع سيسبب أضراراً بالغة لأن العقبات تزداد بمرور الوقت ، وقد يصعب العلاج.

"الوثيقة التالية مستخرجة من محاضر جلسات نواب قشتالة المحررة بتاريخ ١٣ سبتمبر عام ١٦٠٧ وهي ذات مغزى ، ليس فقط لأنها تبدي التخوف من الموريسكيين الذين هاجموا المسيحيين القدامى بكل الطرق ؛ بل لأنها تبين كذلك الإحساس بالشرف ، واشتراط نقاء الدم لممارسة بعض المهن. هناك مهن للمسيحيين القدامى ، وهي بالتالي شريفة ولا تتعارض مع الشرف. ولهذا فإذا سُمح للموريسكيين بممارسة مهنة الطب يتحول الطب إلى مهنة خاصة بالموريسكيين ، ولا يريد أي مسيحي قديم ممارستها"

(اقتراح بالزام ألا يكون هناك موريسكيون أطباء)

اقترح بدرو دي بيسغا أن يلزم القانون ألا يحمل الموريسكيون أسلحة حتى لا يُصيبوا أحداً ، فهل هناك سلاح أشد خطراً من المداواة التي يمكن أن يقتلونا بها؟

هناك مهن لا يجب أن يعمل بها الموريسكيون نظراً للتزيف الذى يمكن أن يؤدوا عملهم به ، ويقدر كون مهنة الطب سامية قدر خطورة التزيف الذى يمكن أن يرتكبه الموريسكيون فيها.

إن الثورات التى قاموا بها ومعلومات أخرى ، كلها شواهد تدل على أن الموريسكيين يكرهون المسيحيين القدامى ، ومن ذا الذى يريد أن يعالجه عدو ؟ إن الكثير من الموريسكيين الأطباء الذين حاكمتهم محكمة التفتيش قالوا فى اعترافاتهم إنهم كانوا يعالجون بنى قومهم بإخلاص ، وإنهم كانوا يحتالون لقتل المسيحيين القدامى ، وإنهم كانوا يقدمون أدوية تؤدى إلى إجهاض الحوامل.

وإذا كان الموريسكيون أطباء فسيرتدون ملابس من الحرير، ويركبون البغال ، وقوانين هذه الممالك تحظر على الموريسكيين الأمرين ، وتحظر عليهم أن تكون لهم وظائف محترمة، فلماذا يُسمح لهم بممارسة مهنة الطب وهى مهنة سامية ؟ . إن الموريسكى لو دخل دير الراهبات - وهن صغيرات السن وفضوليات - يمكن أن يعلمهن أموراً تخالف الدين .

واليوم هناك كثير من دارسى الطب الموريسكيين فى جامعة طليطلة وجامعات أخرى. إن الأدوية الكثيرة يمكن أن تُستخدم فى القتل خفية وبالحيلة ، ولنا أن نتصور أنهم سيستخدمون الحيلة وسيقتلون بها عدداً يفوق العدد الذى قتله الأتراك والإنجليز والأعداء الآخرين مجتمعين .

إن المسيحيين القدامى لا يريدون أن يعمل أبناؤهم كصيادلة أو كأطباء ، وهكذا فخلال ثمانين عاماً سيكون كل الأطباء والصيادلة موريسكيين ، وسيكون معهم مفاتيح الحياة فى المملكة ، ولن يكون هناك شئ آمن.

فى مدريد ، وفى أماكن أخرى تم إلقاء القبض على موريسكيين كانوا يسيرون ليلاً ويقتلون المسيحيين القدامى بدافع الكراهية ، وهناك طبيب اسمه " المنتقم " اعترف بأنه قتل ثلاثة آلاف وثمانية وأربعين شخصاً بظفر مسموم ، وقد عاقبت محكمة تفتيش فالنسيا موريسكياً يعمل " مجبراً " اعترف بأنه كان يعتمد إتلاف أيدي المسيحيين القدامى حتى لا يستطيعوا حمل السلاح.....

الهوامش

(١) Apud Janer: *Condicion social*.....,pp. 278-79

(٢) Vease Regla: *La cuestion morisca y la coyuntura internacional en tiempos de*

Felipe II, y Hess: The moriscos. An Ottoman Fifth Column in Sixteenth Century Spain.

(٣) Apun Janer, *Condicion social*....,p. 278

(٤) هي اتصالات تمت بالفعل . انظر كتاب لوى كاردايك :

Morisques et protestants.

قرار محكمة تفتيش أراغون بحظر حمل الموريسكيين الأسلحة النارية

(نسخة من القرار الذي أصدرته محكمة تفتيش أراغون في الخامس من نوفمبر عام ١٥٥٩ ؛ والذي تحظر فيه على الموريسكيين استعمال أو امتلاك الأسلحة النارية)^(١)

نحن أعضاء محكمة التفتيش عن جرائم الكفر والإلحاد في كل أنحاء مملكة أراغون ومدينة وأسقفية ليريدا ، الموكلون عن المقر البابوي ، نُعلم كل المنتصرين حديثاً في مملكة أراغون وأبنائهم أنه طبقاً لما فهمناه ، وبالنظر إلى المهمة المقدسة لمحكمة التفتيش ، خاصة في الوقت الحاضر ، فمن الضروري التزام المسيحيين الكاثوليك بإزالة أى عائق يحول دون قيام محكمة التفتيش بواجبها بحرية ، فلو كان هناك عائق مهما كان صغيراً فإن ذلك سيحول دون إنزال العقاب بالملاحدين الذين يشككون في عقيدتنا الكاثوليكية المقدسة.....

لما رأينا العدد الكبير من المسلمين المنتصرين وأبنائهم في هذه المملكة وهم يعيشون كمسلمين علانية ، ولما رأينا تكرار مجئ مسلمين أتراك - وهم أعداء لعقيدتنا الكاثوليكية المقدسة - يفدون إلى شواطئ هذه المملكة ، والكثير منكم أيها المنتصرون حديثاً قد سررتم بذلك وتمنيتم - لو أتيح لكم ذلك - الاجتماع بهم بل وما هو أكثر إيلاًماً أنكم عندما مات كونت الكاوديتي ومعه مسيحيون كثيرون ، قد أبدى الكثير منكم السعادة ، وكان هناك حديث كثير عن هذا الانتصار (للأتراك) ، والثابت لدينا أنكم تعتبرون محكمة التفتيش كعدو لكم ، وكذلك أعضاءها ؛ وهذا ما قلتموه عندما قاومتهم أحد مندوبي المحكمة.

Apud Carrasco Urgoiti: El problema morisco en Aragon a comienzos del reinado de (١)
Felipe II, pp. 87-89 . Vease tambien Danvila y Collado: "El desarme de los moriscos en 1563" , en BRAH

وبالنظر إلى الحادثة التي ارتكبتها موريسكيون ومسلمون متنصرون عندما خرجوا من بلدة بلاتينثيا بالبنادق وبأسلحة أخرى حين كان ثلاثة من المتعاونين مع محكمة التفتيش - بأمر منا - يعتقلون متنصراً حديثاً. لقد قتل الموريسكيون المتعاونين مع محكمة التفتيش وقتلوا خادماً لأحد المتعاونين ، وذبحوا نائب إحدى قرى المتنصرين ، وعنفوا سكان القرية لأنهم يعيشون كمسيحيين ، وارتكبوا أفعالاً أخرى تدخل فى نطاق اختصاص محكمة التفتيش . لقد دخل مسلم متنصر حديثاً إلى منزل النائب وقتله ، ورغم أن منزل النائب طلب النجدة إلا أن الموريسكيين لم يقدموا المساعدة. وعندما ألقى القبض على القاتل فى نفس الليلة جاء أشخاص يحملون البنادق وفكوا قيوده وأخرجوه من السجن فى تحدٍ سافر لمحكمة التفتيش.

وبالإضافة إلى ذلك فلدينا معلومات تفيد بأن الموريسكيين يهددون بمقاومة رجال محكمة التفتيش ، بحيث أنه من الآن فصاعداً لن يجرؤ أحد على الذهاب لاعتقال موريسكى إلا إذا كان فى صحبة عدد كبير من الناس ، ويتكالىف تعجز المحكمة عن تحملها ، وإذا كان الأمر كذلك فلن يكون من الممكن إتمام هذه العمليات سرّاً ؛ وهكذا سيتمكن المطلوبون من الهرب ، وستظل جرائمهم دون عقوبة.

لقد فهمنا كذلك أن كثيراً من الموريسكيين وأبنائهم يستعدون للهرب ومغادرة هذه الممالك بأية طريقة ، وكل يوم يغادر أناس ويأتى آخرون للعبور إلى بلاد المسلمين والتخلى عن عقيدتنا المقدسة وهم يحملون البنادق والأسلحة الأخرى للدفاع عن أنفسهم ولهاجمة أى شخص يحاول منعهم من العبور ، ولقد جرحوا أشخاصاً بالفعل. ونحن على علم بأن لديهم بنادق كثيرة وأسلحة مخبأة ، ونحن على علم كذلك بحرصهم على التدريب على الرقابة واستعمال السلاح ، وهذا دليل على نيتهم السيئة. ولدينا أسباب أخرى لا نذكرها تجنباً للإسهاب . هذه الأسباب يبدو منها أن محكمة التفتيش لن تتمكن من ممارسة عملها إذا لم تنزع هذه الأسلحة.

لكن حتى لو راعينا سياسة اللين معهم ، ولم ننفذ القانون بشكل صارم فى موضوع نزع الأسلحة ، فمن الواضح أن الطريقة التى يمكنكم بها إيذاهم هى اتباع الإجراءات التالية:

نأمركم بأنه من الآن فصاعداً ألا يستطيع أى متنصر حديثاً - كبيراً أو صغيراً ، رجلاً كان أو امرأة - ممن يعيشون فى هذه المملكة أو يمرون بها ، حمل الأسلحة

النارية أو البارود خفية أو علانية اعتباراً من تاريخ نشر هذا القرار ، ويُعاقب كل من يخالف هذا القرار أو يبدأ منه أو من يثبت أن لديه سلاحاً فى حوزته ، أو فى حوزة آخرين ، بأن يُجلد مائتى جلدة وبمصادرة الأسلحة وبيعها ، واستخدام ثمنها فى الإنفاق على أعمال الخير فى القرية التى ضُبط فيها السلاح. وإذا ضُبط سلاح مع شخص للمرة الثانية فإنه يعاقب بالحبس لمدة أربع سنوات ، وبالجلد مائتى جلدة ، وفى المرة الثالثة تُضاعف العقوبة.

كما نأمر بأنه من الآن فصاعداً لا يمكن للموريسكى أو لأبنائه أن يبيع سلاحاً أو أن يلمسه وإلا عُوقب بدفع غرامة قدرها خمسمائة بوقية أو بالجلد مائة جلدة كيفما يتراعى لنا. وحتى يتم تنفيذ هذا الأمر الذى أصدرناه فإننا نأمر سادة الموريسكيين ومعاونيهم بأنهم إذا رأوا أو علموا أن أحداً من الموريسكيين أو أبنائهم خالفوا مضمون هذا الأمر ، أو إذا علموا مكان إخفاء الأسلحة ، أو الشخص الذى يخفيها عنده ؛ فليعتقلوا المخالف وليرسلوه مقيداً إلى محكمة التفتيش لمعاقبته. عليهم فعل ذلك وإلا عُوقبوا بإعلان خروجهم عن تعاليم الكنيسة ، وبدفع غرامة قدرها مائتا بوقية.

ولكى يتم تنفيذ هذا الأمر على الوجه الأكمل نأمر كل الأشخاص على اختلاف درجاتهم بالإبلاغ عن أى موريسكى يخالف مضمون الأمر من الآن فصاعداً. عليهم إبلاغ محكمة التفتيش ، وإذا كان المخالف خارج هذه المدينة ؛ فيتم إبلاغ ممثلينا. ولتشجيع الناس على ذلك فإننا نمنحهم ثلث قيمة السلاح المضبوط لدى الموريسكى. على جميع الناس الالتزام بذلك وإلا عُوقبوا بإعلان خروجهم على تعاليم الكنيسة. وعلى الحُجّاب اعتقال المخالفين وإيداعهم السجون ، وإبلاغنا لاتخاذ ما يلزم من إجراءات .

وحتى لا يخسر المنتصرون حديثاً قيمة الأسلحة ؛ فإننا نعطي مهلة قدرها ثلاثون يوماً يمكن خلالها إحضار الأسلحة ملفوفة كمتاع مُعد للبيع ، وتبدأ المهلة اعتباراً من تاريخ نشر هذا القرار.

قصر الجعفرية الملكى فى ٥ نوفمبر ١٥٥٩ .

أوضاع ومعاملات وأزياء ومأكولات الموريسكيين ووظائفهم وأمراضهم المعدية طبقاً لما يرويه مؤلف أراغونى فى القرن السابع عشر

وضع الأب أنثار كاربونا كتاباً بعنوان " الطرد العادل لموريسكىى إسبانيا وجملة الفضائل المسيحية لليكنا فيليبي ، الثالث بهذا الاسم " ، ونشره فى أواسط عام ١٦١٢ بهدف إقناع معارضى طرد الموريسكيين بصواب وحكمة هذا الإجراء. ويتضمن الكتاب أكثر الفقرات وحشية مما كُتب ضد الموريسكيين . إن ملاحظات المؤلف - وهى صبيانية غالباً - ذات مغزى ، إذ ترسم لنا عقلية " مسيحي قديم " . والحجج التى يسوقها بالغة الأهمية من وجهة النظر الاجتماعية . إنه يعيب على الموريسكيين تقشفهم فى الماكل والمشرب ، ويأخذ عليهم نوع المأكولات ، والوظائف التى يمارسونها ، ويُبدى احتقاره لآلاتهم ولطريقتهم فى رى المحاصيل ؛ كما يُبدى احتقاره لأعيادهم واحتفالاتهم ولأمور أخرى تافهة مثل : السير جماعة فى الطرقات.

الكتاب يستند إلى أسباب دينية، وبالإضافة إلى ذلك يُبدى كراهية لنمط من أنماط الحياة [عادات خاصة بالأطعمة ، والملابس ، وشكل من أشكال العمل والتسلى وشغل وقت الفراغ] يختلف عن نمط الحياة الذى يسير عليه مجتمع المسيحيين القدامى . والمؤلف لا يكتفى برفض الخط الموريسكى ؛ بل يعتبره خطراً^(١).

(١) هناك مؤلفون كثيرون درسوا كتاب أنثار ونقلوا عنه. انظر على سبيل المثال خوليو كارو باروخا "Los moriscos aragoneses segun un autor del siglo XVII" en Razas, pueblos y linajes

أوضاع ومعاملات وأزياء ومأكولات الموريسكيين ووظائفهم وأمراضهم المعدية

(الصفحات ٢٣ - ٦٢)

كنا قد تحدثنا عن طبيعتهم ، ويبقى أن نتحدث الآن عن أوضاعهم ومعاملاتهم . كان الموريسكيون من أخط الناس وضعاً ، كانوا مهملين ، وأعداءً للآداب والعلوم الراقية التى تُصاحب الفضيلة ، ومن ثم بعيدون عن أشكال التعامل المدنى واللياقة والنطق. كانوا يربون أولادهم كالحوانات دون تعليم عقلانى ، ودون توعية صحية ، إلا تلك التى تحتمها الضرورة القصوى التى كان رؤساؤهم يشترطونها عليهم بعد أن تم تعميدهم.

كانوا حمقى عند عرض حججهم ، وكانوا كالحوانات ، وكانوا همجين فى لغتهم ، وكانت أزيائهم مزرية ؛ فكانوا فى معظم الوقت يرتدون سراويل من نسيج خفيف ، أو يرتدون لباساً آخر شبيهاً بزي من يعملون فى البحر ، وكانت ملابسهم رخيصة ، وكانوا يتعمدون أن تكون غير متناسقة ، وكانت أزياء نسائهم على نفس الوضع ، فكان على نفس الوضع .

كانوا همجين فى مأكلمهم ؛ فكانوا يأكلون دائماً على الأرض دون استعمال موائد ولا شئ آخر يدل على أنهم آدميون ، وكانوا ينامون على نفس الهيئة ، على الأرض ، على شئ يسمونه - المضربة - فى أركان مطابخهم أو فى أماكن قريبة منها لكى يكونوا مستعدين لحماقاتهم ، والقيام للسحور.

كانوا يأكلون أصنافاً دنيئة (لقد حققت عليهم العقوبة فى الحياة الدنيا بحكم من السماء) ؛ مثل عجائن من دقيق أنواع البقول والعدس والفول و الجرس وخبز من نفس الدقيق. كانوا - إذا استطاعوا - يأكلون مع هذا الخبز زبيباً وعسلأ ومربى ولبنأ وفاكهة كالشمام - حتى لو كان لم ينضج بعد ، ولا يزيد حجمه على قبضة اليد - وقللاً ، وثماراً أخرى حتى لو كانت لم تنضج بعد . وبعد الأكل كانوا يتشوقون إلى الطعام ، وكانوا لا يتركون نباتاً على قيد الحياة . ولما كانوا على مدار العام يحفظون أصنافاً شتى بين خضراء وجافة (يحتفظون بها حتى تفسد) ويأكلون خبزاً ويشربون ماء قراحا (لأنهم لا يشربون الخمر) ، ولا يشربون لحم الفريسة التى اصطادها كلب أو قُتلت برمح أو بندقية ، ولا يأكلونه ؛ بل يأكلون ذبائحهم هم التى ذبحوها طبقاً

لشريعة محمد ، فكانوا لا ينفقون إلا القليل ، سواء فى المأكّل أو فى اللبس، رغم أنّهم كان يتعين عليهم دفع الكثير من الضرائب إلى سادتهم.

كانت لحوم الحيوانات المذبوحة على طريقة تخالف شريعتهم تسمى " محرمة ". وإذا سألتهم لماذا لا يشربون الخمر ، ولا يأكلون لحم الخنزير ؟ كانوا يجيبون " ليس لكل الأكلات مذاق واحد ، وليست كل البطون تتحمل نفس الأكلات " . وهكذا كانوا يخفون تطبيقهم لشريعتهم ؛ وهذا هو سبب امتناعهم عن الأكلات والمشروبات المذكورة ، وهذا ما ذكرته لموريسكى فقيه من إيبلا يدعى خوان دى خوانا ، كان يعترض على طرده من إسبانيا دون سبب ، وطلب منى ألا يطردوهم من إسبانيا لأنهم سيأكلون لحم الخنزير ، وسيشربون الخمر، وقد أجبته قائلاً : " إن عدم شرب الخمر ، وعدم أكل لحم الخنزير ليسا هما سبب الطرد من إسبانيا ؛ بل إن سبب الطرد هو الامتناع عنهما امتثالاً لتعاليم شريعتكم الضالة. إن هذا إلحاد يعرضكم للعقوبة. وأنت كلب حقير، فلو أنك امتنعت عنهما لمجرد التقشف لكان ذلك أمراً محموداً – كما هو الحال عند بعض القديسين – لكنك تمتنع تنفيذاً لأوامر محمد كما نعلم ؛ بل إننا نراكم تعاقبون أولادكم الصغار إذا علمتهم أنهم أكلوا لحم الخنزير فى بيت مسيحي قديم. إننى أتساءل : هل عندما يأكل ابنكم الصغير لحم الخنزير يؤدى ذلك إلى مغص فى معدتكم ؟ لا، لكنكم تُبّون امتعاضكم علانية إذا أكل طفل من أطفالكم عمره بين الرابعة والخامسة لحم الخنزير. صدقنى إنكم لا تستطيعون إخفاء ذلك».

كان الموريسكيون يحبون السخرية والحكايات والرقص والغناء والتجول فى الحدائق وكل أنواع التسلية الهمجية حيث الصخب والضجيج ، وكان الشباب منهم يسيرون عبر الشوارع. كانوا يتفاخرون بإجادتهم للرقص ولعب الكرة ، وقذف الكرة والغناء والجري خلف الثيران وأشياء أخرى مشابهة. كانوا مولعين بالمهن التى لا تتطلب جهداً ، فكان منهم النساج والخياط ، والإسكافى ، والبيطرى ، والبستاني ، والدباغ ، وتاجر الزيوت ، ويائع السمك ، والعسل ، والزبيب ، والسكر ، والقماش ، والبيض ، ومن يبيع ملابس من الصوف للأطفال. وكانوا يحبون تلك المهن التى تستدعى تواجدهم فى المنازل ، وكانوا يفتعلون الأسباب لكى يتجولوا بين القرى ، وهكذا يتسمعون أخبار السلم والحرب؛ ولهذا فقد كانوا بصفة عامة كسالى ومتسكعين ، يحبون الجلوس فى الشمس شتاءً ، والجلوس فى الظل صيفاً ، إذا استثنينا الساعات القليلة التى كانوا

ينفقونها فى القيام بأعمالهم أو فى رعاية بساتينهم طمعاً فى جنى الثمار. لكن القليلين - بل القليلين جداً - منهم كانوا يحبون الصناعات المعدنية وصناعة الحديد والأثاث والحجر؛ لكنهم فيما بينهم كان منهم بعض الحدادين ، وكان ذلك من أجل تجنب الاضطرار إلى التعامل مع المسيحيين ، فقد كانوا يكرهونهم .

أما عن صناعة السلاح فلم يكونوا مهرة ، لأن الأسلحة كانت محرمة عليهم ، وقلة الاستعمال تُفقد المهارة كما يقول أوفيد ، ولأنهم كانوا جُبّناء ومخنثين من حيث النشأة. ولهذا كان هؤلاء الجُبّناء يتجنبون السير فرادى فى الطرقات وفى أطراف القرى التى كانوا يعيشون فيها ، فكانوا يسيرون جماعات.

كانوا يزيّدون مشاجراتهم اشتعالاً بالصراخ ، حتى لو كانت تلك المشاجرات وقتية، وذلك امتثالاً لأوامر محمد ، وكانوا يحبون النساء لدرجة أن كل أحاديثهم ومؤامراتهم ومشاكلهم تدور حولهن ، وكانوا فى هذا الشأن غير أوفياء فيما بينهم ، ولا يحترمون أقاربهم ، وكانوا يخالفون القوانين الطبيعية والإلهية فى هذا الأمر ، ولم تكن تفيد معهم الوسائل ، كما أوضحنا ذلك فى الفصل الخاص بتعدد الزوجات. من كل ذلك نشأت المساوى ، ونشأ الإصرار على ارتكاب المعاصى بين المسيحيين القدامى ، ومن هنا نشأت المشاكل بالنسبة للنساء المسيحيات ، فقد رأين أزواجهن وأخوتهن على صلة بالموريسكيات المنحرفات اللاتى يرين أن علاقتهن بالرجال مباحة.

" فى كتاب أثنار ترد بعض الحُجج الأكثر شيوخاً حول خطورة الموريسكيين ، السبب الأول هو ارتفاع نسبة الخصوبة عندهم ، وهو سلاح يهدد مجتمع المسيحيين القدامى الذى يحد من تزايد رهبانية الرجال ، وذهاب الرجال الآخرين للقيام بحملات عسكرية "

كانوا يزوجون أبناءهم وهم صغار السن ؛ فكانوا يعتقدون أن السن المناسبة للزواج هى عشرة أعوام للبنات ، واثنى عشر للولد، وكانوا لا يرهقون أنفسهم فى مسألة المهر (إلا الأغنياء منهم) ، إذ كان يكفيهم سرير وعشرة جنيهاً. كان غرضهم التكاثر وزيادة العدد كالحشائش الضارة ، وكانت قراهم وأحيائهم لا تتسع لهم. كانوا قبل ذلك يقطنون فى البيوت التى تزيد عن حاجة أصحابها ، ثم كانوا ينتشرون ويريدون تنفيذ ما جاء فى أغنية لهم يطلبون فيها من محمد أن يزيد من نسلهم.

يزداد المسلمون والمسلمات

كنيات الأسل

وشجر الصفصاف

كانوا يتكاثرون بشكل يزيد عن الحد المعقول، فلم يكن أحد منهم يعزف عن الزواج ، ولم يكن أحد من رجالهم أو نسائهم يجنح إلى الرهبانية، ولم يكن هناك ما يحول بينهم وبين التناسل ؛ وهذا دليل على رفضهم لحياة العفاف والشرف. كانوا جميعاً يتزوجون ؛ الفقراء منهم والأغنياء ، الأصحاء والمرضى ، وكانوا لا يتعلمون من المسيحيين القدامى الذين كان الرجل منهم ينجب خمسة أو ستة أبناء فإذا زوّج الابن الأكبر أو البنت الكبرى كان يحاول أن يتجه بقية الأبناء إلى التفرغ للكنيسة والرهبانية أو للجنديّة. والأسوأ من كل ذلك هو أن بعض المسيحيين القدامى - ممن يتباهون بأنهم من طبقة النبلاء - كانوا يتزوجون من موريسكيّات ويدنسون شرف عائلاتهم ، وكان الواحد منهم يدعو الله ألا يصل الدنس إلى روحه.

"هناك أيضاً شكوك في استعداد الموريسكيين للثورة المسلحة وهو شيء نجده في هذه الصفحات التي تروى فيها حكايات كثيرة مثل هذه"

لقد تعرفت في إبيلا على موريسكية عجوز أرملة اسمها العمة بلانكا أو كاستيانا. ذات يوم ذهب إلى بيتها واحد ممن يجمعون المال للجيش. ولما كانت عجوزاً فلم تعد تتذكر سبب جمع المال ؛ لكن الرجل قال لها إن هذا المال من أجل القيام بعمل ضد المسيحيين (وكان هذا ادعاء من جانبه) فأجابت " لهذا أدفع رغم أنني لا أملك إلا ريالين احتفظ بهما لشراء زوج من الأحذية ينقصني ؛ لكنني أتحمّل حاجتي من أجل عمل طيب كهذا". سمع الحوار مسيحيون قدامى - لم يفتن الموريسكيون إلى وجودهم - وأذاعوا ما حدث في القرية كلها ، ولم تجرؤ المرأة العجوز على النفي ، ولا على الاعتراف ؛ بل كانت تختبئ من الناس وهي مترددة حتى لا يواجهها الناس بما قالت (الصفحات ٤٢ ، ٤٣)

" ننقل هنا بعض من الفقرات التي يصف أثار فيها خروج موريسكيّ أراغون إلى مناهم : "

خرج الموريثيون التعساء فى الأيام التى حددها المفوضون الملكيون ، واختلط المشاة منهم بالركبان، ساروا مفعمين بالآلم ، تتساقط دموعهم ، يتصايحون وهم يحملون أبناءهم وزوجاتهم ومرضاهم وشيوخهم وأطفالهم ؛ يعلوهم التراب جميعاً ، تتساقط منهم حبات العرق . كان بعضهم يركب عربة يتزاحم فيها الأشخاص ومعهم أمتعتهم وأبواتهم ، وكان البعض الآخر يمتطى الدواب ويحملون فوقها السلال ، والملابس ، والمفارش والأمتعة الأخرى. وكان البعض الآخر يمضى ماشياً على قدميه، ملابسه ممزقة ، ويضع فى قدمه فردة حذاء واحدة وكانوا كلهم يلقون التحية إلى من ينظر إليهم قائلين " حفظكم الله " . كانت العربات والدواب مؤجرة ؛ لأنه لم يُسمح لهم إلا بحمل أمتعتهم الشخصية كالملابس والنقود التى باعوا بها أثاثهم ؛ وبين من كانوا يرحلون كانت هناك نسوة (من الأغنياء) يضعن حليهن الفضية الملونة على صدورهن يخفين بها ما يعتصر قلوبهن من ألم. أما الباقي - وهم الأغلبية - فكانوا يمضون سيراً على الأقدام مُرمقين ، تأنهين ، مفعمين بالحزن ، عطشى وجوعى لدرجة أن خبز القرى لم يكن يُشبع جوعهم ، ولا ماء العيون كان يروى ظمأهم مع أن الخبز الذى اشتروه بنقودهم كان وفيراً.

رسالة السيد مانويل بونثي دي ليون إلى صاحب الجلالة

مدريد في ٢٨ أغسطس عام ١٦٠٩^(١)

(يعرض في الرسالة الأضرار التي ستترب على طرد الموريسكيين أملاً في تجنبها ، ويقترح حلولاً أخرى ، على غرار تلك الوسائل التي يستعملها الأتراك مع رعاياهم المسيحيين)

سيدي :

علمت أنه نظراً لوجود اتصالات سرية لموريسكي فالتسيا وأراغون مع الثوار وأمرء المسلمين ، فقد اقترح بعض الغيورين على الدين على جلالته عدة اقتراحات لمعالجة الوضع.

واعتقد أنني ليس لدى إلا القليل الذي يمكن أن أضيفه نظراً لقلة معلوماتي ، ونظراً لأن المجالس الملكية قد أعلمتكم بما هو ضروري. لكن رغبتى في خدمة جلالته تلزمنى بإبلاغكم بما يدور في ذهني حول الموضوع ، وهذا لن يكون عديم الفائدة بالكامل ، نظراً لأننى أستند فيما أقول إلى رغبتى في خدمتكم ، وإلى خبرتى في شئون الحرب والسياسة على مدى سنوات طويلة.

أظن - قبل كل شيء - أنه حتى لو كانت هذه الشكوك لها ما يبررها فإن الأمر يتطلب إما عقوبة شديدة أو علاجاً ليناً . إذا كان الأمر يتطلب توقيع عقوبة بمن أجرى هذه الاتصالات ؛ فلنكن الوسيلة مريحة ومناسبة لجلالته ، فلا يجب أن نعتقد - رغم ميل هؤلاء الناس إلى الإجماع - أن كل الموريسكيين شاركوا في هذه الاتصالات. وحتى لو شارك الجميع في هذه الاتصالات فيجب عدم الإسراع في تطبيق العقوبة

(١) Apud Janer: Condicion social.....pp. 285-291

طالما أنهم لم يعترفوا بذلك صراحة. ومن المعتاد فى مثل أحداث التمرد هذه أن تكون قلة من الأشخاص هى التى تحركها ، وأن تكون الغالبية هى التى تسير وراءهم ، وأن يكون الدافع وراء ذلك هو الفضول أو العنف أو الخوف أو الطاعة. بهذا الشكل لا يكون من المناسب اتباع الشدة مع الكافة - رغم أن الشكوك تشملهم جميعاً - طالما أن الشر لم يقع بعد، وليس من المناسب كذلك اتباع العفو مع أشد الناس تورطاً. فإذا كنا نريد معالجة الوضع فلنكن المعالجة سريعة وناجحة ، تأخذ بعين الاعتبار الوضع الحالى ، كما تخطط للمستقبل ، وتراعى توقير الدين المسيحى وأمن الممالك والصالح العام، فلا تكون المعالجة مبالغاً فيها ولا عنيفة ولا عقيمة.

على هذا الأساس اقترح على جلالتك ما أراه مناسباً، فالخطر الذى يشكله تزايد المورييسكيين فى هذه الممالك خطر واضح بحكم موقعهم ، فالمملكة الأولى (مملكة فالنسيا) قريبة جداً من بلاد البربر التى ترجع إليها أصول هؤلاء الناس ، وهم يقيمون فى قرى قريبة من البحر ، ومستعدون لاستقبال جيوش العدو، خاصة وهم لا يزالون يتحدثون اللغة الهمجية ، ويمارسون نفس العادات والشعائر. المملكة الأخرى (أراغون) قريبة من فرنسا ، ومن غير الضرورى أن أتحدث عن هذا الخطر الأكبر ، وكما يجب الاحتياط منه. وهنا أصل إلى ما أريد الحديث عنه.

إننى أقسم إجراءات الحل إلى قسمين: أحدهما له نهاية ويختص بالحاضر ، والثانى يتعلق بالمستقبل ، مع أنه من المؤكد أن كلا القسمين لا يعالجان الوضع ، فهما يحتاجان إلى وقت بينما الحل لا يحتاج إلى تأخير.

أعود إلى طريقة العلاج فأقول إننى أرى أن تبتعدوا جلالتك عن طريق الشدة الذى اقترحه أولئك الذين لا يحترمون مبدأ الرحمة المسيحى ، ولا يحترمون الأخلاق الحميدة والسياسة الرشيدة ، وهو ما يثير حفيظة الرعايا ، ويؤدى إلى استياء الأقاليم المجاورة. إن الرعايا الذين لم يشتركوا فى هذه الجرائم سيرون أن الاجراءات الصارمة ظلم واضح. وسأضرب مثلاً: إن إخراج هؤلاء المورييسكيين من إسبانيا ، وطردهم إلى إفريقيا - كما يرى البعض - أمر لا يتصور ، ثم إن إبعادهم إلى أقاصى كاستيا وغاليثيا ليس بالأمر المناسب ، بالإضافة إلى أنه صعب التنفيذ. إن رفع سن الزواج يمثل علاجاً طويل الأمد ، وبطيئاً ، ثم إنه إجراء ضد انتشار الإنسان . إن بتر بعض الأعضاء السليمة علاج بعيد عن روح الكاثوليكية ، وغير إنسانى وهمجى. إن تحديد إقامتهم

داخل حدود ضيقة يغريهم بارتكاب مزيد من المعاصي ، أما منعهم من التجارة فهو أمر صعب. وفي النهاية فإن جلالتم وسادة الرعايا ستخسرون مبلغاً كبيراً من المال في حالة تطبيق أى وسيلة من الوسائل المذكورة. كيف نسمح بالرحيل إلى إفريقيا لعدد كبير دخل في تعداد الكنيسة وتقبل التعميد ؟ ما هو المقابل الذي يمكن أن يعوّض الأضرار التي تلحق بالسادة، من الذي سيملاً الفراغ ؟ ماذا ستكون سمعتنا في الخارج إذا لم نجد علاجاً أفضل ؟ ثم (بالنظر إلى مصلحة النولة) كيف يمكن التخلي عن مواطنين بهذا العدد من العاملين ونرسلهم فسيستفيد منهم الأعداء ؟ ما هو السبب الذي سنعلنه للكنيسة إذا طردنا (لا عدداً هائلاً بل مجرد شخص واحد) إلى مكان سيفقد فيه الإيمان ؟ ما الذي سيُقدم عليه ملوك المسلمين إذا تعضدت جيوشهم بعدد هائل من الجنود الذين وُلّوا في إسبانيا ، وقد اتخذتهم إسبانيا كأعداء ، وقد خسروا أموالهم ودينهم ؟ هل هناك عُذر أكبر لدى هؤلاء الرعايا يدفعهم إلى طلب المساعدة الخارجية ؟ متى سيكون لدى منافسي جلالتم فرصة كبيرة كهذه لإثارة البلبلة في الممالك وتعجيزكم عن نجدها ، خاصة في هذا الوقت الذي سيتعين فيه على الخزنة مواجهة نفقات كبيرة ؟ أرى نفس الشيء بالنسبة لبرتر عضو غير تقى، فهو إجراء لم يتخذ مطلقاً حتى في البلاد غير المتحضرة..... إن هدف المورييسكيين ليس الرحيل إلى بلاد البربر ؛ بل التخلص من الذل بمساعدة إخوانهم في الدين ، وإدخالهم الأعداء إلى إسبانيا ، وإثارة القلاقل ، والتضامن مع مورييسكى قشتالة ، وإحياء شعائر دينهم. أصل الآن إلى العلاج الذي أراه سريعاً وأكيداً.

هذا العلاج هو أن تأمروا جلالتم بالنظر إلى الحصون الموجودة في كارتاخينا ومملكة فالنسيا ، وأن تشيخوا ثلاثة حصون مثلها في مواقع مطلة على البحر المتوسط، ويكون الهدف من هذه الحصون هو الحد من حركة المورييسكيين ، بحيث لا يستطيعون الآن أو فيما بعد إثارة القلاقل ، وبحيث لا يستطيع أحد مساعدتهم لأن هذه الحصون - التي سيكون بها عدد كاف من الرجال - ستؤمن جميع أنحاء المملكة وهي صغيرة ، وستؤمن الحصون المملكة عندما تتسع رقعتها ، لأن الهدف من تشييد هذه الحصون هو منع الغزو الخارجي ، والحد من حركة الرعايا الداخليين كما هو الحال بالنسبة لحصون ميلان وأمبيريس وجانتى وسان تلمو ، وسان جيان وغيرها ؛ فهي تقضى على التمرد في مهده ، وتجعل السادة أكثر احتراماً ، وتحمي الصديق ، وتشكل مستودعاً للأسلحة ، وموقعاً لفرق الحراسة لكي تحمي جيوش من شيوخها.

أظن أن هذا العلاج هو أفضل علاج ممكن للمشكلة ، فهو ليس بالصعب ، إذ لن تُشيد الحصون على نفقة جلالتك ، بل على نفقة الموريسكيين ، وسيكون لتشييد الحصون فائدة عظيمة بالنسبة لهذا الموضوع ، وستجدون جلالتك أمثلة لذلك في إسبانيا وخارجها مثل (ألبانيا وقبرص ، واليونان) حيث لا يكتفى المسيحيون في هذه البلاد من رعايا السلطان التركي بدفع الضرائب العادية بل يدفعون كذلك أجر المحاربين ؛ لأن هذا الطاغية - لأسباب خاصة بإدارة شئون الحكم - يريد أن يظل المسيحيون هكذا فقراء وضعفاء ومضطهدين حتى لا تتوق أنفسهم إلى الثورات.

وإذا تركنا نماذج الطغاة جانباً ؛ فمن المعلوم أنه في البلاد الحرة تفرض هذه الرسوم لحماية البلاد ، وهو ما يحدث في ألمانيا وإيطاليا ، ولن يشعر رعايا بلادنا بامتعاظ ، فنظراً لجرائمهم التي ارتكبوها سينظرون إلى الضرائب المفروضة على أنها أمر هين. تستطيعون جلالتك استعمال هذا العقاب العادل مع رعاياكم الذين تشكون في صدق إيمانهم وولائهم ، والذين أشعلوا ثورات في مدن معينة كما حدث في غانتى أيام حكم الإمبراطور ، وفي ميثينا عندما كان يحكم صقلية السيد غارثيا دى توليدو.

يمكن لجلالتكم الاستفادة من كل ذلك ، وسيستفيد منها أيضاً سادة الرعايا ، لأن هذه الحصون ستؤمنهم دون تكاليف ودون مشقة ودون أن يخسروا رعاياهم ؛ بل إن السادة سيحصلون على مزايا من هذا الاقتراح . ويمكن لجلالتكم في وقت الاضطرابات أن تلزموا سادة الرعايا بإخماد الفتن وتأمين المدن على نفقتهم أو حرمانهم من رعاياهم إذا لم يعملوا على تأكيد ولاء الرعايا للوكهم الطبيعيين .

ومواطنو هذه الممالك لن يغضبهم تشييد الحصون ؛ لأن سبب تشييدها واضح ، وواضح أيضاً أنه من الواجب حمايتهم. إننى لا أقتنع بضرورة الانتظار إلى حين انعقاد المجلس ، نظراً لأن البدء في التشييد لا يتطلب وقتاً طويلاً ؛ خاصة وقد شاع خبر (لا أدري ما إذا كان صحيحاً) أن هناك شيئاً يُعد بخصوص الموريسكيين .

أعود إلى موضوع الحصون وإلى مكان تشييدها وما شكلها وحجمها وتكاليفها فأقول إن كل ذلك من اختصاص مجلس الحرب الذى تعقونه جلالتك رغم أننى أرى أنه يكفى لحماية الحصون ١٥٠٠ من المشاة بمن فيهم الرماة والضباط ؛ أى أن التكلفة الإجمالية لن تزيد على ٩٠ تسعين ألف بوقية في العام ؛ وهو مبلغ بسيط إذا وزع على رعايا كثيرين ، إذ سيدفع كل بيت بوقيتين في العام.

أرى أيضاً أن تكاليف المدافع والعتاد.....الخ يجب أن تكون على نفقة الموريسكيين ، وأن يعلن المجلس الاجراءات التي تنظم ذلك ، وأن تُبلغ هذه الإجراءات إلى القائد العام للمدفعية في إسبانيا.

أوجز فاقول إن هذه الوسيلة هي أنسب الوسائل المتاحة للقضاء على كل مشاكل الموريسكيين الداخلية والخارجية ، إذ يمكن البدء في تنفيذها بتقدير التكاليف. وإذا اتضح أن أحد الموريسكيين يستحق العقوبة فيمكن لجلالتكم مصادرة أمواله وتوجيهها لتشديد الحصون، وعندما لا تجدون مصادر للتمويل من هذه الناحية فبإمكانكم توزيع التكاليف على الموريسكيين وفقاً لمستوى ثروتهم ، بحيث لا يُعفى الأغنياء من المساهمة ولا يزيد الضغط على الفقراء. وبعد توزيع التكاليف على الموريسكيين يجب أن تبدأ عملية تصنيع المواد اللازمة واستدعاء المواطنين القريبين للعمل ، على أن تدفع لهم الأجور المعتادة ، ثم يُعين للحصون العدد الذي اقترحتّه ، أو العدد الذي يراه المجلس ضرورياً ، على أن تحدد الجنود الرواتب الدائمة ، فإذا بلغت جملتها الرقم الذي ذكرته آنفاً فلن يكون من العسير توفير المبلغ.

علمت أن موريسكي أراغون أقل عدداً ، وبما أن هذه المملكة بها حصون فالشكوك حولهم أقل ، خاصة المقيمين منهم في خاكا ، وإذا افترضنا أن الحصون البحرية في كاراتاخينا وفالنسيا سترتبط بالحصون التي سيتم تشييدها ، وهذه الحصون الأخيرة سترتبط بحصون أراغون ، فأعتقد أن كل الحصون ستكون آمنة.

وبما أننا سنحتاج إلى شركات وسياتى أفراد من إيطاليا ، فمن المناسب أن تأمروا لجلالتكم بتسكين القوات القادمة في مملكة فالنسيا لتأمين المملكة ، ولإعطاء دفعة لتشديد الحصون. وإذا تعين على السفن الإسبانية أن تظل راسية في الشتاء فليكن رسوها في كاراتاخينا فحيث أنه قد شاعت أخبار عن محاكمة المتورطين في القلاقل فيجب عدم التأخير في تأمين الأماكن.

إن ما ذكرته يكفي لإثبات أن تنفيذ الفكرة سيكون من شأنه تأمين الوضع الحالي ، بل والمستقبلي ، لكنني حتى لا يفوتني شيء سأقترح بعض النقاط التي فكر فيها آخرون ربما أكثر حصافة مني :

- أولاً : يجب ألا يُسمح للموريسكيين بممارسة أية أعمال إلا أعمال الزراعة .

- ألا يُسمح لهم بالانتقال من مكان إلى آخر.

- يجب ألا يُمنع من الزواج من يريد الزواج منهم عند بلوغ السن المناسبة، لكن يجب أن تُفرض عليهم ضريبة باهظة بحيث تكون ، إما صعوبة التنفيذ بالنسبة لهم ، وإما - إذا دُفعت - تكون مفيدة لجلالتكم ، ويجب ألا يبنو هذا الأمر مستغرباً ، ففي فلورنسا وسيناربيسا ومودينا وريجيو - على ما أعتقد- قد تعوُّبوا على ذلك.

- يجب أن نطلب من قداسة البابا ألا يسمح لهم بزواج الأقارب .

- يجب ألا يقوم سادة الرعايا بالتدخل عند ارتكاب الموريسكيين لجرائم بدفع نقود عنهم ، ويجب أن تُنفذ العقوبات المفروضة عليهم (كالجلد والنفى) إذا كان الأمر يتطلب ذلك . وإذا كانت العقوبات غير معمول بها في الممالك فليطلب من مجالس الممالك الأخذ بها.

- يجب أن يحظر عليهم استعمال اللغة العربية حتى فيما بينهم في منازلهم ، على أن يُمنحوا مدة عامين لكي يتعلموا لغة إسبانيا، ويجب أن يُفرض عليهم مدرسون من المسيحيين القدامى لتعليمهم القراءة والكتابة والعقيدة المسيحية ، وبعد مرور عامين يُعاقب من لا يتحدث الإسبانية عقاب المجرمين.

- أن يأمر الأساقفة مروّسيهم بإجبار الموريسكيين على أداء واجباتهم الدينية كمسيحيين وتعليمهم العقيدة المسيحية.

- أن يُعاقب بالسجن كل موريسكى يوجد بحوزته أو في بيته أسلحة هجومية أو دفاعية.

- أن يرسل عدد من الموريسكيين للعمل في تجديف السفن الحربية ، كما هو الجارى في مملكة فالنسيا.

- يجب إجبارهم على العمل في مناجم المادين والومبريس بأجور مناسبة عند الضرورة ، ويجب توزيع العمل على الأشخاص بالترتيب حتى لا يظلم أحد منهم.

- نظراً لعدم توقيع الجزاء على مثيرى الاضطرابات منهم كرافة من جلالته ، وعقاباً على اتصالهم بسفن القراصنة والكفار والأعداء ، أقترح أن يدفع الموريسكيون ضريبة تكفى لشراء عشر سفن لمراقبة سواحل الممالك.

- بالنسبة لكل الأمور الأخرى أرى أن تستمروا جلالتم والسادة فى تطبيق سياسة الرأفة واللين المتبعة مع الموريسكيين ، والالتزام بالاتفاقيات الموقعة معهم ومع أسلافهم عندما دخلوا فى ديننا واختاروا البقاء فى هذه الممالك. وأرى أن تأمروا جلالتم سادة الرعايا باتباع اللين مع الموريسكيين حتى لا تكون لديهم ذريعة للتمرد، على ألا يُسمح لهم بممارسة أعمال إلا أعمال الحقل. لقد أطلت وأسهب ؛ ولهذا فإننى أنهى حديثى بأن أطلب من جلالتم بقبول رغبتى فى خدمتكم. حفظكم الرب لنا أعواماً طويلة لأننا - رعاياكم - فى حاجة إليكم .

مدريد فى ٢٨ أغسطس ١٦٠٩

خادمكم السيد مانويل بونثى دى ليون

على المظروف:

إلى مولانا الملك . مرسل مع بوق ليرما عضو مجلس الدولة وكبير الياوران .

**مذكرة حول طرد الموريسكيين والوسائل
اللازمة معالجة الوضع في المملكة
أرسلها إلى البلاط الملكي الأب سوبرينو في سبتمبر ١٦٠٩ (١)**

باسم الرب

سيدي :

أمس أطلعني السيد كونت كاستياري على مذكرة يرسلها إلى جلالتم ؛ وفحواها أن طرد الموريسكيين سيكون سبباً في خراب المملكة ، وقد أسس رأيي على أن الحياة في الممالك تقوم على الخدمات التي يؤديها الموريسكيون ، فإذا طُردوا فستتوقف إيرادات السادة والقساوسة والتجار ، ولن تكون هناك تبرعات للفقراء والمستشفيات والكنائس ، وستتوقف الحرف الميكانيكية ، وبناءً على هذا فإن الحياة في جميع أنحاء المملكة ستتوقف. تفترض المذكرة أن جلالتم لم تكونوا على علم بكل ذلك حين اتخذتم قراركم ، وتخلص المذكرة إلى القول بأنه ليس من المناسب تنفيذ قرار طرد الموريسكيين تجنباً لكل هذه الأضرار.

وعلى العكس فإنه يقول إن القرار الذي اتخذه صاحب الجلالة قرار حتمي ، ورغم أن القرار يستند إلى مصلحة النولة العليا ، فإنني أرى (كما كتبت بالأمس إلى سيادتكم) أنه قرار السماء التي يرتفع إليها دعاء من المملكة يطلب الانتقام ، والعناية الإلهية بدلاً من أن تمطر غضباً تمطر رحمة ، وتكتفي بأن فتوب عن ذنوبنا ، ونتخلص من أذى قبيح سمح به صبرها ؛ الذي تسامح إزاء شرور الموريسكيين ؛ الذين كانوا يتمتعون بحماية سادتهم والذين يبدو لهم أن السادة لن يستطيعوا العيش بدونهم ،

وأن الملك والبابا لن يستطيعوا المساس بهم. ويبدو أنهم يستندون إلى شيء ما ، فإذا تحدثنا عن إخلاص النبلاء المحمود للملك قسنرى ما يرون و(ستفهم) محاولتهم الاحتفاظ برعاياهم.

من المؤكد أنه لو تحول الموريسكيون حقيقة إلى المسيحية فى ظروف صعبة كهذه فإن ذلك سيكون غاية ما نتمناه ؛ لكنهم حتى لو تحولوا إلى المسيحية حقيقة فإننا لن نكون متاكدين من أنهم لن يتراجعوا إذا ما طلب الأعداء الخارجيون مساعدتهم ؛ بل سيتمررون إشباعاً لرغبتهم فى السيطرة على إسبانيا . ونظراً لحبهم المتأصل فى العيش كمسلمين فهم مغرمون بشريعتهم ، ولهذا فإننا اعتقد أنهم لا يريدون أن يكونوا مسيحيين ، ولا جلالة الملك سيقبل عرضهم إذا تقدموا به. ولذلك فإن قرار الطرد حتمى لا رجعة فيه. ولكى تهدأ النفوس الحزينة فى هذه المملكة ؛ فقد أمرتم يا جلالة الملك بمنحهم الأمن والفرح والسلى ، وأنا على يقين من أنكم ستستخرجون من صفاء ذهنكم ومن حكمتكم المنطق الذى تطمئنون به قلوب أبنائهم ، بل وتماثلونها بالسلى .

إننى أرى أن الحديث عن خراب المملكة بعد طرد الموريسكيين حديث منطقى لو أنهم سيحملون معهم أشجار الزيتون والكروم والأراضى والمزارع. أما وإن أراضى المملكة التى وهبنا السماء إياها ستبقى فلن نموت. يقولون إنه حتى لو أقام فى المملكة أناس آخرون فسيحل الخراب أيضاً . ولله الفراع فمن المناسب جلب مواطنين من قشتالة ، وأراغون ، ونابارا ، وإغرائهم بالحديث عن خصوبة الأراضى واعتدال المناخ وجمال الحياة. وإننى أرى أنه لن يأتى الفقراء المحتاجون فقط ، بل سيأتى أيضاً أولئك الذين يرغبون فى تحسين جودة أراضيتهم ، أو التخلص من أعباء الضرائب. والله سيجلب الناس إلينا ، وسيملأ هؤلاء المسيحيون القدامى جزءاً كبيراً من الفراغ. وسيرى السادة أن قراهم قد امتلأت بالرعايا المخلصين ، وهكذا سيجعلهم الله أكثر سعادة وثراء ، وسنسير فى المملكة نون أن نخشى هجوم المسلمين برأً وجرأً (فعندما لا يكون للأعداء أعوان هنا فلن يأتوا) وسنعبد الله ، وسيرى أعداء إسبانيا الذين يأملون فى وضع أقدامهم هنا بمعاونة هؤلاء اللصوص أن الأمر ليس له علاج ، هذا بالإضافة إلى خيارات كثيرة ، رغم أننا قد نخسر شيئاً. ألا تزال مملكة غرناطة قائمة وقد حدث فيها نفس الشيء بالأمس ؟ لم يمت السادة ، ولا الرعايا ، ولا القساوسة ، ولا رجال الدين ، ولا التجار ، ولم تهلك المزارع.

يقولون إن من أنفقوا أموالهم على الجماعات ، ويعيشون على إيراداتها سيخسرون برحيل الموريسكيين. أقول إن كل من يطلبون تعويضاً مقابل هذا الضرر ، سيعرضهم مندوب الملك عن خسارتهم من نقود وأثاث الموريسكيين ، ومن العدل كذلك أن يعوّض السادة عن جزء من خسارتهم من أمتعة الموريسكيين بحيث يشترون النواب ريثما يصل السكان الجدد ويشتغلون في الأراضى ويحفظونها ، والأهم من ذلك كله - كما أقر المجلس الملكي - أن تظل هيبة السادة وشرفهم محفوظين. ولكي يحدث ذلك فهناك أمران :

أولهما: ألا يغضب الله كما كان يحدث مع هؤلاء الرعا ع.

ثانيهما: أن يطاع الله وتُحترم قوانينه في كل هذه الممالك.

هكذا نفوز بشيء آخر هو العناية الإلهية لمن يحبون الله ويطيعونه ، أما من يعصونه فسيرسل عليهم النكبات والعقاب..... إن كل الكتاب المقدس يحفل بالإشارة إلى أن الذنوب والمعاصي تجلب الخراب والضياع ، وأن السعادة الحقيقية إنما هي مع حب الله وطاعته. إن من يقولون إنهم يخشون أن ينتقم الله من عملية الطرد يجب أن يخشوا شيئاً أكبر لو بقى الموريسكيون . عسى الرب أن تمضى العملية كما نتمنى ، وأن يحفظكم لنا.

خادمكم الراهب أنطونيو سوبرينو.

٢١ سبتمبر ١٦٠٩

قرار طرد موريسكيى فالنسيا أُعلن فى فالنسيا فى ٢٢ سبتمبر ١٦٠٩^(١)

من صاحب الجلالة الملك

وباسمه السيد لويس كاريو دى توليدو ماركيز كاراثينا وسيد مدن بنتو وانيس
والقائد العام لهذه المدينة ومملكة فالنسيا والنائب عن جلالة الملك.

إلى السادة والأساقفة ، والقضاة ، وممثلى المدن والقرى ، والحكام ، ومنوبى
جلالة الملك والمواطنين ، خاصة مواطنى هذه المملكة .

جاء فى رسالة ملكية من صاحب الجلالة مؤرخة فى ٤ أغسطس الماضى من هذا
العام ، موقعة من سكرتيره أندريس دى برادا :

إلى ابن عمى : ماركيز كاراثينا والقائد العام لمملكة فالنسيا.

قد علمتُ أننى على مدى سنوات طويلة حاولت تنصير موريسكيى هذه المملكة
ومملكة قشتالة، كما علمتُ بقرارات العفو التى صدرت لصالحهم والإجراءات التى
اتخذت لتعليمهم ديننا المقدس ، وقلة الفائدة الناتجة من كل ذلك ، فقد لاحظنا أنه لم
يتنصر أحد ، بل زاد عنادهم. ورغم الخطر والأضرار التى تترتب على استعمال
السياسة معهم إلا أنه منذ أيام التقيت بكثير من العلماء والمتدينين ، وقد رجونى أن
أعالج موضوع الموريسكيين بما يرضى ربنا - الذى اشتد غضبه على الموريسكيين -
وأكدوا لى أنه يمكن معاقبة الموريسكيين فى أموالهم وأشخاصهم، لأن الاستمرار فى
ارتكاب الجرائم يؤكد أنهم ملحدون ؛ لا يحترمون الله ولا الإنسان. ورغم أنه كان

(١) Boronat, Los moriscos españoles.....pp. 190-193

بالإمكان معاقبتهم كما تستحق جرائمهم إلا أنني إزاء الرغبة فى اتباع اللين معهم أمرت بعقد اجتماع اللجنة فى هذه المدينة ؛ والتي حضرتها معكم وأنتم والبطيريك وقساوسة آخرون وأشخاص مثقفون ، للنظر فيما إذا كان من الممكن تجنب طرد المورييسكيين من هذه الممالك. لكننى علمت أن أهل قشتالة مستمرون فى محاولتهم الضارة . فهمت من مصادر مؤكدة أنهم حاولوا - ويحاولون - من خلال سفرائهم ، ومن خلال طرق أخرى الإضرار ببلادنا . ورغبةً منى فى القيام بواجبى نحو الحفاظ على أمن البلاد - خاصة مملكة فالنسيا - ونحورعاياها المخلصين لأن الخطر أقرب إليهم فقد قررت طرد كل مورييسكى هذه المملكة ، ونفيهم إلى بلاد البربر.

ولكى يتم تنفيذ هذا القرار ، وأوامر صاحب الجلالة فقد أمرنا بنشر القرار التالى:

١ - يخرج كل مورييسكى هذه المملكة ، رجالاً ونساءً ، وأبنائهم كذلك ، من فالنسيا فى خلال ثلاثة أيام اعتباراً من نشر هذا القرار فى الأماكن التى يعيشون فيها ، ويذهب الجميع إلى حيث يستقلون السفينة فى الميناء الذى يحدده المفوض ، ويحمل كل مورييسكى كل ما يستطيع من أمتعة شخصية ، ويستقل المركب أو السفينة التى تحمله إلى بلاد البربر فينزل منها دون أن يتعرض لسوء المعاملة أو المضايقات، وننبه إلى أننا سنوفر لكل منهم ما يحتاجه من ملابس خلال الرحلة ، وبإمكان كل واحد منهم أن يحمل ما يستطيع ، ومن لا ينفذ هذا البند ويخالف هذا القرار يتعرض لعقوبة الإعدام التى ستنفذ لا محالة.

٢ - أى مورييسكى - بعد نشر القرار ومرور ثلاثة أيام على نشره - يتواجد خارج محل إقامته أو فى الطرقات قبل إبحار السفينة ، يستطيع أى شخص إلقاء القبض عليه ، وتجريده من متاعه ، وتسليمه إلى العدالة فى أقرب مكان ، وإذا دافع المورييسكى عن نفسه فبإمكان المواطن أن يقتله دون أن يتعرض لعقوبة.

٣ - بعد نشر القرار يُحظر على المورييسكى مغادرة محل إقامته إلى مكان آخر ؛ بل يظل فى مكانه حتى يصل إلى القرية المفوض الذى يقتادهم إلى السفينة .

٤ - أى مورييسكى يذفن متاعاً له ، أو يخفيه - لأنه لا يستطيع أن يحمله معه - أو يضره فيه النار أو يتلف الزرع أو الأشجار أو البيوت توقع عليه عقوبة الإعدام ، ويقوم بتنفيذها المواطنون المقيمون فى موقع ارتكاب الجريمة. نأمر بذلك لأن صاحب الجلالة قد تفضل بمنح سادة المورييسكيين الأمتعة التى لا يستطيع المورييسكيون حملها معهم .

٥ - من أجل الحفاظ على البيوت وعلى محصول الأرز ، وإبلاغ ذلك إلى السكان الجدد ، استجاب صاحب الجلالة لطلبنا وقرر بقاء ستة أفراد بعائلاتهم فى كل قرية بها مائة بيت ، على أن يقوم سادة الرعايا باختيار الأفراد الذين سيبقون ، ويلزم سادة الرعايا بإخبارنا بأسماء الأشخاص الذين تم اختيارهم ، أما الأشخاص الذين سيبقون فى القرى التابعة لصاحب الجلالة فسنقوم نحن باختيارهم. وننبه إلى أنه يفضل أن يكون الأشخاص الذين سيبقون من كبار السن ، وأن تكون حرفتهم الوحيدة هى الزراعة ، وأن يكونوا قد ألبوا ميلاً إلى اتباع المسيحية .

٦ - لا يقوم أحد المسيحيين القدامى أو الجنود بإساءة معاملة المورييسكيين أو إيذائهم باللفظ ، أو الإضرار بممتلكاتهم أو بزوجاتهم وأبنائهم.

٧ - يجب ألا يخفى أحد فى بيته مورييسكياً ، ولا يساعده على الاختفاء وإلا عُوقب من يفعل ذلك بالسجن لمدة ست سنوات ، وب عقوبات أخرى نراها.

٨ - لكى يفهم المورييسكيون أن رغبة جلالة الملك هى طردهم من البلاد ، وأنه لن يقع عليهم إيذاء أثناء السفر ، وأنهم س يُنقلون إلى بلاد البربر؛ فإننا نسمح بعودة عشرة أشخاص من الذين سافروا مع الفوج الأول لكى يخبروا الآخرين بذلك ، ونسمح بأن يتم ذلك مع كل فوج ، ونأمر بأن يبلغ ذلك إلى قباطنة السفن لكى يأمرؤا به ، ولكى يحولوا دون أن يقوم الجنود والبحارة بإيذاء المورييسكيين باللفظ أو بالفعل.

٩ - الصبية دون الرابعة عشرة الذين يفضلون البقاء ، ويوافق أولياء أمورهم على ذلك ، لا يُطردون .

١٠ - الأطفال دون السادسة من أبناء المسيحيين القدامى يبقون فى إسبانيا ، وتبقى أمهاتهم معهم حتى لو كن مورييسكيات ؛ أما إذا كان الأب مورييسكى والأم مسيحية قديمة فسيُطرد الأب ، ويبقى الأطفال دون السادسة مع أمهم.

١١ - يبقى أيضاً الأشخاص الذين عاشوا مدة عامين بين مسيحيين قدامى ، ولم يحضروا اجتماعات مورييسكية .

١٢ - يبقى أيضاً من تلقوا القربان المقدس ، وهؤلاء يتم التعرف عليهم من خلال مسئولى القرى التى يعيشون فيها.

١٣ - يوافق صاحب الجلالة على طلب الموريسكى الذى يفضل الرحيل إلى بلاد أخرى (عدا ممالك إسبانيا) .

هذه هى الرغبة الملكية ، وتنفذ العقوبات الواردة فيها دون رجعة ، ولكى يتم إبلاغ الجميع بها يتم نشر القرار بالطرق المعتادة.

فالنسيا فى ٢٢ سبتمبر ١٦٠٩ .

ماركيز كاراثينا وعنه مانويل دى اسبينوسا

رسالة ماركيز كاراثينا إلى صاحب الجلالة فالنسيا في ٣ أكتوبر ١٦٠٩

سيدي :

إن أعمال السرقة والأذى التي يرتكبها المسيحيون القدامى ضد الموريسكيين في هذه المملكة تتزايد لدرجة أن كل الاحتياطات التي اتخذناها لا تكفى ؛ بل يجب اتخاذ تدابير جديدة ، وذلك لعدم وجود طرق آمنة ؛ فلقد مات خمسة عشر أو عشرون موريسكيًا في يومين أو ثلاثة ، وقد سلب من الموريسكيين نقود كثيرة ، إذ يرى المواطنون أن هؤلاء يحملون معهم كل ممتلكاتهم فيستغلون الفرصة. ونظراً لطبيعة هؤلاء الناس فإننى أدرك أن هذا بمثابة إجبار الموريسكيين على الثورة رغماً عنهم .

عدد المفوضين الموجودين معى حوالى ثلاثين ، بالإضافة إلى الدكتور رودريغيث والرئيس العام. واعتباراً من اليوم سأرسل آخرين على أن يقوموا بتنفيذ القانون بصرامة حسبما يتطلب الوضع. وجلالتكم ستتخذون القرارات المناسبة.

حفظكم الله

فالنسيا في ٣ أكتوبر عام ١٦٠٩

" بعد ذلك بأيام وبتاريخ ٦ أكتوبر ١٦٠٩ أرسل ماركيز كاراثينا رسالة أخرى إلى الملك جاء فيها ما يلى :

إن عمليات الاعتداء التي يقوم بها المسيحيون القدامى فى القرى ضد الموريسكيين لتعساء كانت من الكثرة لدرجة أننى أعجب أن الموريسكيين لم يقابلوا ذلك حتى

بمجرد توجيه السباب. لقد سُرق من موريسكيي الكوي وغورغا أغنام ودواب كثيرة. لقد أرسلت الحُجاب وأمرت بإعادة المسروقات ، رغم أنه لم يمكن إعادة المسروقات كلها ، وقد أمرت بنشر قرار يعاقب بالإعدام كل من يتعرض لحياة أو أمتعة الموريسكيين .

هناك فرقة لصوص تنطلق من قرية نوق غانديا ، وتسرق أغنام الموريسكيين وتُحَقِّق بهم الأذى ، ويرأس هذه الفرقة حاجب كان يستعمله النوق واسمه خافير. سأحاول إلقاء القبض عليهم ومعاقبتهم بشدة. (١)

(١) Janer, Condicion social.....,pp. 307 y sigs.

نسخة من الرسالة الأصلية التي وجهتها بلدية مدينة مرسية إلى جلالة الملك بتاريخ ١٧ أكتوبر عام ١٦٠٩^(١)

" لم يكن سادة الموريسكيين فى فالنسيا وأراغون فقط هم الذين يعارضون عملية الطرد ، وحاولوا حماية رعاياهم. حدث ذلك فى قشتالة أيضاً ، وفى قرى كان الموريسكيون فيها لا غنى عنهم تدخلت السلطات المدنية والدينية لمنع طردهم ، وذكرت فى تقاريرها أنهم مسيحيون متدينون ، وكان عددهم - وفقاً للتقارير التى قدمت - لا يشكل خطراً . راجع حالة بلدية مرسية. فى هذا الإقليم ، وبالتحديد فى وادى ريكوتى استثنى الموريسكيون - بفضل مهارتهم فى صناعة الحرير ، وشهرتهم كمسيحيين متدينين - من قرار الطرد إلى أن تم طردهم فى النهاية عام ١٦١٤ ، وقد اشتكى كونت سالاثار إلى الملك عدة مرات من العدد الكبير من الموريسكيين الذين يعوبون ومن ترحيب المواطنين بهم "

سيدى :

بعد أن قررتم جلالتم - لأسباب عادلة وبدافع من الغيرة على الدين - طرد موريسكى فالنسيا لحماية المملكة من الأضرار التى قد تنتج عن عدم إخلاصهم ، وعن صلاتهم - هم وموريسكى قشتالة - بالكفار ، اتخذ بعض الأشخاص ذلك ذريعة لتهديد موريسكى غرناطة باتخاذ نفس الإجراء ، وقد بلغت المخاوف حداً جعلنا مضطرين إلى إحاطة جلالتم علماً بما يجرى فى هذه المدينة والقرى التابعة لها . هناك ٩٦٨ تسعمائة وثمانية وستين بيتاً ؛ وهو عدد - نظراً لعدد المسيحيين القدامى - ضرورى لأداء أعمال معينة ، ولا يؤدى إلى أى خطر . منذ وصولهم إلى المدينة تعلموا الدين المسيحى لدرجة أنه لم يتبق فيهم أى شىء يثير الشك. معظم هؤلاء الناس ولدوا

(١) Janer, *Condicion social*.....pp. 310-311

وعاشوا في هذه المدينة ، ويخجلون من أنهم أبناء مسيحيين جدد. منذ سنوات طويلة لم تُعاقب محكمة التفتيش أحداً منهم. إننا نعتقد أنهم مخلصون للملك ، ويبدو أن السلطات أسكنت في هذه المدينة أكثر المورييسكيين ثقة وإخلاصاً للملك. وفيما يتعلق بمصلحة هذه البلاد فهؤلاء الناس ضروريون لها ، ولإيرادات الملكية ، بالإضافة إلى الخدمات الخاصة التي يؤمنونها إلى جلالة الملك - رغم أن هذه الخدمات ليست هي التي تدفعنا إلى الإبقاء عليهم ، بل يدفعنا إلى ذلك رأينا فيهم ، فلولا ذلك لضحينا بمصلحتنا الشخصية في سبيل الصالح العام.

إننا نتوسل إلى جلالته النظر إلى تقريرنا ، والأمر بما يحقق مصلحة جلالتهم بحيث يظل هؤلاء الناس في هدوء وسكينة ، وعدم السماح بأي إجراء يجعل الناس تلحق بهم الأذى. إننا نرى أن ذلك في مصلحة جلالتهم ، ونراه كذلك تفضلاً من جلالتهم.

حفظكم الله

مرسيه في ١٧ أكتوبر ١٦٠٩

أرتياغا

فرانثيسكو توماس

خيرونيمو فرانثيسكو المودوبار

عن بلدية مرسيه: ألونسو انريكيث

رسالة من موريسكى غرناطى أرسلها من الجزائر إلى مواطن من تروخيو

" رسالة من السيد مولينا ؛ وهو موريسكى غرناطى، كتبها من الجزائر إلى السيد خيرونيمو دى لوايسا ، فارس من تروخيو، فى يولييه عام ١٦١١ يحكى فيها تنقلات الموريسكيين المطرودين ومشاكلهم إلى أن وصلوا إلى المدينة التى استقروا فيها بشكل نهائى" (١)

كونى لم أكتب إليكم رسالة طويلة قبل ذلك لم يكن بسبب أننى نسيت الأفضال الكثيرة التى تلقيتها منكم ، لأن هذه الأفضال كانت وستظل موجودة فى ذاكرتى ما حييت . ورغم أننى أرسلت إليكم رسالة من ليورنا حينما كنت فيها إلا أنها كانت رسالة سريعة . أما الآن فلدى فرصة أن أقص عليكم ما حدث بعد أن خرجنا من كارتاخينا ، فقد وصلت إلى هذا الحد فى رسائلى .

وصلنا إلى مرسليليا حيث استقبلنا بحفاوة ، ووعدنا بجميع أشكال الرعاية ، لكن بعد أيام قليلة سارت الأمور على نحو يخالف ما وعدنا به ، فقد مات الملك انريكي الرابع . كنا فى مرسليليا ذات يوم على وشك أن يطردونا ، وقالوا إن قدومنا تم بناء على تخطيط من ملك إسبانيا ، وإننا جواسيس لملك إسبانيا ، وإننا جئنا بهدف احتلال أرضهم . حاصرونا ، وطيلة خمسة عشر يوماً كانت المدينة على أهبة الاستعداد للحرب ، وفى النهاية سلبوا منا جزءاً كبيراً من أموالنا ، وكان ذلك بحكم قضائى. ورغم أن الملكة حاولت معالجة الأمر بإرسال قاض ، إلا أن القاضى جاء متطلعاً إلى المال لدرجة أن صديقاً لى من بايثا أعطاه مائة عملة ذهبية فأخذها ، وغيّرها بعملة واحدة متعللاً بأن عملات صديقى وزنها ناقص قليلاً.

(١) . Janer, *Condición social de los moriscos españoles*, pp. 350-351.

حول رحيل الموريسكيين إلى فرنسا انظر:

Cardaillac, "Le passage des Morisques en Languedoc", en *Annales du Midi (Toulouse)*

Cardaillac, "Morisques en Provence" en *Les Langues Romanes (Montpellier)*

لما رأينا المعاملة السيئة ، وكنا حوالى ألف شخص ، قررنا الخروج من المملكة والتوجه إلى مكان آخر أكثر أمناً.

ذهبنا إلى ليورنا ، وحدث لنا ما حدث فى مرسيليا. ولما رأينا أن هنا وفى أقاليم إيطاليا الأخرى لا يريدوننا إلا للاستفادة منا فى زراعة الأراضى وفى ممارسة بعض الحرف الدنيا - وكان معنا أشخاص لا يجيبون هذه المهنة ؛ بل كان معظمهم من التجار- ولم تكن هناك أوامر بعودتنا إلى إسبانيا ، فمن بقوا فى اكستريمادورا صدر قرار بطردهم عنوةً ، وكل من نُفذ فيه قرار الطرد سرق البحارة نقوده ، واغتصبوا نساءه وبناته... لذلك رأينا من الأفضل أن نغادر قبل أن يحدث لنا ما حدث لهؤلاء .

لذلك قررنا مغادرة البلد ، والتوجه إلى حيث أراد الملك أن يرسلنا ، ولهذا جاء كل موريسكى تروخيو إلى مدينة الجزائر هذه حيث استقر معظم أبناء اكستريمادورا ومانشا وأراغون.

لا تظن أن طردنا من البلاد كان أمراً بيد ملك إسبانيا ؛ بل كان ذلك وحياً إلهياً ، فقد رأيتُ هنا أثاراً يرجع تاريخها إلى ألف عام تحكى ما حدث لنا وما سيحدث. علمت أن الله سيُخرجنا من هذه الأرض ، وأن الله سيُلهم الملك ومستشاريه فعل ذلك ، وأنه سيموت منا كثيرون فى البحر وفى البر..... أى كل ما حدث . ذلك لأن أقل معصية يحاسبنا الله عليها ، ويرسل ملكاً يحكم العالم كله بشريعة الله وحدها ، ولا يُجدى فى مواجهته حصار ، ولا مدافع . قرأت أشياء أخرى لا أذكرها لنوعى الإيجاز .

رأيت طالعاً آخر عند عراف من فالنسيا أحضروه من إسبانيا هذا العام. كانت معجزة أن تُطرد الحملان الوديعه ، وأن تبقى الذئاب المفترسة .

صدقنى إننى لا أكتب ذلك بدافع العاطفة والكرامية ، بل كما لو كنت أعيش فى إسبانيا ، فهنا لم يجبرنا أحد على أى شعيرة دينية(*) ، ولا على أى عمل بدنى يجعلنا نكذب ، ويكفينى أن ترى نبوءات... حول ذلك.

الجزائر فى ٢٥ يوليه عام ١٦١١

(*) إقرار الموريسكى بأنه لم يُجبر على ممارسة شعائر الإسلام يدحض أقوال الباحثين الذين يزعمون أن الموريسكين قد تعرضوا لحمات تهدف إلى تعليمهم الإسلام بالقوة . إن المنطق يقول إن هؤلاء الموريسكين لولا تمسكهم بالإسلام لما تركوا إسبانيا وهاجروا إلى بلاد إسلامية . هذه الوثيقة تؤكد ما نقول : انظر مقالنا «نص حول الجنس لموريسكى من تونس» المجله التاريخية المغاربية، العدد ٧٧-٧٨، زغوان ، ١٩٩٥ ، ص ٢٤٩-٢٥٢ . ص ٢٤٩-٢٥٢ . (المترجم)

رسائل من كونت سالاثار إلى الملك يعرب فيها عن قلقه إزاء أعداد الموريسكيين الكبيرة التي تعود إلى مواطنها بعد أن تم طردهم منها

" في عام ١٦١٠ عين الملك كونت سالاثار للإشراف على علميات طرد موريسكيي قشتالة ، وقد قام الكونت بالمهمة بحماس شديد. بعد خمسة أعوام من قرارات طرد موريسكيي قشتالة - وبعد أن انتهت مهمة - وجه سالاثار عدة نداءات إلى الملك وإلى نوق ليرما يحذر فيها من كثرة عدد الموريسكيين الذين يعيدون إلى مواطنهم الأصلية

رسالة من كونت سالاثار إلى جلالة الملك

بتاريخ ٨ أغسطس عام ١٦١٥

سيدي :

في رسالة بعث بها إلى نوق ليرما في ٣١ من الشهر الماضي كلفتموني جلالتم بإخباركم عن سير عملية طرد الموريسكيين حتى يتم تنفيذها على أكمل وجه. ورغم أن سلطاتي في هذا الأمر تقل كثيراً عن تلك التي أمرت بها جلالتم إلا أنني أخبرت جلالتم بما حدث ، ولم ألتق رداً ، ففهمت أن جلالتم لديكم أخباراً عن طرق أخرى .

في مملكة مرسية - التي عاد إليها كل الموريسكيين الذين غادروها عن طيب خاطر- يستقبلهم المواطنون بحفاوة ويخفونهم . حاولت أن أرسل السيد خيرونيمو دي أبيانيدا الذي كان مساعداً لي ، كما حدث عندما أمرتم جلالتم بأن يحمل تعليماتي حول ما يجب عليه عمله، نظراً لمشاغلي في هذه المملكة ؛ لم يقبل المجلس هذه التعليمات ،

وأصدر تعليمات أخرى لم تُفد في شيء ؛ فقد عاد كل من طردهم ، أما الذين أمر بسجنهم فهم يتقدمون إلى المجلس بالشكوى في جميع أنحاء أندلوثيا عبر رسائل إلى بوق مدينا سيدونيا. ومن خلال أشخاص آخرين أعلم بأن الذين لم يعودوا إلى مواطنهم الأصلية في كاستيا الجديدة ولامانشا واكستريمابورا هم فقط الذين ماتوا. وفي المقاطعات بصفة خاصة من المعلوم أنه في كل يوم يعود كثيرون ورجال الشرطة يخفون ذلك.

هناك شيء مؤكد هو أنه عندما أمرتم جلالتم بطرد الموريسكيين لم تقم الشرطة باعتقال موريسكي واحد ، ولم أتلق أنا رسالة من أحدهم. هناك في جزر مايوركا ومينوركا وكنارياس موريسكيون كثيرون من مواطني الجزر ، ومن الموريسكيين الذين تم طردهم من أماكن أخرى. ومن المعلوم أنه في أراغون - بالإضافة إلى الموريسكيين الذين عادوا أو من الذين قدموا من كاستيا - هناك موريسكيون كثيرون مصرح لهم بالإقامة ، وهناك موريسكيون يقيمون بتصاريح مزيفة ؛ وعليه فإن الموريسكيين المقيمين في إسبانيا بلغوا من الكثرة بحيث يُخشى عودة المشاكل التي جعلتكم تتخذون قرار الطرد، وعلى الأقل فإن مشكلة العبادة - وهي المشكلة الرئيسية - لم تتحسن إلا قليلاً ، لأن تدين هؤلاء الذين ذكرتهم مشكوك فيه .

الرأي الذي انتهيت إليه هو الشك في تقارير رجال الشرطة . وحتى الآن لم يرسلوا إلى تقريراً واحداً ، فهم مستريحون إلى ترك الموريسكيين يقيمون في مواطنهم. وفقاً لذلك ستأمرون جلالتم بما ترونه صالحاً ، والرأي الذي أستطيع أن أقدمه لكم هو ما ذكرت.

حفظكم الله سيدنا كما نرغب ونتمنى نحن رعاياكم.

مدريد في ٨ أغسطس ١٦١٥

كونت سالثار

نسخة من الرسالة الأصلية التي بعث بها كونت سالاثار إلى سيادته [سكرتير الملك ؟] بتاريخ ٨ أغسطس ١٦١٥

إن أوامر صاحب الجلالة بأن أرد على موريسكيى طنجة قد اضطرت معها إلى إخباره عن الوضع السيئ الذى تسير عليه عملية طرد الموريسكيين ، نظراً لأن الكثيرين منهم يعوبون كل يوم ونظراً لوجود أعداد من الذين لم تتم عملية طردهم بعد ، فهؤلاء جميعاً يشكلون عدداً لا بأس به.

إننى بذلك قد قمت بواجبى ، وبتنفيذ ما أمر به صاحب الجلالة ، ويسرنى أن يتخذ جلالته القرار الذى يراه مناسباً. هناك شئ أؤكدكم لكم وهو ما يلى : إذا كان من المناسب طرد الموريسكيين من إسبانيا ، فليس من المناسب أن نتركهم يعوبون إليها ، ويعودتهم نمحو الإنجاز الذى تحقق ، ولا يُعبد الرب الذى لا يعرف هؤلاء الناس.

حفظكم الله كما أتمنى

مدريد فى ٨ أغسطس ١٦١٥

كونت سالاثار

" هناك أيضاً من يشكو من كثرة أعداد الموريسكيين الذين يعوبون ، وهو بدرو دى أريولا المشرف على طرد الموريسكيين من أندلوثيا. ترد الشكوى فى رسالة بعث بها من ملقة إلى الملك فى ٢٢ نوفمبر عام ١٦١٠ "

سيدي :

كثير من الموريسكيين الذين طُردوا من أندلوثيا ومملكة غرناطة يعوبون من بلاد البربر فى سفن فرنسية تنزلهم فى سواحلنا ، ثم يتوجهون إلى داخل البلاد. وقد علمت أن معظمهم لا يعوبون إلى موطنهم الأصلى حتى لا يتعرف عليهم أحد ، ويبلغ عنهم. وبما أنهم يجيبون لغة البلاد فهم يقيمون فى أى مكان لا يعرفهم فيه أحد، كما لو كانوا

مسيحيين قدامى. وقد وصل إلى هذه المدينة قليلون ، ربما لأنهم خافوا من شدتى معهم فى تنفيذ أوامر جلالتمكم. لكن برغم ذلك فقد وصل إلى هنا بعض الذين ألقيت القبض عليهم ، وقالوا لى إن معظم المورييسكيين الموجودين فى بلاد البربر سيعوبون إلى هنا لأن المسلمين يسرقونهم ويسبون معاملتهم ، وما أراه يا سيدى - كشخص تمت على يديه عملية ترحيل مورييسكى أندلوثيا - هو أنهم مسلمون إلى أقصى حد ، لأننى حين فحصت أمتعتهم الشخصية وقت رحيلهم لم أجد مجرد قطعة صغيرة من لحم الخنزير ، ولم أجد مجرد كوب نبيذ ، مع أنهم كانوا يحملون معهم لحوم الخراف ، والماعز، ورغم كون الخنزير والنبيذ افضل المؤن أثناء السفر. يُضاف إلى ذلك شىء آخر على قدر كبير من الأهمية ؛ فقبل وصول أوامر جلالتمكم باحتجاز الأطفال من الأسر المتوجهة إلى بلاد البربر لم يتوجه شخص واحد إلى بلاد مسيحية ، ولجهد الهروب كانوا يتوجهون إلى مارسيليا ، وقد حملوا معهم (أطفالاً) كثيرين إلى تونس ، وإلى غوليتا وإلى أماكن أخرى من بلاد الكفار ، ومن يبقى منهم يعود إلى إسبانيا . ولدى خمسة مساجين تجرأوا على العودة إلى هذه المدينة ، وهم يقولون لى إن كل المورييسكيين يعوبون ، وإذا نفنوا ما عزموا عليه فستحول عملية الطرد بأكملها إلى مجرد وهم ، وستحرق بنا الأخطار التى من أجل تجنبها اتخذنا إجراءات .

بناءً على أنه لا يمكن تنفيذ عقوبة الإعدام التى يستحقونها نظراً لكثرة عددهم ؛ فيمكن اعتبار الرجال الذين جاؤا من بلاد البربر أو من مارسيليا كأسرى حرب يخدمون جلالتمكم فى السفن، كما يمكن اعتبار النساء أسيرات ، ويشكلن جزءاً من متاع جلالتمكم ، ويجب تحويل البعض إلى القاضى لكى ينفذ ما يراه مناسباً . فيما يتعلق بالأطفال نون السابعة يمكن أن يعهد بهم - خلال مدة تحديقها جلالتمكم - إلى بيوت النبلاء والرجال الصالحين لكى يتلقوا على أيديهم التربية الحسنة . جلالتمكم ستصدرون إلى الأوامر التى ترونها مناسبة بشأن الحالات التى تصل إلى ، وإذا رأيتم أن أخرج أيضاً إلى أماكن أخرى فى هذا الإقليم فسأفعل ، رغبةً منى فى تنفيذ أوامركم.

حفظكم الله نُحراً للمسيحية .

ملقة فى ٢٢ نوفمبر ١٦١٠

موجز ومقتطفات من القضية التي نظرتها محكمة التفتيش
ضد ديفغو دياث ، وهو موريسكى قشنتالى حوكم فى كوينكا عام ١٦٣٠
لأنه عاد مرتين إلى إسبانيا بعد أن طُرد منها

" ديفغو دياث جزار ، وزوجته ماريا ديل كاستيو موريسكيان من بيلمونتى"^(١)
مثل ديفغو دياث أمام المحكمة بعد أن اتهمه أنطونيو مالو ، وزوجته ، وخادمتها ،
وشاهد آخر بما يلى :

- عدم وضع لحم أو دهن الخنزير فى الحلة ، بل كان يستعمل الزيت .
- تناول اللحم فى أيام صيام المسيحيين وأيام الجمع ، دون أن يكون مريضاً ،
لأنه يتناول السمك والتونة والسردين والجبن ؛ وهى أشياء لا يتناولها المرضى .
- الاغتسال ، وارتداء ملابس نظيفة يوم الجمعة ، والنوم وهو عريان .
- استضافة موريسكيين من بايى دى ريكوتى فى بيته.

"وتعلم هذه الشاهدة أن ديفغو دياث المذكور كان يستضيف فى بيته موريسكيين
كثيرين من بايى دى ريكوتى ، وأنه كان هو وزوجته يدخلان البيت مع الموريسكيين
المذكورين ، وكانوا يتحدثون باللغة العربية التى لا تفهمها الشاهدة ، وكانوا يغلون
الباب لمدة ثلاث أو أربع ساعات"

عندما سئل ديفغو دياث أمام المحكمة عما إذا كان له أعداء ذكر خادمةً سابقةً له،
كان قد طردها من خدمته لأنها كانت تشرب الخمر ، وذكر اسمى أنطونيو مالو وزوجته ،
وهما أصحاب خان مثله. يدافع عن المتهم الموجهة إليه (يقول مثلاً إنه لم يكن يتحدث
بالعربية مع من كان يستضيفهم فى بيته ؛ بل كان يحدثهم باللهجة الفالانسية لأنه كان
قد عاش فترة طويلة فى تلك البلاد ويتحدث لغتها وله أصدقاء فيها) ، ومن خلال
الإجابات على الأسئلة يحكى قصة حياته. ديفغو دياث من دايمييل التابعة لكالاترايا؛
وهو من الموريسكيين القدامى الذين كانوا يقيمون فى قشتاله منذ ثلاثمائة عام حيث

كانوا يعملون فى خدمة ملوكها ، وبعد طرد موريسكىى غرناطة أراوا أن يطربوهم ،
وطربوهم بالفعل ثم عادوا بعد ذلك وأقاموا فى القرى المذكورة

كان عمر ديبغو عند الطرد سبعة عشر عاماً ، وحتى ذلك الحين كان يشتغل
بالزراعة ، وبعد أن غادر مملكة قشتالة دخل مملكة فرنسا فى بايونا ، وسان خوان دى
لوث عام ١٦٠٩ ، أمضى هناك ما يقرب من خمسة عشر يوماً ، وكان ضمن أناس
كثيرين ممن شملهم قرار الطرد . عاد ديبغو إلى دايمييل من فرنسا ، لكنهم اعتقلوه ،
وبعد أن سجن لمدة شهرين حملوه إلى قرطاج مع موريسكيين آخرين ، ومنها إلى
الجزائر. يتحدث ديبغو عن فترة إقامته فى تلك المدينة ويعترف بأنه مختن.

" أنزلوهم بالقرب من الجزائر ، وجاء الأتراك من المدينة واقتابوهم إليها
وأدخلوهم الترسانات ؛ وهى بيوت كبيرة بها الأسلحة وطلقات المدافع ، وهناك كانوا
يفحصون الذكور ، وكانوا يختنونهم " ، كان من يقوم بإجراء الختان حلاقين... بعد ذلك
أقام لهم الأتراك مأدبة عظيمة " مثل التى تُقام فى إسبانيا عند الزفاف . أكلوا وهم
يجلسون على الأرض على حصيرة فوقها مفرش " . بعد ذلك صنعوا له من عباته
جلباب مسلم.

" ذهب ديبغو إلى السفن لكى يعمل ويستخرج حجارة لبناء سور عند الميناء .
كانوا يدفعون له ريالاً ونصف ، وكان يصحب موريسكيين آخرين من طليطلة ومن
مملكة غرناطة ، ومسيحيين أيضاً. وذات مرة اعترف أمام قسيس أسير ، وكان - من
باب التخفى - يمثل أنه يلعب الكوتشينة . ظل يؤدي شعائر المسيحيين نون أن يقول
ذلك لأحد. لم يدخل إلى المسجد الكبير فى الجزائر إلا مرة واحدة ، وحدث ذلك فى
ساعة لم تكن وقت صلاة ، ودخل المسجد لأنه كان لديه فضول لمعرفة ما بداخله.

يقص الأشياء التى صدمته فى عادات الأتراك ، وحتى لو أنه ذات مرة شعر بميل
نحو شريعة محمد فإن الصدام قد جعله يفقد ذلك الميل. يقول إنهم يفعلون كل شئ
بشكل مخالف لما يحدث فى إسبانيا . يتبولون وهم يرفعون القميص ، وينزلون السروال
كالنساء. (٢) يمشون فى أحذية بسيطة ، ويبدو أنهم يفعلون كل شئ بشكل مخالف
لما يحدث فى إسبانيا . تسير النساء وهن يغطين وجوههن ، بحيث لا يستطيع أحد أن

يراهنّ . ياكلون وهم جالسون على الأرض ، لكن أكثر ما أثار اشمئزازه هو أنهم يشترّون الغلمان لكى يناموا معهم..."

" هناك فى الجزائر أكثر من ستة آلاف غرناطى ، وهم مسيحيون ، لكن موريسكى أراغون وقالنسيا لم يعتنقوا المسيحية أبداً ^(٧) . ولو أن أحد الغرناطيين الموجودين فى الجزائر وُلد له ولد فإنه لا يتركه يغيب عن عينه أبداً خوفاً من أن يسرقه المسلمون ويستغلونه كما ذكرت ^(٨) .

بعد أن أمضى عدة شهور فى الجزائر أبحر ديبغو فى سفينة صيادين من بينهم موريسكيون من أراغون ، وذات يوم رأى أن سواحل إسبانيا قريبة ؛ فالتقى بنفسه فى الماء، وظل يسبح حتى طرطوسة، ومنها توجه إلى سرقسطة ثم إلى فرنسا لكى يبحث عن والده أو أحد إخوته. لم يجد أحداً (فمنهم من مات ، ومنهم من عاد إلى إسبانيا) فتوجه إلى أبينيون ، وعاد إلى إسبانيا . عاش فى فالنسيا حيث تعلم حرفة الجزارة ، ومارسها بعد ذلك فى أوريويلا ومانثاناريس وموتا ديل كويربو وبيلمونتى التى كان يقيم فيها عندما ألقى القبض عليه. يقول فى دفاعه إنه لو لم يكن مسيحياً مخلصاً ما عاد إلى إسبانيا بعد أن طرد منها مرتين ، فلو كان يؤدى شعائر محمد لاستقر فى الجزائر ، وهى الأرض التى تؤدى فيها هذه الشعائر .

على مدى نظر القضية كانت النقطة الرئيسية للمناقشة هى ما إذا كانت عملية الختان التى أجريت له قد أجريت بشكل إجبارى أم لا ؛ فإذا كانت قد تمت بشكل إرادى يكون قد رفض العقيدة الكاثوليكية ، ويكون قد اختار الإعدام ، ومن ناحية أخرى فإن أعضاء محكمة التفتيش لا يصدقون أن المسلمين يجبرون أحداً على اعتناق دينهم ، أو يجرون عملية الختان لأحد بشكل إجبارى.

فقرات من ملف قضية ديبغو دياث

" ذكر ممثل النيابة أننى أطلعت على قضية ديبغو دياث ، ويببولى أنها لم تكتمل بعد، إذ لم يتم الاستماع إلى ثلاثة شهود رئيسيين هم أنطونيو مالو ، وماريا لاغونا زوجته (وبالنسبة لهذين الشخصين يقدم المفوض دليلاً على أن العثور عليهما غير ممكن ،

وهو سؤال الشخص الوحيد في بلمونتي الذي ربما يعرف مكانهما ؛ وهذا الشخص محام (وأرى أنه يجب سؤال الأشخاص العاديين من جيران وأصدقاء عن المختفين ؛ فليس من المعقول أن يختفى رجل وزوجته تماماً .

كما يجب السؤال عن ماريا ايرنانديث ؛ وهى وثيقة الصلة بالمذكورين ، وكانت تعمل معهما .

عند العثور على الشهود أقول إنه بافترض أن المتهم ينحدر من أصول إسلامية أو من أسرة كانت تؤدى شعائر محمد ، ومن ثم طرد من إسبانيا ، بافترض ذلك ، وضد الشهود الخمسة الذين يقولون إن المتهم كان يأكل اللحم فى الأيام المحظورة ، خاصة فى صيام عام ١٦٣٢ ؛ وكان يأكل معه السمك والجبن وأطعمة أخرى ضارة بالصحة...

ولنحضر هذا الدليل فإن كثيراً من الشهود الذين قدمهم ديفغوديث قالوا إنه إذا كان قد أكل هذه الأطعمة فإن ذلك كان بسبب نوبات مرض تصيبه ، وإن ذلك كان بتصريح من الطبيب . ويقول الدكتور باتكيت الطبيب إنه أعطاه تصريحاً بأكل اللحم ، لكن الطبيب يقول أمام المحكمة إنه لم يعط المتهم تصريحاً بأكل اللحم عام ١٦٣٢ ، وإن التصريح فى زمن ما لا يجب أن يفهم على أنه تصريح أبدي .

هناك شاهدان يقول المتهم إنهما خصمان له ؛ وهما أنطونيو مالو ، وزوجته . العداء مفهوم ، فهم يمارسون مهنة واحدة ؛ وهم جيران ، وهذا - بين الطبقات الدنيا - يؤدى إلى التحاسد وإلى رغبة كل منهما فى إبعاد الآخر عن المكان .

عن اتهامه للشهود بأنهم لصوص وسكارى ، لا أرى تصديق هذا الادعاء لنقص الدليل ، ولأن السكر يُعرف بما يترتب عليه من أفعال ، ولا يُعرف بمجرد النظر إلى العينين ، هذا بالإضافة إلى أنه فى أمور الدين لا يجب أن ترفض شهادة شاهد إلا بسبب الخصومة .

يقولون إنه لا يحضر لسماع الوعظ فى الأعياد ، وهذا اتهام مرفوض لأنه سلبي ، ولأن شاهداً واحداً فقط هو الذى يقول به ، لذلك فهو اتهام غير ثابت ؛ خاصة وأن هناك شاهدين آخرين يقولون إنهم رأوه يسمع الوعظ مرات عديدة .

يقولون إنه لا يأكل لحم الخنزير ، وفى هذا الصدد تقول خادمة إنها ظلت تعمل فى بيت المتهم لمدة سبعة شهور ؛ فلم تره يضع لحم خنزير فى الحلة ، ولو كان هناك شاهد آخر مع الخادمة لربما كان دليلاً دامغاً ؛ بالنظر إلى أن المتهم ينحدر من أصول إسلامية، لكن الشاهدة وحيدة ، ورغم أننى - كما ذكرت - لا أرى واقعة السكر ثابتة فى حقها ، إلا أن شهادتها تتم عن موقف عاطفى ينبع من كره المتهم ؛ فقد قالت إنها لم تره يعلم أبناءه الصلوات المسيحية ، وقد ثبت أن له طفلة عمرها سبع سنوات تعرف الصلوات المسيحية ، ومن المعتقد أن أبويها هما اللذان علماهما. هذا بالإضافة إلى أن كثيرين من الشهود الذين قدمهم المتهم يقولون إنهم شاهدوه يأكل لحم الخنزير ، وعلى ضوء هذا كله أرى أن التهمة غير ثابتة.

يقولون إنه وأهل بيته يرتدون ثياباً نظيفة يوم الجمعة ، لكن بالنظر إلى أن هذا المتهم جزار فإن يوم إجازته ويوم ارتدائه الثياب النظيفة هو يوم الجمعة ؛ لكن لنا مأخذ هو أن المتهم ليس هو الوحيد فى البيت الذى يرتدى ثياباً نظيفة يوم الجمعة ؛ لكن هناك شاهداً واحداً على ذلك وهى الخادمة المذكورة.

الأمر الذى أراه ضد المتهم هو أنه قد اعترف بأنه قد أجريت له عملية الختان، وهى أهم شعيرة عند المسلمين ، وقد اعترف بأنه قد أجريت له العملية فى الجزائر عندما نزل بها مع موريسكيين آخرين إبان الطرد. ورغم أن المتهم يقول إنه قد أجبر على الختان إلا أنه من المعلوم جداً أن المسلمين لا يجبرون أحداً على الدخول فى دينهم ، ومن البديهي ألا يجبروا على إجراء الختان من لم يدخل فى دينهم، وعليه فإبنى أفهم أن هذا المتهم والأشخاص الآخرين الذين أجريت لهم عملية الختان قد خرجوا عن دين يسوع ، سواء من حيث الختان أو من حيث اللبس. إن دخوله إلى المساجد يعنى أنه اعتنق دين محمد ، وقد اعترف المتهم بأنه دخل المسجد ، ولا يسمح المسلمون لغير المسلمين بدخول المسجد. وقد اعترف المتهم كذلك بأنهم صنعوا له جلباباً إسلامياً من العباءة ، وحاول أن يفهمنا أن ذلك تم دون رغبته ، لكن ذلك لا يمكن أن يكون حقيقياً بل يدل على أنه خرج عن ديننا ، وكان يعتقد - كالعادة - أنه لو ذهب إلى روما بسيغفى من العقوبة ، ولما كان فى ابنيون اعترف وتلقى العفو ، وقد اعترف بذلك فى ١٢ يولييه عام ١٦٣٢ . كل ذلك يؤكد أن المتهم إذا كان قد اعتنق الكاثوليكية يوماً ما فقد خرج منها عندما كان فى الجزائر.

الشهود الذين يدلون بأقوال لصالحه - رغم أنهم لا يقولون شيئاً يزيل هذا الشك - يقولون ذلك بدافع العاطفة، لدرجة أن أحدهم يقول إنه شاهده يمضى ساعات يعلم أبناءه الصلوات المسيحية ، مع أن المتهم لا يجيد القراءة . وهناك شهود آخرون يقولون إنهم رأوه يرتدى ملابس نظيفة يوم الأحد ، مع أن ذلك شيء لا يمكن أن يراه إلا الخدم. وهناك جراح ذكر أن المتهمين لم يبلغوه إطلاقاً بإصابتهم بنوبات ، ولا يعلم أنهم مصابون بها حتى يسمح لهم بأكل اللحم. ثم عندما قدموه للشهادة قال إنه يعلم بإصابتهم بنوبات ، وإنه رآهم ، وإنه يصرح للمتهم بأكل اللحم، ومن المعلوم أنه فى السابق تم جلد شهود مثل هؤلاء مائتى جلدة ، ومثل هذا الجراح.....) وهناك شهود آخرون أدلوا بأقوال متناقضة كهذه).

ومن يقولون فى صالح المتهم إنه يعطى الصدقات ويقوم بأعمال يؤديها الأشخاص الصالحون عادة ، سواء كانوا مسلمين أم ملاحدة أم يهود. هناك عمل واحد من شيم المسيحيين ، وهو إعطاء الصدقات من أجل إقامة قداس ، وهذا معناه - ما لم يكن نفاقاً - أنه يؤمن الآن بما كفر به فى الجزائر ، وعليه فإننى أرى أن يتعرض للتعذيب وأطلب التصريح بذلك.

ألونسو دى بايخو

أقول أيضاً إن اعترافه فى أبنيون قد حدث بعد مرور سبعة أو ثمانية أعوام على مغادرة الجزائر ، ولو أن الختان كان تم بشكل إجبارى ، وكذلك دخوله فى الإسلام ، لما تأخر كل هذه المدة فى التوبة.

فى مدينة كوينكا ، وفى مقر محكمة التفتيش ، وبتاريخ ٢٠ ديسمبر عام ١٦٣٣ ، وبحضور السيد سباستيان دى خرياس ، والسيد انريكي دى بيرالتا كارديناس ، والسيد راموس رودريغيث دى مونروى أعضاء محكمة التفتيش استدعى من السجن "دييغو دياث" وسُئِلَ ما الذى قرر أن يقوله لكى يخلص ضميره فأجاب بأنه ليس عليه أن يقول إلا ما قاله بالفعل.

وسُئِلَ عن أنه قد اعترف بأنه عندما وصل إلى الجزائر قد أجريت له - ولوريسكيين آخرين - عملية الختان ، وأنه رفض لأنه كان مسيحياً ، وأنه كان يعترف أمام راهب مسيحى أسير، بسُئِلَ متى كان ذلك ، وماذا قال الراهب ، وهل اعترف أمامه

بـالختان ؟ فقال إنه لا يتذكر الوقت أو العام الذى حدث فيه الطرد لكنه يبدو له أنه بعد عامين من خروج الموريسكيين الغرناطيين من إسبانيا . حملوه أولاً إلى بيوبيا حيث بقى مدة قصيرة فى سان خوان دى لوث ، ومنها عاد إلى إسبانيا ، وفى بيا دى أرو اعتقلوه هو وفرانثيسكو مورينو - المتوفى - وهو من دايمييل . وقد سجنهما قاض وسلمهما إلى الشرطة فسجنوا ثلاثة أشهر. بعد ذلك سلموهما إلى بيوبيا ، ومنها توجه إلى سان خوان دى لوث ، حيث كان يقيم والده ، وظل هناك ستة أشهر ثم عاد إلى إسبانيا ، وذهب إلى مدريد ، وعاد إلى دايمييل وبقي مع مخبر محكمة التفتيش الذى يدعى أورشكو ، وظل معه مدة ثمانية أو عشر شهور ثم اعتقله العمدة فى القرية مع فتیان آخرين ، وأرسلهم جميعاً إلى كارتاخينا حيث مكثوا عدة أيام حتى أحضر العمدة كابريرا مجموعة أخرى من الموريسكيين ، فأركبهم سفينة حملتهم إلى بلاد البربر ، وأنزلوهم فى مكان يُسمى سرجيل على بُعد ثلاثة أو أربعة أميال من الجزائر. ساروا جميعاً فى اتجاه الجزائر ، ولما ساروا مسافة نصف ميل قابلتهم فرقة من مائة جندي من الجزائر حملتهم إلى المدينة على خيول ، وخلف كل منهم زوجته ، وأحسنوا معاملتهم ؛ وبعد مرور يومين أو ثلاثة أجروا لهم عملية الختان ؛ فكانوا يأخذون الرجل ويضعونه بين رجلين من الجزائر يمساكانه من ذراعيه ويجرون له عملية الختان دون كلام. يقول المتهم إنه كان يعترف أمام الراهب عندما كانا يلعبان الكوتشينة ، وكان يقول له إنه يحزنه البقاء هنا كما يحزنه الختان.

" وقد سُئِلَ كم من الوقت مر بين إجراء الختان ، والذهاب إلى الراهب للاعتراف "

" أجاب أنه يبدو له أنه مر شهران أو ثلاثة على الختان لأن بعض الموريسكيين الغرناطيين الذين كانوا يصنعون الكراسى - ولا يتذكر أسماعهم - قالوا له إن هناك قسيساً أسيراً ، وإنهم قد اعترفوا أمامه فإذا كان يريد الاعتراف فليذهب ، وقد انتظروا فى مكان قريب وهو يعترف .

" طُلب منه أن يقول كم من الوقت مر بين الاعتراف ومغادرة الجزائر ، وإلى أى مكان توجه أولاً ، فقال إن القسيس الذى اعترف أمامه نصحه بالذهاب إلى وهران إذا كان يعرف العربية ، ثم يتوجه إلى إسبانيا ، وإذا لم يكن يعرف العربية فليصايق موريسكيين من أراغون ؛ فهم قباطنة يبحرون فى سفن من أجل السرقة. وهكذا تمكن من ركوب سفينة لقبطان موريسكى من أراغون وقطالونيا ، وألقى بنفسه فى الماء ،

وذهب إلى القرية ، ومنها إلى سرقسطة حيث كان مريضاً يعالج في المستشفى ، واعترف قبل دخول المستشفى . ومن سرقسطة توجه إلى فرنسا إلى قرية سان خوان دي لوث بحثاً عن والده وإخوته فعلم أن بعضهم مات وأن البعض الآخر عاد إلى إسبانيا . ثم توجه إلى ابنيون حيث اعترف

" طلب منه أن يحدد من الذي نصحه بالذهاب إلى ابنيون ، ومن الذي قال له إن فيها أشخاصاً يمنحونه الغفران "

" أجاب أنه اقترح أن يذهب إلى روما لكي يعترف ، فلما مر بأبنيون التقى بقسيسين فرنسيين قبل أن يدخل المدينة ؛ فذكر لهما ذلك فقالا له إن فيها أسقفاً يمكن أن يمنحه الغفران ، وقد أعطياه عباءة لكي يدخل بها ، ومكث بضعة أيام هناك ثم توجه لمقابلة الأسقف ، فلم يفهم منه كلمة ، فأرسله إلى الراهبان ليرسلا له عن قسيس يفهم لغته فأرسلوه إلى راهب قضى في طليطلة ثلاثة عشر عاماً ، فاعترف أمامه ومنحه الغفران ، ثم توجه بعد ذلك إلى بيربينيان ثم إلى خيرونا ، وبالقرب من سرقسطة ذهب إلى فالنسيا واليكانتى وأوريويلا حيث استقر به المقام مع جزار فتعلم الحرفة وكل ما قاله صدق . "

طلب ممثل النيابة بعد ذلك استدعاء السيد بيرناردينو ميدرانو الذي كان أسيراً في الجزائر ، وطلب أن يُسأل عن حقيقة أن الموريسكيين الذين كانوا يصلون إلى هناك كانوا يُجبرون على إجراء عملية الختان ، وعلى الدخول في الإسلام وارتداء ثياب المسلمين.

" في مدينة كوينكا ، وفي مقر محكمة التفتيش ، بتاريخ ١٠ يناير عام ١٦٣٤ ، ويحضور السيد سباستيان دي فرياس عضو المحكمة الذي أمر بدخول رجل حلف أن يقول الحق ، وأن يحفظ السر ، وقال إن اسمه : " بيرناردينو دي ميدرانو ، شريف ، وإنه من هذه المدينة ، وإن عمره سبعة وأربعون عاماً تقريباً "

" طلب منه أن يقول هل عندما كان أسيراً في الجزائر رأى أن المسلمين يجرون عمليات الختان لأشخاص ممن يذهبون من هنا دون رغبتهم لكي يحولهم إلى مسلمين أو هل يجبرونهم على الدخول في الإسلام ؟ "

" قال إنه فى الوقت الذى طرد فيه المسلمون من إسبانيا كان أسيراً فى الجزائر ، وقد أمضى هناك فترة ثلاث سنوات ، وشهرين ورأى بعينه أن موظفين يسيرون فى الشوارع العامة ، ولما كانوا يجنون موريسكيًا من إسبانيا كانوا يأخذونه ، وكانوا يدخلونه عنوة فى أول بيت ، وكانوا يفحصونه فإذا وجدوا أنه غير مختن كانوا يجرون له عملية الختان حتى تون رغبته ، وإن كثيراً من الموريسكيين ماتوا أثناء العملية ، وإن الكثيرين منهم كانوا يشكون أمرهم إلى الأسرى ورجال الدين المسيحيين لأنهم كانوا كاثوليك ، وكانوا لا يستطيعون الإفصاح عن ذلك أمام المسلمين ؛ لكنهم كانوا يعترفون بذلك للمسيحيين لأنهم يثقون فيهم . إن عمليات الختان كانت تجرى بعد إصدار قرارات تقضى بذلك ، سواء رضى الموريسكيون أم أبوا . وذكر الشاهد أن كل موريسكى مملكة فالنسيا كانوا مختنن وهم فى إسبانيا ، وأن نصف موريسكى أراغون كانوا مختنن ، أما موريسكيو أندلوثيا وقشتالة فلم يكن أحد منهم مختنًا ، وذلك وفق معلومات الأسرى ورجال الدين . ويعلم الشاهد أن الراهب برناردو دى مونروى كان لديه تصريح من قدااسة البابا بمنح الغفران للموريسكيين الكاثوليك الذين أجريت لهم عملية الختان ، ويقول إنه رأى بعينه بعض موريسكى إسبانيا يذهبون للاعتراف أمام الراهب مونروى ، وكان يقدم لهم القربان المقدس .

" وسُئِلَ الشاهد هل لاحظ وهو أسير فى الجزائر أن المسلمين يسمحون للمسيحيين بالدخول فى مساجدهم؟ "

" فقال : عندما يكون المسلمون فى مساجدهم يؤتون الصلاة لا يسمحون بدخول المسيحيين ، ولا يسمحون بدخول النساء . أما إذا لم يكونوا بالمسجد فالحارس يسمح عادة بدخول شخص مسيحي بسرعة ليرى المسجد على ألا يتأخر ؛ إما إذا كانوا يؤتون الصلاة ؛ فمن العادة وجود حراس على الأبواب لا يسمحون بدخول المسيحيين ولا زوجات المسلمين .

" سُئِلَ الشاهد عما إذا كان لباس المسيحيين هناك شبيه بلباس المسلمين ، أم يختلف ، وهل يجبرون الأسرى على الدخول فى الإسلام؟ "

" أجاب أن الأسرى الكاثوليك يسمعون عن كل أنواع الملابس ، لكن المسلمين لا يتركونهم يرتدون الزى الإشباني لأنهم ينزعونه عنهم ، ويلبسونهم زى العبيد ،

وهو عبارة عن سروال أبيض أو أزرق وقميص يصل إلى نصف الفخذ ، وإذا كان الأسير صبياً أو امرأة فإن المسلمين يحاولون أن يلبسونهم زيهم لكي يقتنعوهم بدينهم ؛ بل يجبرونهم على ذلك بإيذاعهم السجن وبضربهم بالعصى وبوسائل أخرى. أما الرجال فإنهم لا يحاولون إقناعهم بالنحول في الإسلام ، ولا بارتداء أزيائهم .

” سئِلَ الشاهد هل هناك في هذه المدينة أو بالقرب منها شخص آخر يمكن أن تكون لديه معلومات عن الأمور التي تحدث فيها؟“

” أجاب بأنه ليس لديه علم بوجود أحد يمكن أن تكون لديه معلومات سوى خادم له يدعى فرانثيسكو أورتادو تركه منذ حوالي أربعة أعوام ، ولا يعرف أين هو ، وهل هو على قيد الحياة أم لا ، وأن كل ما ذكره حقيقة.....“

السيد بيرناردينو دي كويار إي ميدرانو

” بعد هذا العرض الذي قدمه السيد بيرناردينو دي ميدرانو يبدو لي أن شهادته في صالح المتهم حين يقول إن الختان إجباري رغم أنه شاهد واحد ، وشهادته بمفرده ليست دليلاً دامغاً ، خاصة في أمر غير مؤكد ، طبقاً لما وضحت رغم أنهم - بما أنهم همجيون - ربما اقتنعوا بإجراء الختان عنوة لكل من ينحدر من أصول إسلامية... رغم ذلك - يقول ممثل النيابة - إن المتهم لا يزال محل شكوك لعدم وجود سوى شاهد واحد ، ويجب تعريضه للتعذيب . ومع ذلك أجريت عملية تصويت ، ورأى القاضي أن يبيخو دياث برئ ويجب إطلاق سراحه ، لكن بعد تعنيف شديد وتوبة علنية لأنه تركهم يجرون له عملية الختان.

وبهذا تنتهي القضية.

الهوامش

(١) Archivo Diocesano de Cuenca, Leg. 437,num. 6169

(٢) - انظر أيضاً :

Fr. Diego de Haedo, *Topografia e historia de Argel*, t. I, p. 151

(٣) حول أصناف الموريسكيين انظر المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص. ٥٠-٥١

(٤) حول هذا الاستخدام السي انظر أيضاً المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص. ١٧٦

المؤلفة فى سطور :

- مرثيديس غارثيا أرينال (مدرید ١٩٥٠) .
- أستاذة بالمجلس الأعلى للبحث العلمى بإسبانيا ، ورئيسة قسم الدراسات العربية به لعدة نورات .
- من أبرز المتخصصين فى مجال الدراسات الموريسكية .
- لها العديد من الكتب والمقالات المنشورة فى إسبانيا وغيرها حول العلاقة بين المغرب وإسبانيا .
- أشرفت على العديد من رسائل الدكتوراه المقدمة إلى جامعة مدريد المركزية .

المترجم فى سطور :

- الاسم : جمال عبد الرحمن
- من مواليد ١٩٥٦ بقرية بنى مجد (أسيوط) .
- حاصل على درجة الإجازة العليا (الليسانس) فى اللغة الإسبانية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف من كلية اللغات والترجمة (١٩٧٩) .
- الدراسات التمهيدية للدكتوراه فى جامعتى سلمنكا ومدريد .
- حاصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف من جامعة مدريد المركزية (١٩٨٩) .
- فى عام ٢٠٠١ رقى إلى درجة أستاذ بقسم اللغة الإسبانية بكلية اللغات والترجمة .
- له العديد من الكتب المترجمة والمقالات المنشورة فى مصر والخارج حول موضوعات مختلفة من الأدب الإشباني والعلاقة بين الإسلام والثقافة الإشبانية .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

- | | | |
|---|------------------------------|---|
| ١ - اللغة العليا (طبعة ثانية) | جون كوين | ت : أحمد درويش |
| ٢ - الوثنية والإسلام | ك. مادهو بانتيكار | ت : أحمد فؤاد بليغ |
| ٣ - التراث المسروق | جورج جيمس | ت : شوقي جلال |
| ٤ - كيف تتم كتابة السيناريو | انجا كاريتتكرفا | ت : أحمد الحضري |
| ٥ - ثريا فى غيبوبة | إسماعيل فصيح | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٦ - اتجاهات البحث اللساني | ميلكا إقيتش | ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد |
| ٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة | لوسيان غولدمان | ت : يوسف الأنطكي |
| ٨ - مشعلو الحرائق | ماكس فريش | ت : مصطفى ماهر |
| ٩ - التغيرات البيئية | أندرو س. جوى | ت : محمود محمد عاشور |
| ١٠ - خطاب الحكاية | جيرار جينيت | ت : محمد مقصم وعبد الجليل الأرنؤى وعمر طي |
| ١١ - مختارات | فيسرافا شيمبوريسكا | ت : هناء عبد الفتاح |
| ١٢ - طريق الحرير | ديفيد براونستون وايرين فرانك | ت : أحمد محمود |
| ١٣ - ديانة الساميين | روبرتسن سميث | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٤ - التحليل النفسى والأدب | جان بيلمان نويل | ت : حسن الموبن |
| ١٥ - الحركات الفنية | إدوارد لويس سميث | ت : أشرف رفيق عفيفي |
| ١٦ - أثنية السوداء | مارتن برنال | ت : بإشراف / أحمد عثمان |
| ١٧ - مختارات | فيليب لاركين | ت : محمد مصطفى بدوى |
| ١٨ - الشعر النسانى فى أمريكا اللاهنية | مختارات | ت : طلعت شاهين |
| ١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة | جورج سفيريس | ت : نعيم عطية |
| ٢٠ - قصة العلم | ج. ج. كراوثر | ت : يعنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح |
| ٢١ - خوخة وألف خوخة | صمد بهرنجى | ت : ماجدة العنانى |
| ٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين | جون أنتيس | ت : سيد أحمد على الناصرى |
| ٢٣ - تجلى الجميل | هانز جيورج جادامر | ت : سعيد توفيق |
| ٢٤ - ظلال المستقبل | باتريك بارنر | ت : بكر عباس |
| ٢٥ - مثوى | مولانا جلال الدين الرومى | ت : إبراهيم النسوقى شتا |
| ٢٦ - دين مصر العام | محمد حسين هيكل | ت : أحمد محمد حسين هيكل |
| ٢٧ - التنوع البشرى الخلاق | مقالات | ت : نخبة |
| ٢٨ - رسالة فى التسامح | جون لوك | ت : منى أبو سنه |
| ٢٩ - الموت والوجد | جيمس ب. كارس | ت : بدر الديب |
| ٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢) | ك. مادهو بانتيكار | ت : أحمد فؤاد بليغ |
| ٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى | جان سوفاجيه - كلود كاين | ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب |
| ٣٢ - الانقراض | ديفيد روس | ت : مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٣٣ - التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية | أ. ج. هوبكنز | ت : أحمد فؤاد بليغ |
| ٣٤ - الرواية العربية | روجر آلن | ت : حمزة إبراهيم المنيف |
| ٣٥ - الأسطورة والحداثه | بول . ب . ديكسون | ت : خليل كلفت |

- ٣٦ - نظريات السرد الحديثة والاس مارتن
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها بريجيت شيفر
٣٨ - نقد الحداثة آلن تورين
٣٩ - الإغريق والحسد بيتر والكوت
٤٠ - قصائد حب آن سكستون
٤١ - ما بعد المركزية الأوروبية بيتر جران
٤٢ - عالم ماك بنجامين بارير
٤٣ - اللهب المزدوج أوكتافير باث
٤٤ - بعد عدة أصناف ألنوس هكسلي
٤٥ - التراث المغفور روبرت ج. دنيا - جون ف. أ. فاين
٤٦ - عشرون قصيدة حب يابلو نيرودا
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج. رينيه ويليك
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية فرانسا نوما
٤٩ - الإسلام في البلقان ه. ت. نوريس
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير جمال الدين بن الشيخ
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية داريو بيانوبيا و. م. بينيا ليستي
٥٢ - العلاج النفسي التدميمي بيتر. ن. نوفاليس وستيفن. ج. روجسيفيتز وروجر بيل
٥٣ - الدراما والتعليم أ. ف. أنجتون
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح ج. مايكل والتون
٥٥ - ما وراء العلم جون بولكنجهوم
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) فديريكو غرسية لوركا
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) فديريكو غرسية لوركا
٥٨ - مسرحيتان فديريكو غرسية لوركا
٥٩ - المحبرة كارلوس مونيثيث
٦٠ - التصميم والشكل جوهانز ايتين
٦١ - موسوعة علم الإنسان شارلوت سيمور - سميث
٦٢ - لذة النص رولان بارت
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج. ٢ رينيه ويليك
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة) آلان وود
٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى برتراند راسل
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية أنطونيو جالا
٦٧ - مختارات فرناندو بيسوا
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى فالنتين راسبوتين
٦٩ - العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين عبد الرشيد إبراهيم
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية أوكينيو تشانج روبرجيت
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمي داريو فو
- ت : حياة جاسم محمد
ت : جمال عبد الرحيم
ت : أنور مفتي
ت : منيرة كروان
ت : محمد عيد إبراهيم
ت : عطف أحمد / إبراهيم قحى / محمود ماجد
ت : أحمد محمود
ت : المهدي أخريف
ت : مارلين تاندرس
ت : أحمد محمود
ت : محمود السيد علي
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : ماهر جويجاتي
ت : عبد الوهاب طلوب
ت : محمد براءة وعشاني المليلو يوسف الأنطكي
ت : محمد أبو العطا
ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
ت : مرسى سعد الدين
ت : محسن مصيلحي
ت : علي يوسف علي
ت : محمود علي مكى
ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
ت : محمد أبو العطا
ت : السيد السيد سهيم
ت : صبرى محمد عبد الفنى
مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
ت : محمد خير البقاعي .
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : رمسيس عوض .
ت : رمسيس عوض .
ت : عبد اللطيف عبد الحليم
ت : المهدي أخريف
ت : أشرف الصباغ
ت : أحمد فؤاد متولى وهريدا محمد فهمي
ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسي العجوز ت . س . إليوت
٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . تومبكنز
٧٤ - صلاح الدين والمماليك في مصر ل . ا . سيمينوف
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
٧٦ - جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي مجموعة من الكتاب
٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣ رينيه ويليك
٧٨ - النظرية الاجتماعية والثقافة للكويتية رونالد روبرتسون
٧٩ - شعرية التأليف بوليس أوسينسكي
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
٨١ - الجماعات المتخيلة بنديكت أندرسن
٨٢ - مسرح ميجيل ميجيل دي أونامونو
٨٣ - مختارات غوتفريد بن
٨٤ - موسوعة الألب والنقد مجموعة من الكتاب
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحة) صلاح زكي أقطاي
٨٦ - طول الليل جمال مير صادقي
٨٧ - نون والقلم جلال آل أحمد
٨٨ - الابتلاء بالتقريب جلال آل أحمد
٨٩ - الطريق الثالث أنطوني جينز
٩٠ - وسم السيف (قصص) نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
٩١ - للسرحة والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميجيل
الإسباني وأمريكا المعاصر مايك فيذرستون وسكوت لاش
٩٣ - محدثات العولة صمويل بيكيت
٩٤ - الحب الأول والصباح صمويل بيكيت
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني أنطونيو بوينو بايخو
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة قصص مختارة
٩٧ - هوية فرنسا (المجلد الأول) فرنان برودل
٩٨ - الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني نماذج ومقالات
٩٩ - تاريخ السينما العالمية ديفيد روبنسون
١٠٠ - مساطة العولة بول هيرست وجراهام توميسون
١٠١ - النص الروائي (تقنيات ومناهج) بيرنار فاليلط
١٠٢ - السياسة والتسامح عبد الكريم الخطيب
١٠٣ - قبر ابن عربي يليه آياه عبد الوهاب المذهب
١٠٤ - أويرا ماهوجني برنولت بريشت
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع جيرار جينيت
١٠٦ - الأدب الاندلسي د. ماريا خيسوس روبييرامتي
١٠٧ - صورة الفنان في الشعر الأمريكي المعاصر نخبة
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومي
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الفانمي وناصر حلوى
ت : مكارم الفمري
ت : محمد طارق الشرقاوي
ت : محمود السيد علي
ت : خالد المعالي
ت : عبد الحميد شيحة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحي يوسف شتا
ت : ماجدة العناني
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح

ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوب
ت : فوزية العشماوي
ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
ت : إدوار الخراط
ت : بشير السباعي
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحي
ت : رشيد بنحو
ت : عز الدين الكتاني الإنريسي
ت : محمد بنيس
ت : جبد الفقار مكارى
ت : عبد العزيز شبيب
ت : أشرف على دعور
ت : محمد عبد الله الجعفيدي

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر النبطي مجموعة من النقاد
١٠٩ - حروب المياه جون بولوك وعادل درويش
١١٠ - النساء في العالم النامي حسنة بيجوم
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هيندسون
١١٢ - الاحتجاج الهادئ أولين علوى ماكليود
١١٣ - رواية التمرد سادى پلانت
١١٤ - مسرحيتا حماد كهنجى ومكان المستنقع وول شوينكا
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر بى بارون
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سنيل
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد
١٢١ - الليل الصغير فى كلبه المرأة العربية فاطمة موسى
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان جوزيف فوجت
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية نيل الكسندر وفنادولينا
١٢٤ - الفجر الكاذب جون جراى
١٢٥ - التحليل الموسيقى سيدريك ثورپ ليفى
١٢٦ - فعل القراءة فولفغانج إيسر
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحي
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان باسنيت
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه جوندز فرانك
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) مجموعة من المؤلفين
١٣٢ - ثقافة العولمة مايك فيذرستون
١٣٣ - الخوف من المرايا طارق على
١٣٤ - تشريح حضارة بارى ج. كيمب
١٣٥ - المختار من نقد س. إليوت (ثلاثة أجزاء) ت. س. إليوت
١٣٦ - فلاحو الباشا كينيث كونو
١٣٧ - مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية جوزيف مارى مواريه
١٣٨ - عالم التيليزين بين الجمال والعنف إيلينا تارونى
١٣٩ - باريسفالى ريشارد فاچنر
١٤٠ - حيث تلقى الأنهار هريوت ميسن
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
١٤٣ - قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديريك لايدار
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة كارلو جولدونى
- ت : محمود على مكى
ت : هاشم أحمد محمد
ت : منى قطان
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : إكرام يوسف
ت : أحمد حسان
ت : نسيم مجلى
ت : سميرة رمضان
ت : نهاد أحمد سالم
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
ت : لميس النقاش
ت : بإشراف/ رؤوف عباس
ت : نخبة من المترجمين
ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
ت : منيرة كروان
ت : أنور محمد إبراهيم
ت : أحمد فؤاد بلبح
ت : سمحة الخولى
ت : عبد الوهاب علوب
ت : بشير السباعى
ت : أميرة حسن نويرة
ت : محمد أبو العطا وآخرين
ت : شوقى جلال
ت : لويس بقطر
ت : عبد الوهاب علوب
ت : طلعت الشاميب
ت : أحمد محمود
ت : ماهر شفيق فريد
ت : سحر توفيق
ت : كاميليا صبحى
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : مصطفى ماهر
ت : أمل الجبورى
ت : نعيم عطية
ت : حسن بيومى
ت : عدلى السمرى
ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥ - موت أرتيميو كروث كارلوس فوينتس
 ١٤٦ - الورقة الحمراء ميغيل دي ليبس
 ١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة تانكريد دورست
 ١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية) إنريكي أندرسون إمبرت
 ١٤٩ - النظرية الشعرية عند البيت وأونيس عاطف فضول
 ١٥٠ - التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان
 ١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١) فرنان برودل
 ١٥٢ - عدالة الهند وقصص أخرى نخبة من الكتاب
 ١٥٣ - غرام الفراغة فيولين فاتوريك
 ١٥٤ - مدرسة فرانكفورت فيل سليتر
 ١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر نخبة من الشعراء
 ١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى جي أنبال وآلان وأوديت فيرمو
 ١٥٧ - خسرو وشيرين النظامي الكنجي
 ١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢) فرنان برودل
 ١٥٩ - الإيبولوجية بيغيد هوكس
 ١٦٠ - آلة الطبيعة بول إيرليش
 ١٦١ - من المسرح الإسباني اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
 ١٦٢ - تاريخ الكنيسة يوحنا الأسبوي
 ١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١ جوردون مارشال
 ١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور) جان لوكوتير
 ١٦٥ - حكايات الشعب أ . ن أفانا سيفا
 ١٦٦ - العلاقات بين الشعبين الفلسطينيين في إسرائيل يشعياهو ليفمان
 ١٦٧ - في عالم طاغور رابندراناث طاغور
 ١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة مجموعة من المؤلفين
 ١٦٩ - إبداعات أدبية مجموعة من المبدعين
 ١٧٠ - الطريق ميغيل ديليبس
 ١٧١ - وضع حد فرانك بيجو
 ١٧٢ - حجر الشمس مفتارات
 ١٧٣ - معنى الجمال ولتر ت . ستيس
 ١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء ايليس كاشمور
 ١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية لورينزو فيلشس
 ١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية توم تيتنبرج
 ١٧٧ - أنطون تشيخوف هنري تروايا
 ١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث نخبة من الشعراء
 ١٧٩ - حكايات أيسوب أيسوب
 ١٨٠ - قصة جاويد إسماعيل فصيح
 ١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي فنسنت . ب . ليتش
- ت : أحمد حسان
 ت : علي عبد الرؤوف البمبي
 ت : عبد الغفار مكاوي
 ت : علي إبراهيم علي منوفي
 ت : أسامة إسبر
 ت: منيرة كروان
 ت : بشير السباعي
 ت : محمد محمد الخطابي
 ت : فاطمة عبد الله محمود
 ت : خليل كلث
 ت : أحمد مرسى
 ت : مى التمساني
 ت : عبد العزيز بقوش
 ت : بشير السباعي
 ت : إبراهيم فتحي
 ت : حسين بيومي
 ت : زيدان عبد الحليم زيدان
 ت : صلاح عبد العزيز محجوب
 ت بإشراف : محمد الجوهري
 ت : نبيل سعد
 ت : سهير المصانفة
 ت : محمد محمود أبو غنير
 ت : شكرى محمد عياد
 ت : شكرى محمد عياد
 ت : شكرى محمد عياد
 ت : بسام ياسين رشيد
 ت : هدى حسين
 ت : محمد محمد الخطابي
 ت : إمام عبد الفتاح إمام
 ت : أحمد محمود
 ت : وجيه سمعان عبد المسيح
 ت : جلال البنا
 ت : حصة إبراهيم منيف
 ت : محمد حمدي إبراهيم
 ت : إمام عبد الفتاح إمام
 ت : سليم عبد الأمير حمدان
 ت : محمد يحيى

- ١٨٢ - العنف والتبوة و . ب . بيتس
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما ريتي چيلسون
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تمام هانز إيندورفر
١٨٥ - أسفار العهد القديم توماس تومسن
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل ميخائيل أنورب
١٨٧ - الأرض بؤرج علوى
١٨٨ - موت الأدب ألفين كرنان
١٨٩ - العمى والبصيرة پول دى مان
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس
١٩١ - الكلام وأعمال الحاج أبو بكر إمام
١٩٢ - ساحت نامه إبراهيم بك جـ زين العابدين المراغى
١٩٣ - عامل المنجم بيتر أبراهامز
١٩٤ - مقالات من نقد الأنجلو - أمريكي مجموعة من النقاد
١٩٥ - شتاء ٨٤ إسماعيل فصيح
١٩٦ - المهلة الأخيرة فالتين راسبيوتين
١٩٧ - الفاروق شمس العلماء شبلى التعمانى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى إدوين إمرى وآخرون
١٩٩ - تاريخ بهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاندراوى
٢٠٠ - ضحايا التنمية جيرمى سبيروك
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة جوزايا رويس
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ ريتي ويليك
٢٠٣ - الشعر والشاعرية أطفاف حسين حالى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم زلمان شاراز
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات لويجى لوقا كافاللى - سفيرزا
٢٠٦ - الهيولية تصنع علماً جيداً جيمس چلايك
٢٠٧ - ليل إفريقي رامون خوتاسنديز
٢٠٨ - شخصية الربى فى المسرح الإسرائيلى دان أوربان
٢٠٩ - السرد والمسرح مجموعة من المؤلفين
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى سنائى الغزنوى
٢١١ - فريثان دوسوسير جوناثان كلر
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان مرزيان بن رستم بن شروين
٢١٣ - ممرقة قديم تلين حتى ربطه جـ هـ ريمون فلور
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع أنتونى جيبنز
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بك جـ زين العابدين المراغى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين
٢١٧ - مسرحيتان طبيعيتان صمويل بيكيت
٢١٨ - راويلا خوليو كورتازان
- ت : ياسين طه حافظ
ت : فتحى العشرى
ت : دسوقي سعيد
ت : عبد الوهاب علوب
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : علاء منصور
ت : بدر النيب
ت : سعيد الغانمى
ت : محسن سيد فرجاني
ت : مصطفى حجازى السيد
ت : محمود سلامة علوى
ت : محمد عبد الواحد محمد
ت : ماهر شفيق فريد
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : أشرف الصباغ
ت : جلال السعيد الحفناوى
ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
ت : جمال أحمد الزفانى وأحمد عبد اللطيف حماد
ت : فخرى لبيب
ت : أحمد الأنصارى
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : جلال السعيد الحفناوى
ت : أحمد محمود هويدي
ت : أحمد مستجير
ت : على يوسف على
ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
ت : محمد أحمد صالح
ت : أشرف الصباغ
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : محمود حمدي عبد الغنى
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : سيد أحمد على الناصرى
ت : محمد محمود محى الدين
ت : محمود سلامة علوى
ت : أشرف الصباغ
ت : نادية البنهاوى
ت : على إبراهيم على متوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كانزو ايشجودو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهبولية في الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعورية كفافى	جريجورى جوزداتيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر	بول فيرايتر	ت : السيد محمد نفاذى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية فريق	جابريل جارشيا ماركت	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ييفيد هريت لورانس	ت : طاهر محمد على البريرى
٢٢٧ - المسرح الإسباني فى القرن السابع عشر	موسى مارديا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مائزق البطل الوحيد	نورمان كيماى	ت : أمير إبراهيم العمري
٢٣٠ - عن الغياب والغفران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ - الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام فى السودان	ج. سينسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ج ١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الرادى	روين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعيسى منبولى أحمد
٢٣٩ - العربى فى الالب الإسرائيلى	جيلرافر - رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فائق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إميسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الفليان	لاورا إسكييل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرشيا ماركت	ت : على إبراهيم على منولى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أياظة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - وائثات الحركة النسوية المصرية	مارجو يدوان	ت : على يدوان
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوف	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روينسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روينسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

- ٢٥٦ - ديكارت
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة
٢٥٨ - الفجر
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود
٢٦٢ - مدينة المعجزات
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة
٢٦٥ - روايات مترجمة
٢٦٦ - مدير المدرسة
٢٦٧ - فن الرواية
٢٦٨ - ديوان شمس تبریزی ج ٢
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ٢
٢٧١ - الحضارة الفريية
٢٧٢ - الأديرة الأثرية في مصر
٢٧٣ - الاستعمار والثروة في الشرق الأوسط
٢٧٤ - السيدة بريارا
٢٧٥ - س. س. إبره شاعرًا وثقافيًا وكاتبًا مسرحيًا
٢٧٦ - فنون السينما
٢٧٧ - البنيات : الصراع من أجل الحياة
٢٧٨ - البدايات
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية
٢٨٠ - من الأدب الهندي الحديث والمعاصر
٢٨١ - الفردوس الأعلى
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية
٢٨٣ - السهل يحترق
٢٨٤ - هرقل مجنونًا
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامي
٢٨٦ - سياحت نامه إبراهيم بك ج ٢
٢٨٧ - الثقافة والعولة والنظام العالمي
٢٨٨ - الفن الروائي
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغاني
٢٩٠ - علم اللغة والترجمة
٢٩١ - السرح الإسباني في القرن العشرين ج ١
٢٩٢ - السرح الإسباني في القرن العشرين ج ٢
- ديف روينسون وجودي جروفز
وليم كلى رايت
سير أنجوس فريزر
نخبة
جوردون مارشال
زكي نجيب محمود
إدوارد مندوثا
جون جرين
هوراس / شلى
أوسكار وايلد وصموئيل جونسون
جلال آل أحمد
ميلان كونديرا
جلال الدين الرومي
وليم جيفور بالجريف
وليم جيفور بالجريف
توماس سى . باترسون
س. س. والتوز
جوان آر. لوك
رومولو جلاجوس
أقلام مختلفة
فرانك جوتيران
بريان فورد
إسحق عظيموف
فرانسيس ستونر سوندرز
بريم شند وآخرون
مولانا عبد الحليم شرر الكهنوي
لويس وليبرت
خوان روافو
يوريبيدس
حسن نظامي
زين العابدين المراغي
أنتوني كينج
ديفيد لودج
أبو نجم أحمد بن قوص
جورج مونان
فرانشيسكو رويس رامون
فرانشيسكو رويس رامون
- ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : محمود سيد أحمد
ت : عبادة كحيلة
ت : فاروقان كازانچيان
ت : بإشراف : محمد الجوهري
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
ت : على يوسف على
ت : لويس عوض
ت : لويس عوض
ت : عادل عبد المنعم سويلم
ت : بدر الدين عروكي
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : صبرى محمد حسن
ت : صبرى محمد حسن
ت : شوقي جلال
ت : إبراهيم سلامة
ت : عنان الشهاوي
ت : محمود على مكي
ت : ماهر شفيق فريد
ت : عبد القادر التلمساني
ت : أحمد فوزي
ت : نظريف عبد الله
ت : طلعت الشايب
ت : سمير عبد الحميد
ت : جلال الحفناوي
ت : سمير حنا صادق
ت : على البعبي
ت : أحمد عثمان
ت : سمير عبد الحميد
ت : محمود سلامة علاوي
ت : محمد يحيى وآخرون
ت : ماهر البطوطي
ت : محمد نور الدين
ت : أحمد زكريا إبراهيم
ت : السيد عبد الظاهر
ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ - مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	بولو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كاميل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدي
٢٩٧ - فن التحويل اليونانية والسورياتية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأمواتي	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مأساة العبيد	أبو بكر تافايليوه	ت : مصطفى حجازي السيد
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد قزاد
٣٠٠ - أسطورة برومتيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيري وبهاء جاهين
٣٠١ - أسطورة برومتيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيري ومحمد الجندى
٣٠٢ - فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ - بوذا	جين هوب ويورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ - ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ - الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ - المصاصة - النقد الكانطى لتاريخ	جان - فرانسوا ليونار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ - الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ - علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ - الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيري
٣١٠ - يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ - مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجورده	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ - روح الشعب الأسود	وليم دى بويرز	ت : أسعد حليم
٣١٣ - أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عيد الله الجعدي
٣١٤ - الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعي
٣١٥ - جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت : كاميليا صبحي
٣١٦ - محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ - بلا غد	شير لايموفا - زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ - الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ - صور دريدا	جايتو ياسبيفاك وكريستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ - لعبة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ١)	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ - وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن العربى	دبليو، إيوجين كليتيارو	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ - فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ - اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ - عالم الآثار	فيليب يوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ - المعرفة والمصلحة	جورجين هايرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ - يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

- ٣٢٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت مارفن شبرد
٣٣١ - عندما جاء السريدين ستيفن جري
٣٣٢ - رحلة شهر الصل وقصص أخرى نخبة
٣٣٣ - الإسلام في بريطانيا نبيل مطر
٣٣٤ - لقطات من المستقبل آرثر س. كلارك
٣٣٥ - عصر الشك ناتالي ساروت
٣٣٦ - متون الأهرام نصوص قديمة
٣٣٧ - فلسفة الولاء جوزايا رويس
٣٣٨ - نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند نخبة
٣٣٩ - تاريخ الأدب في إيران ج.٢ علي أصغر حكمت
٣٤٠ - اضطراب في الشرق الأوسط بيرش بيرينجول
٣٤١ - قصائد من ولكه راينر ماريا ولكه
٣٤٢ - سلمان وأيسال نور الدين عبد الرحمن بن أحمد
٣٤٣ - العالم البرجوازي الزائل نادين جورديمير
٣٤٤ - الموت في الشمس بيتر بلانجوه
٣٤٥ - الركض خلف الزمن بونه نداني
٣٤٦ - سحر مصر رشاد رشدي
٣٤٧ - الصبية الطائشون جان كوكتو
٣٤٨ - التصورة الأولى في الأدب التركي جا محمد فؤاد كوبرلي
٣٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة آرثر والدرون وآخرين
٣٥٠ - بانوراما الحياة السياحية أقلام مختلفة
٣٥١ - مبادئ المنطق جوزايا رويس
٣٥٢ - قصائد من كفافيس قسطنطين كفافيس
٣٥٣ - الفن الإسلامي في الأندلس (فنتسية) باسيليو بابون مالدوناد
٣٥٤ - الفن الإسلامي في الأندلس (تباتية) باسيليو بابون مالدوناد
٣٥٥ - التيارات السياسية في إيران حجت مرتضى
٣٥٦ - الميراث المر بول سالم
٣٥٧ - متون هيرميس نصوص قديمة
٣٥٨ - أمثال الهوسا العامة نخبة
٣٥٩ - محاورات پارمينيس أفلاطون
٣٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة أندريه جاكوب ونويلا باركان
٣٦١ - التصحر : التهديد والحاجبة الان جرينجر
٣٦٢ - تلميذ باينبرج هاينرش شوبرال
٣٦٣ - حركات التحرر الأفريقي ريتشارد جيبسون
٣٦٤ - حدائق شكسبير إسماعيل سراج الدين
٣٦٥ - سام باريس شارل بودلير
٣٦٦ - نساء يركضن مع الثئاب كلاريسا بنكولا
- ت : سامي صلاح
ت : سامية دياب
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : بكر عباس
ت : مصطفى فهمي
ت : فتحى العشري
ت : حسن صابر
ت : أحمد الأنصاري
ت : جلال السعيد الحفناوي
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : فخرى ليب
ت : حسن حلمي
ت : عبد العزيز يقوش
ت : سمير عبد ربه
ت : سمير عبد ربه
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : جمال الجزيري
ت : بكر الحلو
ت : عبد الله أحمد إبراهيم
ت : أحمد عمر شاهين
ت : عطية شحاتة
ت : أحمد الأنصاري
ت : نعيم عطية
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : محمود سلامة علاوي
ت : بدر الرفاعي
ت : عمر الفاروق عمر
ت : مصطفى حجازي السيد
ت : حبيب الشاروني
ت : ليلى الشربيني
ت : عاطف معتمد وآمال شاور
ت : سيد أحمد فتح الله
ت : صبري محمد حسن
ت : نجلاء أبو عجاج
ت : محمد أحمد حمد
ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ - القلم الجريء	نخبة	ت : البراق عبد الهادي رضا
٣٦٨ - المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٣٦٩ - المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ - الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ - التسمية الأولى فى الأدب التركى ج٢	محمد قزاد كويريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ - عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ - كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ - اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ - الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ - الغضب وأحلام الستين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ - تاريخ الأدب فى إيران ج٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ - المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ - ملك فى الحقيقة	سنيل ياث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ - حديث عن الخسارة	جوتتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ - أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ - تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ - هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ - القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ - مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ - دفاعاً عن التاريخ الأدبى التسوى	جانيت تود	ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ - أغنيات وسوناتات	جون دن	ت : بهاء جاهين
٣٨٨ - مواظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ - من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ - الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ - الحافلة الليلية	مايف بينشى	ت : منى الدروبي
٣٩٢ - مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ - فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت : زينب محمود الخضيرى
٣٩٤ - القرى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ - آلام سياوش	إسماعيل قصيح	ت : سليم حمدان
٣٩٦ - السافاك	تقى نجارى راد	ت : محمود سلامة علاوى
٣٩٧ - نيتشه	لورانس جين	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٨ - سارتر	فيليب تودى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٩ - كامى	ديفيد ميروفيتس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ - مومو	مشيائيل إنده	ت : باهر الجوهري
٤٠١ - الرياضيات	زيادون ساردر	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ - هوكنج	ج . ب . ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ - رية المطر والملايس تصنع الناس	تودور شتورم	ت : عماد حسن بكر
٤٠٤ - تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت : ظبية خميس
٤٠٥ - إيزابيل	أندريه جيد	ت : حمادة إبراهيم
٤٠٦ - المستعربين الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٤٠٧ - الأدب الإنسانى للمعاصر بقلم كلبه	أقلام مختلفة	ت : طلعت شاهين
٤٠٨ - معجم تاريخ مصر	جوان فوشركنج	ت : عنان الشهاري

- ٤٠٩ - انتصار السعادة برتراند راسل
٤١٠ - خلاصة القرن كارل بوهر
٤١١ - همس من الماضي جينيفر أكرمان
٤١٢ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ٣) ليفي يروفنسال
٤١٣ - أغنيات المنفى ناظم حكمت
٤١٤ - الجمهورية العالمية للأدب باسكال كازانوف
٤١٥ - صورة كوكب فريدريش نورنيمات
٤١٦ - مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر أ. أ. رتشاردز
٤١٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج. رينيه ويليك
٤١٨ - سيلك ليزر الملكة في مصر القديمة جين هاثواي
٤١٩ - العصر الذهبي للإسكندرية جون ماريو
٤٢٠ - مكرو ميغاس فولتير
٤٢١ - الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي روى متحدة
٤٢٢ - رحلة لاستكشاف أفريقيا ج. نخبة
٤٢٣ - إسراعات الرجل الطيف نخبة
٤٢٤ - لوائح الحق ولوائح العشق نور الدين عبد الرحمن الجامي
٤٢٥ - من طاووس حتى فرح محمود طلوعى
٤٢٦ - التناقضات وتسمى أخرى من الثلاثين نخبة
٤٢٧ - بانديراس الطاغية باي إنكلان
٤٢٨ - الخزائن الخفية محمد هوتك
٤٢٩ - هيجل ليود سينسر وأندرجي كروز
٤٣٠ - كانط كرسنوفر وانت وأندرجي كليوفسكي
٤٣١ - فوكو كريس هيريكس وزوران جفتيك
٤٣٢ - ماكياثلي باتريك كيري وأوسكار زاريت
٤٣٣ - جويس بيغيد نوريس وكارل قلنت
٤٣٤ - الرمانسية يونكان هيث وچون بورهام
٤٣٥ - توجهات ما بعد الحداثة نيكولاس زيريرج
٤٣٦ - تاريخ الفلسفة (مج ١) فردريك كويلستون
٤٣٧ - رحالة هندي في بلاد الشرق شيلي النعماني
٤٣٨ - بطلات وضحايا إيمان ضياء الدين بيبيرس
٤٣٩ - موت المراهبي صدر الدين عيني
٤٤٠ - قواعد اللهجات العربية كرسن بروسناد
٤٤١ - رب الأشياء الصغيرة أروندهاثي روي
٤٤٢ - حثشبسوت (المرأة الفرعونية) فوزية أسعد
٤٤٣ - اللغة العربية كيس نرسنغ
٤٤٤ - أمريكا اللاتينية : الثقافات القديمة لاورييت سيجورنه
٤٤٥ - حول وزن الشعر پرويز ناتل خانلري
- ت : إلهامي عمارة
ت : الزواوي بغودة
ت : أحمد مستجير
ت : نخبة
ت : محمد البخاري
ت : أمل الصبان
ت : أحمد كامل عبد الرحيم
ت : مصطفى بدوي
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : عبد الرحمن الشيخ
ت : نسيم مجلي
ت : الطبيب بن رجب
ت : أشرف محمد كيلائي
ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
ت : وحيد النقاش
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : محمود سلامة علاوي
ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
ت : ثريا شلبي
ت : محمد أمان صافي
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : حمدي الجابري
ت : عصام حجازي
ت : ناجي رشوان
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : جلال السعيد الحفناوي
ت : عايدة سيف الدولة
ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
ت : محمد الشرقاوي
ت : فخرى لبيب
ت : ماهر جويجاتي
ت : محمد الشرقاوي
ت : صالح علماني
ت : محمد محمد يونس

٤٤٦ - التحالف الأسود	الكسندر كوكيرن وجيفرى سانت كلير	ت : أحمد محمود
٤٤٧ - نظرية الكم	ج. پ. ماك ايفوى	ت : ممنوح عبد المنعم
٤٤٨ - علم نفس التطور	ديلان ايثانز - أوسكار زاريت	ت : ممنوح عبد المنعم
٤٤٩ - الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيري
٤٥٠ - ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا - ريبكاريث	ت : جمال الجزيري
٤٥١ - الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / بورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ - لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجنانزى / أوسكار زاريت	ت : محى الدين مزيد
٤٥٣ - القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : خليوم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ - خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ - تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كويلستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ - لا تتسنى	مريم جعفرى	ت : هويدا عزت محمد
٤٥٧ - النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولار اوكين	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٨ - المورييسكيون الأندلسيون	خاويو كارو باروخا	ت : جمال عبد الرحمن

طبع بالهيئة العامة لشتون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٥٧٣ / ٢٠٠٢